وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
كلية التربية للعلوم الإنسانية

السد العالي في مصر

دراسة في آثاره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

١٩٥٢-١٩٧٠

رسالة تقدم بها الطالب

حسين طاهر تسكام الخاقاني

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي قار

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر

بإشراف الأستاذ الدكتور

عبد الرسول شهيد عجمي

١٤٣٣هـ **٢٠١٢م**

Thai Gar University
College of Education
History Department

The High Dam in Egypt
study in its political, economic, social and cultural Effect 1952-1970

By

***Hussein Taher Tisgam* Al khagani**

A Thesis Submitted to the college of Education for / Thai Gar University in partial Fulfillment of the Requirement of the degree of Master of History .

Supervised by

Assist. Prof Abdul Rasol Shaheed Agemy

2012 A.D **1433 A.H**

((بِسم الله الرحمنِ الرحيمِ))

﴿قـالُوا يـذا القَـرنَينِ إنَّ يـأجوُجَ و مـأجوُجَ
مُفسِـدونَ فـي الأرضِ فَهَـل نَجْعَـلُ لَـكَ خَرجـاً
علـى أن تجعلَ بينَنَـا وبيـنهُمْ سدّاً(٩٤)قـالَ مـا
مكّنّي فيهِ ربّي خيرُفأعينُونِي بقُوّةٍ أجعَلْ بينكمْ
وبيـنهمْ ردمـاً(٩٥)آتـونِي زُبَـر الحَدِيَـد حتـىٰ إذا
سـاوىٰ بـينَ الصـدفين قـالَ انفخُـوا حتـىٰ إذا
جعلـهُ نـاراً قـال ءاتـوني أُفـرِغ عليـهِ قطراً (٩٦)
فما اسطٰعوا أن يظهروهُ وما استطٰعوا لـهُ نقباً
(٩٧) قالَ هذا رحمةٌ من رَبِّي فإذا جآءَ وعدُ
رّبي جعلهُ دكّآءَ وكانَ وعدُ ربّي حقاً(٩٨)﴾

((صدق الله العلي العظيم))

(سورة الكهف الاية٩٤– ٩٨)

الإهداء

اهدي هذا العمل

إلى خازن أسرار الولاية وعيبة

علم الله سيدي ومولاي محمد الجواد(ع)

وإلى والديّ العزيزين

والى أخوتي وأقاربي

حسين الخاقاني

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة خلق الله وحبيبه محمد المصطفى رحمةً للعالمين واله البررة الأخيار أما بعد .

فأني أتقدم بالشكر والتقدير إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية، ورئاسة قسم التاريخ لجهودهم القيمة في تذليل الصعوبات عن طلبة الدراسات العليا.

كما أسجل شكري وتقديري لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الرسول شهيد ،الذي تفضل بالأشراف على هذه الرسالة والذي منحني من جهده ووقته الكثير، مما أسهم في تذليل جميع الصعوبات أمامي، فكان بحق خير معين في أخراج هذه الدراسة للعيان .

كما أتقدم بالشكر والتقدير الى أساتذتي في السنة التحضيرية الذين كان لتوجيهاتهم العلمية الأثر الكبير في نجاحي وتقدمي وهم :الأستاذ الدكتور عباس الجابري ، والأستاذ الدكتور نعيم الشويلي، والأستاذ المساعد الدكتور صالح السراي والأستاذ المساعد الدكتور فاضل العبادي.

كما أقدم خالص احترامي واعتزازي إلى كادر مكتبة جامعة ذي قار الذين قدموا لي التسهيلات وشرحوا صدورهم في خدمة طلاب الدارسات العليا بما يتمكنون منه بكل طيب خاطر، كما لاانسى جهود قسم الوثائق في المكتبة الوطنية في بغداد الذين وقفوا الى جانب طلبة الدراسات العليا يقدمون لهم الخدمة بتفان وإخلاص، ما سهل حصولي على كم وافر من الوثائق ،لم أكن احصل عليها لولا تعاونهم ، كما أتقدم بالشكر الى قسم الكتب والدوريات في المكتبة الوطنية ،واشكر كادر مكتبة كلية التربية ابن رشد ومكتبة كلية الآداب في جامعة بغداد والمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية الذين سهلوا عليّ الحصول على الرسائل والاطاريح بكل

ترحاب، ولا أنسى أن أسجل شكري وتقديري لكادر وثائق الأمم المتحدة في المكتبة المركزية في جامعة بغداد في الجادرية .

كما اتقدم بالشكر والاحترام لزملائي طلبة الدراسات العليا في كلية التربية للعلوم الإنسانية والآداب، الذين وقفوا إلى جانبي وساعدوني في مرحلة الدراسة والبحث ، والذين لايمكن أن أنساهم وسأضل اذكرهم دائماً.

كما أتقدم بالشكر الكثير والاحترام لوالدي العزيز وأخوتي، الذين وقفوا إلى جانبي ، وكانوا يشجعوني على تحمل مشقات هذه الدراسة ، ويقدموني لي العون المادي والمعنوي بكل ماأوتوا من قوة ، واسأل الله العلي القدير ان يحفظهم وان يجعلهم ذخراً لي .

الباحث

اقرار المشرف

اشهد بأن أعداد هذه الرسالة المعنونة بـ(**السد العالي في مصر دراسة في آثاره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية١٩٥٢-١٩٧٠**) للطالب (**حسين طاهر تسكام الخاقاني**)، قد جرى تحت أشرافي في جامعة ذي قار /كلية التربية للعلوم الإنسانية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التأريخ المعاصر.

التوقيع:....

أسم المشرف: ا. د.**عبد الرسول شهيد عجمي**

التاريخ: / / ٢٠١٢

بناءاً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:....

رئيس قسم التأريخ: ا.م .د **محسن راشد طريم**

التاريخ :٧ / / ٢٠١٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة، قد اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ(**السد العالي في مصر دراسة في آثاره السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والثقافية ١٩٥٢-١٩٧٠**)المقدمة من الطالب(**حسين طاهر تسكام الخاقاني**) ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها فيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر وبتقدير(جيد جداً).

التوقيع :	التوقيع:
ا.د.نعيم كريم الشويلي	**أ .م .د . عكاب يوسف الركابي**
رئيس اللجنة	**عضواً**
التاريخ: / / ٢٠١٢	التاريخ: ١٢/ ٧/ ٢٠١٢
التوقيع:	التوقيع:
ا.م.د صالح جعيول السراي	**ا.د. عبد الرسول شهيد عجمي**
عضواً	**عضواً ومشرفاً**
التاريخ: / /٢٠١٢	**التاريخ** / /٢٠١٢

مصادقة عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

أصادق على ما جاء في أقرار لجنة المناقشة أعلاه

التوقيع:

ا.م.د.علي حسين جلود

التاريخ: ٣/ ٦/ ٢٠١٢

قائمة المحتويات

قائمة المختصرات

F.O.	Foreign Office (وزارة الخارجية البريطانية)
NO (رقم البرقية)	Number Of
د.ك.و.	دار الكتب والوثائق
د.م	دون موقع أو مكان
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون ناشر

المقدمة

المقـــــدمة

حضت مصر بكم وافر من الدراسات الأكاديمية،التي تناولت جوانب مختلفة من تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، في صورة عكست الجهود المبذولة من الباحثين لاطلاع القارئ العربي على خزين ضخم من المعلومات، التي كانت مخفية عنه في طي الكتب والوثائق.

بيد أن ذلك الجهد الكبير اقتصر على أحداث محددة من تاريخها واغفل أخرى فكان من بين تلك القضايا التي لم يسلط عليها الضوء بشكل واسع هو مشروع السد العالي ،الذي يبدو لأول وهلة مشروع أروائي لايختلف وضعه عن بقية المشاريع الاروائية الأخرى، لكن مع مزيد من التأمل في أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي خلفها على مصر وتأثيراته على المنطقة العربية من جهة والمجتمع الدولي من جهة أخرى نراه مغايراً، اذ انه مشروع خرج عن نطاقه الجغرافي وتحول الى رمزٍ وطنيٍ ، لمرحلة مهمة من تاريخ مصر بدأت منذ وصول الضباط الأحرار للحكم في ٢٣تموز ١٩٥٢ ، وحتى وفاة جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠، والذي قال عنه عند تأميمه قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦:"حينما نبني السد العالي فانما نبني أيضا سد العزة والحرية والكرامة ونقضي على سدود الذل والهوان"[(١)].

إن مادفع الباحث لاختيار مشروع السد العالي كعنوانٍ لدراسته، هو حجم الآثار الايجابية

١-اخترنا لك، خطب جمال عبد الناصر ١٩٥٢-١٩٥٩، ج٧، الدار القومية، القاهرة،د.ت،ص١٣٦٢.

الضخمة التي حققها لمصر، فقد جنبها خطر الفيضانات المدمرة التي تضرر منها الشعب المصري وكلفته ملايين الجنيهات، جرّاء الخسائر التي أصابت الزراعة والملاحة النهرية ، وانعكاسات ذلك على الصناعة المعتمدة أصلاً على الزراعة، اعتماداً كلياً ، فضلاً عن إسهاماته في تحويل ذلك إلى رصيدٍ مائيٍ استفادت منه مصر في استصلاح اراضٍ جديدة زادت من وارداته الاقتصادية. كما أعطى دليلاً واضحاً على قدرة الإنسان العربي في صنع المعجزات العلمية، فالمشروع من حيث ضخامته والجو السياسي الذي بني فيه ،كان من المستحيل أن ينجز مايماثله ،والذي تحدى المصريون في بنائه الغرب واستطاعوا تخطي العقبات التي وضعها في طريقهم ، محققين انجازه في الوقت المحدد، وبأفضل ما يكون.

وانطلاقاً من ذلك، جاءت هذه الدراسة لتسهم في كشف الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمشروع في المدة(١٩٥٢-١٩٧٠)، فاحتوت على أربعة فصول سبقتها مقدمة وانتهت بخاتمة، ولقد تم دراسة هذا المشروع وفق وحدة الموضوع لا على أساس التسلسل الزمني ، فتناول الفصل الأول استعراض المراحل التاريخية التي مرت بها فكرته، والتطورات التي حصلت لها حتى وصلت إلى شكلها الحالي، فضلاً عن ذكر العقبات التي واجهتها والمشاريع البديلة التي طرحت كبديل عنها، وكيف ان تلك المشاريع فشلت في تحقيق أي انجاز يذكر.

في حين ركز الفصل الثاني على ذكر الآثار السياسية للمشروع ، ومواقف الدول الكبرى منه، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واللتان تعهدتا بتمويله في المدة مابين عام ١٩٥٤-منتصف عام١٩٥٦، غير أن السد العالي سرعان ما واجه عقبات كبيرة تسببت في

تأخير تنفيذه ، كان من بينها تعارض المصالح الغربية مع المصالح المصرية ، مادفع بالغرب الى سحب قروضه المالية لمصر في ١٩تموز عام ١٩٥٦ ، وتأثير ذلك القرار الانكلو – أمريكي في التطورات السياسية في مصر ، إلى جانب ذلك تناولت الدراسة العلاقات المصرية السودانية في ضوء اتفاقية تقاسم مياه النيل بين البلدين ، فضلا عن إسهامات المشروع في التأثيرعلى العلاقات المصرية السوفيتية، بعدما قدم السوفيت منحهم المالية لمصر في اتفاقيتين الأولى في ١٩٥٨، والثانية في عام ١٩٦٠ .

فيما تضمن الفصل الثالث الآثار الاقتصادية للمشروع على مصر، من حيث زيادة الموارد المائية لمصر ،وتأثير ذلك على التنمية الزراعية بالنسبة لها، على الثروة الحيوانية والسمكية تباعاً ، فضلاً عن تأثير كهرباء المشروع على توسع الصناعة وتطورها ، علاوةً على ذلك تأثيراته على قطاعات الملاحة النهرية والسياحة والتجارة، من حيث ما حصل فيها من تطور وتغير.

وأما الفصل الرابع فقد تابع الباحث فيه الآثار الاجتماعية والثقافية للمشروع على الشعب المصري، من حيث تأثيراته على التفاوت الطبقي والمعيشي للمجتمع المصري، الى جانب ما أوجده من نهضة عمرانية ،وبخاصة في محافظة أسوان التي بني فيها المشروع، فضلاً عن أثره على الحالة الصحية والتعليمية للمجتمع المصري ، وتداعيات بنائه على آثار النوبة .

اعتمد الباحث على الوثائق العراقية غير المنشورة المودعة في "دار الكتب والوثائق"، التي احتوت على تقارير السفارات العراقية التي كانت ترسلها إلى الحكومة العراقية ، لاسيما سفارات القاهرة وواشنطن ولندن وباريس ، وهذا ما أعطى الباحث صورة عن الجو السياسي الذي رافق

مرحلة التمويل، ومواقف كل من الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا والاتحاد السوفيتي من تمويل المشروع ، ولكن المؤسف ان تلك الوثائق لا تتناول الجانب الاقتصادي ولا تتماشى مع مرحلة البحث بحكم توقف تسلسلها الزمني عند عام ١٩٥٨ ، كما زودت الوثائق العربية المنشورة في محاضر الاتحاد الاشتراكي للاعوام٦٩و١٩٧٠ ووثائق الوحدة العربية التي احتوت على فلسفة الثورة –تصورات ناصر عن حكم مصر والعالم العربي– والميثاق الوطني وبيان مارس ١٩٦٨– برنامج الثورة لما بعد هزيمة حزيران عام١٩٦٧– الباحث بمعلومات قيمة عن سياسة الدولة المصرية وبرامجها لتطوير البلاد في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عن الاستعانة بالوثائق الأمريكية المحفوظة في موقع جمال عبد الناصر(www.Nasser.com) ،التي قدمت معلومات قيمة عن حقيقة الموقف الأمريكي من تمويل المشروع، وكذلك الوثائق البريطانية المحفوظة على الموقع نفسه، التي تحدثت عن الشروط الغربية التي فرضوها على مصر مقابل تمويل المشروع، والمؤامرات التي حاكوها لمنع السودانيين من الموافقة على بناء السد العالي .

الى جانب ذلك استفاد الباحث من الكتب الوثائقية ، ليس لأنها تعبر عن سياسة الدولة فقط بل ، لأنها غطت مساحة واسعة من تاريخ مصر ، ومنها كتاب "الثورة في ١٢ عاما " الصادر عن مصلحة الاستعلامات المصرية ، وكذلك الحال مع "موسوعة المجالس القومية المتخصصة " ، لاسيما في مجلداتها ٧و١٤و١٨ الصادرة عن رئاسة الجمهورية المصرية ، فهي كانت بعيد عن التزويق والمبالغات واتسمت بالطابع العلمي الأكاديمي ، الى جانب انها كتبت في مرحلة الرئيس المصري أنور السادات(١٩٧٠–١٩٨٢)التي امتازت بسلوك الساسة المصريين فيها ، سياسة مخالفة للقومية العربية ، وصارت حملات التشكيك بانجازات جمال

عبد الناصر على قدم وساق ، ما يعطي هذه الموسوعة قدر كبير من الأهمية والمصداقية، لكونها كتبت في وقت معارض لجمال عبد الناصر.

كما ساهمت كتب المذكرات، في مد البحث بمعلومات قيمة لاسيما كتب "محمد حسنين هيكل "الصحفي المصري الشهير والمقرب من جمال عبد الناصر، الذي تحظى كتبه بأهمية كبيرة ، نظراً لقرب كاتبها من مركز القرار واحتوائها على كم كبير من الوثائق المهمة أكسبتها قيمة عليا ، حتى جعل الباحثون يقصدوها عندما يحاولون دراسة مرحلة عبد الناصر ، ولعل أهمها كتاب "الانفجار" وكتاب "سنوات الغليان " وكتاب" لمصر لا لعبد الناصر"، والى جانب ذلك برزت مذكرات وزير الثقافة المصري" ثروت عكاشة "، صاحب الفضل في انقاذ آثار النوبة الذي حفل كتابه "مذكرات في السياسة والثقافة ج٢ بمعلومات قيمة ، فهو يصور كيف بذل صاحب الكتاب وحكومته جهوداً جبارة ، بالتعاون مع اليونسكو(المنظمة الأممية المتخصصة في شؤون الثقافة والتربية)لإنقاذ آثار النوبة المصرية .

كذلك احتلت الكتب العربية والمعربة حيزاً كبيراً من الأهمية، نظراً لما قدمته للدراسة من معلومات قيمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية بعد بناء المشروع ، ولعل من بين أهم تلك المؤلفات كتاب "السد العالي " لمؤلفه (موسى عرفة)الوزير الأول لمشروع السد العالي في المدة(٦١-١٩٦٢) الذي عمل في المشروع ووضع اللبنات الأولى له ، واطلع على خفاياه ،وكتاب "السد العالي" ل(عبد اللطيف زكي وآخرون)، و كتاب "سد أسوان العالي" المعرب عن الروسية لمؤلفه السوفيتي(ايفان كومزين) كبير خبراء السد العالي السوفيت في المدة ٥٩- ١٩٦٢ ، اذ تضمن كتابه صورة عن تصاميم السد المعدلة والمفاوضات التي جرت بين بلاده

المقـــــدمة

وبين المصريين وسير العمل في السد ودور السوفيت في توفير العمالة الماهرة المصرية لانجاز المشروع في أسرع وقت ممكن وغيرها من الوقائع التي سردها الكاتب ، وكتاب "إستراتيجية التنمية في مصر ١٩٥٢-١٩٧٧" لمؤلفه (إسماعيل صبري وآخرون)، وكتاب "الاقتصاد المصري بين التخطيط المركزي والانفتاح الاقتصادي" لمؤلفه(محمودعبدالفضيل) ، وكتاب "الاقتصاد المصري من الاستقلال الى التبعية ١٩٧٤-١٩٧٩" لمؤلفه (عادل حسين)، وهذه الكتب سالفة الذكر قد غطت مساحة واسعة من التنمية الاقتصادية التي مرت بها مصر في عهد عبد الناصر لاسيما مرحلة بناء السد العالي ، فيما تناول كتاب "مصر في ربع قرن ١٩٥٢-١٩٧٠ "لمؤلفه (سعد الدين إبراهيم وآخرون)، وكتاب" إنسان السد العالي" لمؤلفه (صنع الله إبراهيم وآخرون)التغيرات الاجتماعية التي مرت بها مصر في مرحلة بنائه، وكذلك كتاب "شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان" لمؤلفه (جمال حمدان)الذي وصف التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في مصر خلال تاريخها الطويل، مركزاً على مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات بشكل مفصل .

كما ساهمت الكتب الانكليزية لاسيما كتاب The Aswan High Dam" "لمؤلفه Yusuf A Shibl في تصوير الأبعاد السياسية للمشروع بصورة سلسة بعيدة عن التعقيد والتكلف ، وكذلك كتاب "Soviet Economic Grouth"لمؤلفه " Abram Bergson" ، بالإضافة الى مجموعة من البحوث الانكليزية لعل من أهمها " The Hydrology Of The Nile" لمؤلفه J. V Suteliffe. ، وكذلك " IMPACT OF ASWAN HIGH DAM ON THEAQUATIC WEED ECOSYSTEM" لمؤلفه I. A. El Shinnawy et ،التي زودت الرسالة بصورة واضحة عن الآثار الايجابية والسلبية للسد العالي على مصر من الناحية الاقتصادية.

المقـــــدمة

فضلاً عما تقدم استعان الباحث بعدد من الاطاريح والرسائل الجامعية غير المنشورة نظراً لما تحتويه من معلومات قيمة، ومن أبرزها أطروحة "الأحزاب الاتحادية في السودان١٩٤٤-١٩٦٩" لمنى حسين الشمالي ، والتي تناولت فيها العقبات التي أسهمت في تأخير توصل كل من مصر والسودان الى عقد اتفاقية عام ١٩٥٩ ، وأطروحة"السياسة المالية ودورها في الإصلاح الاقتصادي مصر حالة دراسية " لهزاع داوود سلمان التي تناولت التحولات الاقتصادية نحو الاشتراكية فيها ، فضلاً عن ذلك قدمت رسالة "أزمة السويس والموقف الدولي منها " لميسون الجبوري صورة عن الظروف الدولية والإقليمية، التي أسهمت في امتناع الولايات المتحدة عن تمويل السد العالي .

وكان للدوريات والمجلات أهميتها في هذا البحث ، ولاسيما التي تتبعت الأحداث والتطورات التي شهدتها مصر منذ بدأ العمل فيه، ومن أبرزها مجلات(الطليعة،الكاتب، روزاليوسف)التي تصدر في مصر ، و مجلة المنار لاسيما العدد (٢٠) المؤرخة بتاريخ آذار -اب١٩٨٦، التي سلطت الأضواء على الملابسات الدولية التي حفلت بها عملية بناء السد العالي، والآثار الايجابية والسلبية له.

كما أفادت الدراسة من الأخبار الواردة في الصحف المصرية والعراقية في مدة البحث، لعل من أبرزها صحيفة "الأهرام "التي غطت مراحل بناء المشروع في مصر بشكل مفصل ويومي ، فضلاً عن صحيفة"المساء" و صحيفة"الجمهورية" القاهرية ، التي زودت الباحث بمعلومات قيمة عن مرحلة بناء محطة كهرباء السد العالي ، كما أسهمت جريدة "الزمان "العراقية في توضيح البعد الدولي لتمويل السوفيت مشروع السد العالي .

وأخيراً وفرت مواقع شبكة المعلومات الدولية، وبخاصة "موقع جمال عبد الناصر" الذي ضم العديد من الوثائق البريطانية والأمريكية والعربية، التي كانت السند الأساسي للدراسة، بما حوته من معلومات قيمة عن الآثار السياسية و الاقتصادية للمشروع.

وقد واجهت الباحث عدة عقبات ، أهمها، بعد الباحث عن وثائق السد العالي المتوفرة في مصر ،ألا انه استعاض عنها بالكتب والوثائق التي كانت لا تغطي اغلب مساحات البحث و

اقتصرت على مراحل متفاوتة وبعضها كان يقدر سلبياته وايجابياته من خلال دراسات علمية اعتمدوا عليها ، ماجعل مهمة الباحث صعبة واضطره إلى الاستعانة بمصادر تناولت مراحل متقدمة ومتأخرة من تاريخ بناء السد العالي، والجمع في مابينها ، بقصد توضيح تأثيراته على مصر، كما واجهت الباحث مشكلة تضارب الأفكار وعدم وجود إحصائيات واضحة لاسيما في الجانب الاقتصادي تبين فوائد السد العالي، وذلك ما أرهق الباحث ودفعه لاعتماد الكتب الوثائقية في كثير من الأحيان، كأساس في دراسة التأثيرات الاقتصادية له.

أملي أن يكون هذا الجهد ثمرة تضاف إلى ما يسعى إليه طلبة علم آخرون وبذرة تثمر عن دراسات أكثر استفاضة في هذا الموضوع .

الفصل الاول

المراحل المبكرة لنشأة السد العالي في مصر حتى عام ١٩٥٢

المبحث الاول: الأفكار الابتدائية

المبحث الثاني: المقدمات

المبحث الثالث: المعوقات

المبحث الأول :الأفكار الابتدائية

تعود فكرة أنشاء السد العالي، الى عهد الفراعنة المصريين،حيث بنى الفرعون امنحاتب الثالث[١]، سداً على الضفة اليسرى لنهر النيل واشتق منها قناة مائية تصب في بحيرة الفيوم او"بحيرة موريس"[٢]، كخزانٍ دائميٍ لمياه النيل يستخدم في إرواء الأراضي الزراعية في المملكة المصرية في جميع الأوقات، ولاسيما سنيين الجفاف[٣].

ثم أخذت الفكرة بالتطور وبخاصة في العهد الإسلامي، عندما انشأ الفاطميون دولتهم في مصر في القرن العاشر الميلادي(٩٦٩م-١١٧١م) ، واخذوا يبدون اهتماماً كبيراً بالزراعة ومشاريع الري[٤]، ودفعهم هذا الاهتمام إلى البحث عن حلٍ لمشكلة تذبذب مناسيب النيل بين الجفاف والفيضان،حتى ولو كانت الحلول من خارج الحدود،كما حصل مع المقترح الذي طرحه

١- امنحاتب الثالث:هو من أشهر الفراعنة المصريين (١٨٨٧-١٨٥٠) ق.م، الذين اهتموا بالزراعة ، وكان طبيباً وكاهناً ، فضلاً عن منصبه كفرعون للمصريين، عرف عنه ميله الشديد للاهتمام بالزراعة ،وتعد بحيرة الفيوم من بين انجازاته المهمة بالإضافة الى بناء هرم زوسر . لمزيد من التفاصيل ينظر : جان فيركوتير ، مصر القديمة ،تعريب: ماهر جويجاتي ،دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٢،ص٩٥؛ رؤوف سلامه موسى ،موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم ،ج٢،ط٢،مكتبة المعارف ،بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٦٥.

٢- بحيرة موريس: هي عبارة عن منخفض مائي يقع في محافظة الفيوم جنوب غرب القاهرة بمسافة ٧٠ كم وبمساحة تصل الى ٧٠٠كم وتستمد مياهها من بحر يوسف ، وهي تشبه في عملها بحيرة ناصر وتسمى بهذا الاسم في العصور الفرعونية نسبة للفرعون امنحاتب الثالث الذين كان يسمى باللغة القبطية "تي- ماعة – رع"، ولما بدأ الإغريق باستكشاف مصر وخصوصاً في عهد المؤرخ الكبير هيرادوت ، صحفوا التسمية الى"موريس".لمزيد من التفاصيل ينظر: حسام جاد الرب،جغرافية الوطن العربي،دار العلوم ،القاهرة ،٢٠٠٥، ص١٩٠-١٩١؛ احمد بدوي،هيرادوت يتحدث عن مصر،تعريب: محمد صقر خفاجة، دار القلم ، د.م ،١٩٦٦،ص٨٤.

٣- طاهر أبو الوفا،قصة السد العالي،د.ن،القاهرة ،١٩٦٠،ص٢٣.

٤-صبحي وحيده :في أصول المسألة المصرية ،، د.ن، الموصل، ١٩٨٥، ص١٤٧.

العالم "الحسن بن الهيثم"[١] حول أمكانية أقامة سد على نهر النيل في أقصى صعيد مصر عند أسوان [٢] ، غير انه تصور خطأً بعدما وصل إلى مصر والتقى حاكمها "الحاكم بأمر الله الفاطمي"(١٠٧٤م –١٠٩٤م) وقام بمشاهدة المنطقة المرشحة لإنشاء السد عند جنادل أسوان (أي شلالات أسوان) فتوصل إلى حقيقةٍ مفادها ، أن النهر في هذه المنطقة لا يسمح بمثل ذلك وإنه لو كانت هذه الفكرة سديدة لما تأخر عن تنفيذها المصريون القدماء المعروفون بخبرتهم في أنشاء السدود حتى هذا الوقت على الرغم من قيامهم بمشاريع مشابه لمشروعه في مناطق من مصر كما في بحيرة" موريس "ولهذا قرر التخلي عن فكرته وعدم الأقدام على مشروعٍ لا يعرف نتائجه في المستقبل إن كان سينجح أم لا[٣].

بعدها أدلفت الفكرة ولفها النسيان ولم يتم أحيائها حتى في عهد مؤسس الدولة المصرية الحديثة محمد علي باشا(١٨٠٥م–١٨٤٨م) الذي عرف عنه اهتمامه بمشاريع الري كثيراً حتى بنى العديد من القناطر الخيرية وشق الكثير من الترع لإرواء الأراضي الزراعية[٤] .

١–الحسن بن الهيثم :هو أبو علي الحسن بن الهيثم (٣٤٥–٤٣٠هـ) ، عالم البصريات والهندسة العراقي من مواليد البصرة ،عرف عنه إلمامه الكثير بالأحوال الجغرافية لمصر وطبيعة نهر النيل فيها ،مما دفعه إلى طرح فكرته بإمكانية أقامة سد عند أسوان، ألا انه فشل في ذلك واضطر للتظاهر بالجنون ، ليتخلص من خطر الحاكم بأمر الله . لمزيد من التفاصيل ينظر :احمد السكري ،موسوعة علماء العرب ،دار صفاء للنشر ،الأردن، ٢٠٠٤، ص١٠٢–١٠٤.

٢–أسوان:هي مدينة مصرية تقع أقصى جنوب مصر عند الحدود المصرية السودانية وهي مركز محافظة أسوان اكبر المحافظات المصرية مساحةً (٧٨٣كم). لمزيد من التفاصيل ينظر:مصطفى احمد احمد وحسام الدين إبراهيم عثمان ،الموسوعة الجغرافية ،ج٤،،دار العلوم،القاهرة ،٢٠٠٤،ص١٦.

٣–ماجد فرحات ،موسوعة الكوارث الطبيعية والحروب والأسلحة،،دار اليوسف ،بيروت ،٢٠٠٦ ، ص١١٦.

٤– لمزيد من التفاصيل ينظر :نسيم مقار ،الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان دراسة في العلاقات المصرية والسودانية (١٨٢١–١٨٤٨)،أشراف:يونان لبيب رزق،مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ،القاهرة،١٩٨٥،ص٥٥–٦٠.

وبعد هذا السبات الطويل بدأت الفكرة تتحرك لتظهر للعلن في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بفعل التنافس الاستعماري بين الدول الكبرى للسيطرة على منابع النيل حتى تتحكم بمقدرات مصر، التي تعد أهم مستعمرات أفريقيا بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يربط بين القارات الثلاث(أفريقيا، آسيا،أوربا) ، والذي يساعدها في التأثير على التجارة العالمية عبر قناة السويس، وذلك مأأسهم في اشتداد الصراع الاستعماري عليها ، الذي توضحت شدته في"أزمة فاشودة" [١] بين بريطانيا وفرنسا نتيجة مصالحهما في مصر،التي تتضرر في حال تحكم أي دولة من الدول المستعمرة في منابع النيل وهذا مانبه اليه برومبت"**Prompt**"[٢].

لقد حفز هذا التهافت في السيطرة على منابع النيل، القيادة المصرية للاهتمام بمشاريع الري وإعطاء الأولوية لتلك التي تنشأ داخل حدودها، لحماية حصة مصر المائية من وقوعها تحت مساومات الدول التي تتحكم بمنابع النيل، فضلاً عن رغبة بريطانيا بإيجاد مشاريع أروائية في مصر، تساهم في زيادة مساحة الأراضي الزراعية لاسيما المزروعة بالقطن، الذي يدخل كمادة أولية في صناعة المنسوجات القطنية في بريطانيا[٣].

١-أزمة فاشوده:هي أزمة دولية،حدثت نتيجة احتلال سرية من الجيش الفرنسي بقيادة مرشان "**Marshan**" وبمساعدة الأحباش منطقة (فاشودة) السودانية ، واعتراض بريطانيا على ذلك وإرسالها قوة عسكرية بقيادة كتشنر"**Kitchener**" في عام ١٨٩٨، والتي انتهت بانسحاب فرنسا من فاشوده وانضمام السودان إلى السيطرة البريطانية والمصرية ، للتعرف على تفاصيل تلك الأزمة ينظر :جاد طه ، بريطانيا والجيش المصري في ضوء الوثائق البريطانية،ط٢،جامعة عين شمس،١٩٨٤،ص١٣-١٥.

٢- فقد نشر المهندس الفرنسي برومبت، الذي كان مستشاراً للحكومة المصرية بحثاً في كانون الثاني عام ١٨٩٣م ،حلل فيه ما يعتقده عن خطر السيطرة على منابع النيل على مصر ،وبيّن فيه أمكانية أقامة سدوداً على بحيراته وان حجز المياه وراء هذه السدود والقناطر، يمكن ان يؤثر على كمية المياه اللازمة لمصر وان تدميرها سيسبب الدمار التام للزراعة المصرية . لمزيد من التفاصيل ينظر: جاد طه، الصراع الاستعماري في حوض النيل ،،الدار القومية للطباعة ،القاهرة،١٩٦٢،ص١٣.

٣-احمد كمالي وعمر إبراهيم ،وللنيل وجه آخر حكايات تاريخية على ضفاف النيل مابين القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين،،المنتدى الوطني لدول حوض النيل ،القاهرة ،٢٠٠٧،ص٢٣.

لذلك قامت الحكومة المصرية ببناءِ سدِ أسوان القديم في جنوب البلاد في عام ١٨٩٨ ، وأوكلت مهمة تنفيذه للمهندس وليم ويلكوكس"W. Will Cocks"[١] في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وجهزته بمئات العمال المصريين ، فتمكن ويلكوكس أن يكمله في وقته المقرر، وذلك في عام ١٩٠٢ ، بتكلفةٍ أجماليةٍ بلغت قيمتها مليون ونصف المليون جنيه[٢].

فظهر سد أسوان كجدارٍ من الاسمنت يسد مجرى نهر النيل، بارتفاعٍ يصل إلى٤٠متر وبطول يصل إلى ١٩٦١ متر ، تتخلله مجموعة من الفتحات بلغ عددها (١٨٠) فتحة تسمح بخروج مياه النيل من خلالها ، دون الحاجة لإنشاء قناة جانبية لأغراض الري وتسهيل الملاحة النهرية [٣].

وبذلك تحول إلى أول سدٍ موسميٍ يبنى في مصر خلال القرن العشرين ، والذي برزت أولى فوائده في رفع قيمة الأرض المستصلحة إلى نحو ألف وثمانمائة جنية لكل كيلو متر مربع ، بفعل توفر المياه [٤] .

١-وليم ويكلوكس: مهندس بريطاني من مواليد الهند (١٨٥٢م-١٩٣٢م)، درس الهندسة الاروائية وبرع فيها ، فاستدعته الدولة العثمانية بموافقة حكومته ليكون مستشاراً لها في سبعينات القرن التاسع عشر ، ثم أرسلته إلى مصر لتنظيم مشاريع الري فيها ، فأصبح مديراً لري الدلتا في عام١٨٨٣م ومديراً لهيئة السدود المصرية عام١٨٩٠ ، وبفعل خبرته الواسعة ونجاحه الكبير في اختصاصه أوكلت له الحكومة المصرية مهمة بناء سد أسوان ١٨٩٨-١٩٠٢ ، وبعدما أحرز نجاحه الكبير في بناء السد ، أعجبت به الحكومة العراقية وطلبت منه زيارة العراق للقيام بأبحاث عن أمكانية أقامة مشاريع اروائية على نهري دجلة و الفرات، فكانت ابرز مقترحاته مشروع سدة الهندية، ومشروع الاسحاقي . لمزيد من التفاصيل ينظر :رؤوف موسى سلامه ،المصدر السابق ،ص١٢٢٨.

٢-محمد صبري ،تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث ،ط٢،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩٦،ص٢٣٥.

٣-محمد محي الدين رزق، أفريقيا وحوض النيل، ط٢، مطبعة عطايا بباب الخلق، مصر، ١٩٣٤، ص١٠٨-١٠٩.

٤-وقد كتب اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر عن سد أسوان في تقريره السنوي عام ١٩٠٣ انه" لولا الماء المخزون في الخزان لقاست البلاد الشدائد في إنقاذ الزراعة الصيفية من الغرق بسبب انخفاض =

غير أن هذا المشروع على الرغم من فوائده على مصر لكنه عجز عن تغيير واقع الفلاح المصري الذي كان يعاني البؤس والحرمان ، فهو لم يتخلص من مخاطر النهر أثناء فيضانه او جفافه التي اعتاد عليها، بفعل طريقة الخزن الخاصة به التي لا تتلائم مع طبيعة النيل المتقلبة [١].

علاوةً على ما تعرض له الفلاح المصري من تجاوزات على يد قوات الاحتلال البريطانية ، والتي استعبدته خلال الحرب العالمية الأولى(١٩١٤م-١٩١٨م) ، حيث قامت بمصادرة ماشيته و محاصيله من الحبوب لخدمة جيوشها ، وجندت الفلاحين المصريين لسوقهم إلى المعركة، فأصبح الفلاح بعيدًا عن أرضه ومجردًا من كل ما يملك ، وهذا ما ولدّ فيه روح الانتقام والثأر [٢]، وظهر هذا جلياً في ثورة اذار ١٩١٩[٣].

= النيل انخفاضا فاق المعتاد،. فإن الخزان أمد مصر الوسطى والوجه البحري بالماء الكافي بعدان كان الماء يصل أليه بشهر،وتم تخفيف المناوبة على الترع في أول يوليو،ولولا الخزان لتأخر تخفيفها، وسمح للمزارعين بزرع الذرة قبل أوان زرعها المعتاد بشهر، ورخص لهم بزراعة الأرز في كل مكان ورويت زراعة القطن كلها رواء كافيا" ، نقلاً عن احمد كمالي وعمر إبراهيم،المصدر السابق،ص٢٣.

١-إذ أن عملية الخزن لا تبدأ في وقت ذروة فيضان نهر النيل (تموز –تشرين الأول)وإنما تجري في منتصف كانون الأول عندما يتأكد المشرفين على الخزن في السد ان ذروة الفيضان قد انتهت كي لا يترسب الطمي النيلي في حوضه و يمتلئ وذلك ماجعل عملية الخزن في السد قليلة الفائدة . لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد محي الدين رزق،المصدر السابق،ص١٠٩.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر:صلاح عيسى، البرجوازية المصرية، مجلة آفاق عربية، العدد٤، بغداد، كانون الأول ١٩٧٨، ص٣٨.

٣-ثورة آذار ١٩١٩: ثورة شعبية اندلعت في مصر بعد اعتقال السلطات البريطانية سعد زغلول ورفاقه في ٨آذار ١٩١٩، ونفيهم إلى جزيرة مالطة على خلفية حركة التوكيلات ، وقد اشتراك الفلاحون في الريف والعمال والطلبة في المدن فيها بشكل أساسي ، ثم التحقت بهم سائر الشرائح المصرية من موظفين ورجال دين وساسة ومفكرين وأدباء، للمطالبة بإطلاق سراح سعد ورفاقه ، وإنهاء سياسة الحماية المفروضة على مصر من قبل سلطات الاحتلال منذ عام ١٩١٤، بعد اشتراك الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب دول الوسط بزعامة المانيا في حربها ضد بريطانيا ، وبما أن مصر مستعمرة عثمانية شكلياً ،فقررت بريطانيا معاقبة الدولة العثمانية بإنهاء تبعية مصر لها وجعلها مستعمرة بريطانية ، وكان من أهم ثمار الثورة =

لعل مشاركة الفلاحين في الثورة مثلت صدمة للقادة البريطانيين ، فهم تصوروا أنهم يفضلون الامتيازات التي حصلوا عليها قبل الحرب العالمية الأولى ، مثل تخفيف حجم الضرائب ومنع السخرة وتنظيم عملية الري ، و"الكلام الجميل"(١) الذي كان القادة البريطانيين يقدمونه لهم ليلاً ونهاراً،على مشاركة أخوانهم الطلبة والعمال في الثورة .

إن اندلاع ثورة ١٩١٩ومشاركة الفلاحين المصريين فيها بقوة (٢)، دفع البريطانيين بمعية

= إلغاء سياسة الحماية على مصر في عام ١٩٢٢ وإصدار دستوراً للبلاد في عام ١٩٢٣م. لمزيد من التفاصيل ينظر:عاصم محروس عبد المطلب، دور الطلبة في ثورة ١٩١٩ (١٩١٩-١٩٢٢)، أشراف ا.د.يونان لبيب رزق، ،مؤسسة الأهرام ،القاهرة ،١٩٩٨،ص٢٣.

١- كان اللورد كرومر المعتمد السامي في مصر في المدة (١٨٨٣-١٩٠٧)يكثر من القول "انه صديق أصحاب الجلابيب الزرقاء"، وحتى لجنة ملنر الموكلة بالتحقيق في أسباب ثورة ١٩١٩ ، بعدما بينت الأسباب وراء مشاركة الفلاحين ادعت ما مضمونه :إن الجيش البريطاني ليس المتسبب بسوء حالة الفلاح خلال الحرب ، وإنما كان الموظفون المصريون هم المسئولون عن ذلك ، فهم المؤتمنون على عملية جمع الضرائب من الفلاحين وتنفيذ سياسة بريطانيا في البلد وان الجيش البريطاني كان يعوضهم مالياً ، عن كل عملية مصادرة لمحاصيلهم ومواشيهم ، وان ما يتعرض له الفلاحون من عوز وحرمان سببه الموظفون المصريون ! الفاسدون الذين يختلسون قسماً كبيراً من هذه الأموال ولا يعطون الفلاحين ألا الجزء اليسير؟ بينما الحقيقة خلاف ذلك، لان سلطات الاحتلال كانت المتحكمة في سير أعمال الحكومة المصرية ، وما يحدث فهو يقع تحت مسؤوليتها بحكم سياسة الحماية البريطانية التي فرضتها على مصر ، فصارت بموجبها خاضعة للأحكام العسكرية البريطانية فليس من المقبول قانونياً حصول هذه التجاوزات دون علمها. لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول ،المسألة المصرية في دورها الأخير ويشتمل على تقرير ملنر واهم الردود الوطنية ،،د.ن،القاهرة ،١٩٢١،ص٣٢؛ احمد رشدي صالح،دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي: كرومر في مصر.. ،تقديم :عبد العظيم رمضان،،مطابع الهيئة المصرية ،القاهرة ، ٢٠٠٢،ص٤١.

٢-قام الفلاحون بمهاجمة القوت البريطانية في عدة مناطق وأهمها الوجه القبلي ابتداءً من مدينة الواسطي وحتى بني سويف وكبدوا فيها البريطانيين خسائر كثيرة في الأرواح والممتلكات ، وكانت أشهر معاركهم فيها هي معركة "دير مواس" ، حيث هاجم الفلاحون قطاراً محملاً بالجنود والضباط البريطانيين وقتلوا عدداً كبيراً منهم ، كما هاجموا محطات سكك الحديد في مناطق عديدة من البلاد منها محطة" بولاق الدوكر" . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد أنيس، دور الفلاحين المصريين في ثورة ١٩١٩،مجلة آفاق عربية،العدد٧،بغداد،آذار ١٩٧٧،ص١٢.

شركائهم المصريين إلى أعادة النظر في سياستهم تجاه الفلاح المصري ومحاولة استمالته إلى جانبهم فهم يعلمون بان الفلاح يعد الأرض والماء ثروته الوحيدة وان من يتمكن من تحقيق ذلك سيكون شاكراً له دائماً ،فاتجهوا نحو معالجة مشكلة المياه والبحث عن حلول ناجعة لتنظيم عملية الري في مصر، باستخدام مشاريع التخزين السنوي الموسمي والتخزين الدائم[١] ، لمياه الري من اجل زيادة مساحة الأراضي المزروعة التي كانت لا تتجاوز مساحتها (٥,٣) مليون فدان، بينما وصل عدد السكان إلى ١٢,٧١٨ مليون نسمة وفق إحصاء عام ١٩١٧[٢] .

فقامت كلا الحكومتين المصرية والبريطانية في عام ١٩٢٠، بدارسة عدة مشاريع للخزن الموسمي والدائمي ، تناولت زيادة الحصص المائية لمصر والسودان من نهر النيل ، بحيث تكون حصة مصر من النهر ٥٠ مليارم³/سنة والسودان٦مليارم³/سنة ، وذلك من خلال مشاريع: تعلية سد أسوان للمرة الثانية[٣] في مصر، وسد جبل الأولياء في السودان[٤]

١-التخزين الدائم هو تخزين المياه المتوفرة في السنوات العالية الإيراد للنهر للانتفاع منها في السنين المنخفضة الإيراد ،وأما التخزين السنوي الموسمي :فهو تخزين المياه في موسم الفيضان إلى موسم انحسار المياه في نفس العام . لمزيد من التفاصيل ينظر: حسام جاد الرب ،جغرافية أفريقيا وحوض النيل ،،دار العلوم ،القاهرة، ٢٠٠٥ ،ص٣٨٢-٣٨٣.

٢-محمد فريد فتحي، في جغرافية مصر، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٥٣.

٣-وتمت تعليته لأول مره في عام١٩١٢ والمرة الثانية في عام ١٩٣٣، حتى وصلت سعته الخزنية الى٥,٢مليارم٣ بعدما كان لا يتجاوز المليارم٣. لمزيد من التفاصيل ينظر :محمد عبد الغني سعودي ،أفريقيا ،،مكتبة الانجلو،القاهرة ،١٩٩٧،ص٣٢٦.

٤- سد جبل الأولياء: هو من أحدى المشاريع الاروائية المشتركة بين مصر والسودان ، والذي بني في جنوب الخرطوم بمسافة٤٠كم ، وفائدته حجز المياه في نهر النيل الأبيض في موسم الفيضان والانتفاع منها في وقت انحسار المياه ، لإرواء الأراضي الزراعية في مصر والسودان وبدا العمل به في عام ١٩٣٣واكتمل عام١٩٣٧. لمزيد من التفاصيل ينظر:محمد محي الدين رزق،المصدر السابق،ص١١٠؛ محمد عبد الغني سعودي ،المصدر السابق،ص٣٢٧.-٢٦٨.

كمشاريع للتخزين السنوي الموسمي، وكذلك أقامة سدٍ على بحيرة تانا [١] في أثيوبيا، وشق قناة مائية عند مدينة جونجلي [٢] في السودان كمشاريع للتخزين الدائم [٣].

على الرغم من أهمية هذه المشاريع وفائدتها الكبيرة على مصر ، فأن تحقيقها مرهون بتحسن العلاقات بين مصر وبريطانيا ، فألاخيرة تسيطر على دول حوض النيل [٤] ، مما يجعل أمكانية تنفيذ أي مشاريع أروائية مصرية في دول الحوض مستحيلة في حال حصول أي توتر دبلوماسي بين البلدين، فمثلاً عندما حصل النزاع بين مصر وبريطانيا في عهد وزارة سعد زغلول (٢٨كانون الأول-٢٣تشرين الأول عام١٩٢٤)حول أدارة السودان أثناء مفاوضاته

١- بحيرة تانا:وهي اكبر بحيرات أثيوبيا حيث تصل مساحة سطحها إلى ٣٠٠٠كم٢ وبعمق أقصاه ١٤م ، وهي منبع النيل الأزرق وتصنف ضمن بحيرات النيل المرشحة لغرض التخزين المستمر بتصرف سنوي معدله ٤مليارم٣ ، ولكنها تمتاز بسلبية سائدة في بحيرات النيل الاستوائية ألا وهي تبخر مياهها في فصل الصيف الى أن يصل منها إلى نحو ٣,٦مليارم٣ . لمزيد من التفاصيل ينظر:محمد صفي الدين أبو العز وآخرون،بحوث ندوة المياه في الوطن العربي/ الجمعية الجغرافية المصرية القاهرة(٢٦-٢٨تشرين الثاني ١٩٩٤) ، مجلد ٢،،الجمعية الجغرافية الكويتية،الكويت،١٩٩٥، ص٢٨٥.

٢-قناة جونجلي: هي احدي المشاريع التي اقترحت لتفادي المستنقعات في منطقة السدود بجنوب السودان عن طريق شق قناة مائية٣٧٠كم ، تبدأ من منطقة جونجلي على البر الشرقي لنهر الآثم وتتجه شمالا لتصب في نهر السوباط عند ماكال، ولم يبدأ العمل بها ألا في عام ١٩٧٨، وسرعان ما توقف بسبب الظروف السياسية التي كانت تحكم السودان من جراء الصراع المستمر مابين الجنوب والشمال المستمر ، وكذلك أنها لايمكن أن تؤدي الغرض المطلوب منها ، ألا أذا نفذت بقية المشاريع على بحيرات النيل بإقامة سد على بحيرة فيكتوريا كي تضيع مياه النيل عند المنابع الأولى للنيل ، ومن فوائد هذه القناة لو تحققت هي تقليل الفاقد من نهر النيل عند منطقة السدود بحوالي ١٤-٢٠مليار م^3/سنة . لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد العظيم أبو العطا وآخرون ،نهر النيل الماضي والحاضر والمستقبل ،دار المستقبل العربي ،القاهرة،١٩٨٥،ص٦٦-٦٧؛ محمد صفي الدين ابو العز وآخرون،المصدر السابق ،ص٥٤.

٣- عبد العظيم أبو العطا وآخرون،المصدر السابق ،ص٦٦.

٤- دول حوض النيل :مصطلح يطلق على مجموعة من دول أفريقيا التي تطل على نهر النيل أو ينبع منها وهي:أثيوبيا، تنزانيا ،كينيا ،أوغندا،الكونغو الديمقراطية (زائير)،السودان،مصر. لمزيد من التفاصيل ينظر: الصادق المهدي، مياه النيل الوعد والوعيد، مركز الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٣،ص٣.

مع الحكومة البريطانية ، وذلك في أيلول عام١٩٢٤ حيث رفضت فيها الحكومة المصرية التنازل عن حكم السودان لبريطانيا [١]، وحينها توقفت الجهود المبذولة لتنفيذ المشاريع الأروائية في دول الحوض حتى سقطت حكومة سعد زغلول باشا ، وجاءت بعدها حكومة احمد زيور باشا (١٩٢٤-١٩٢٥)في الرابع من كانون الأول عام ١٩٢٤، الموالية لبريطانيا والتي وافقت على خروج القوات المصرية بالكامل منها [٢].

مهدت تلك الظروف الطريق نحو تحرك كل من المصريين والبريطانيين لعقد اتفاقية بينهما لتقاسم مياه النيل وكان كلا الطرفان يسعى لعقدها بحزم ، فالمصريون وجدوا أن بريطانيا أخذت تتحرك في السودان بشكل يضر بحصة مصر المائية بما يؤثر على الزراعة فيها ، ولاسيما مع بناء الإدارة العسكرية البريطانية لسد سنار في السودان في عام ١٩٢٥ ، بحجة توفير خزينًا مائياً يكفي لإرواء أراضي السودان الزراعية [٣]، وأما البريطانيون فأرادوا منها تقييد حرية الحكومات المصرية في أدارة السودان وفصلها عن مصر بشكل تدريجي حتى تصبح مستقلة عنها[٤].

فوقع محمد محمود باشا (١٩٢٨-١٩٣٠)رئيس الحكومة المصرية عن مصر، واللورد

١-لمزيد من التفاصيل. ينظر:عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨-١٩٣٦، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت ، ص ٤٨٢ -٤٨٣ ؛عبد الرحمن الرافعي،مذكراتي ١٨٨٩-١٩٥١،ط٢،مطابع الأخبار ،القاهرة، ١٩٨٩ ،ص٣٧.

٢.-احمد زكريا الشلق،معالم من تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ،ط ١، الدوحة،١٩٩٦ ،ص٢٠١ -٢٠٢.

٣-سامي مخيمر وخالد حجازي،أزمة المياه في المنطقة العربية،،عالم المعرفة، الكويت ،١٩٩٦،ص٢٠.

٤-ان هذا التوجه نحو فصل السودان عن مصر بدأ يظهر بشكل واضح منذ عام ١٩٢٣،عندما رفض المندوب السامي في مصر الجنرال ألنبي"**Allenby**" الموافقة على إضافة الملك فؤاد الأول لقب "ملك السودان"إلى لقبه كملك لمصر. لمزيد من التفاصيل ينظر:مارسيل كولمب ، تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠،تعريب :زهير الشايب،تقديم :احمد عبد الرحيم مصطفى ،،مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٧٢ ، ص٢٧٣.

جورج لويد " Lord.G. Lioyd" [١] ممثلاً عن الحكومة البريطانية عن كل من السودان وأوغندا وكينيا وتنزانيا التي كانت تحت الاحتلال البريطاني ، اتفاقية بينهما لتقاسم مياه النيل وذلك في السابع من أيار عام ١٩٢٩ ، والتي حددت الحصص المائية لمصر ب(٤٨) مليار م٣ والسودان(٤) مليارم٣ ، واعترفت بموجبها الحكومة المصرية بسد سنار كحاجة ملحة لإرواء الأراضي الزراعية السودانية بالمقابل ، حرمت الاتفاقية أقامة أي مشاريع أروائية أو كهرومائية يمكن أن تضر بمصر[٢] .

وعلى الرغم من سلبية الاتفاقية التي حددت حصة مصر المائية ب٤٨مليار م٣ ، وأجبرت الحكومة المصرية على الاعتراف بسد سنار، الذي قلص جزء من مناسيب نهر النيل الأبيض التي تصب في النيل الرئيس، ولكنها ضمنت لمصر عدم حدوث اي مشاريع في المستقبل في دول حوض النيل يمكن ان تؤثر على حصة مصر المائية ،وبما أن الضامن كانت بريطانيا ، فأنها أعطت الاتفاقية بعدًا دوليا جعل من الصعوبة على دول حوض النيل ان تتجرد من قيد

١-لورد لويد :هو جورج لويد سياسي بريطاني من عائلة ثرية، كان والده مدير بنك " اللويدز " احد أشهر البنوك البريطانية في لندن ،تقلد العديد من المناصب والوظائف الحكومية، أهمها حكم مستعمرة بومباي عام ١٩١٨-١٩٢٣ في الهند ، وعضوية مجلس العموم البريطاني عام ١٩٢٣ ، ومندوبا ساميا لبريطانيا في مصر ١٩٢٥-١٩٣٠ ،عرف عنه حبه للأبهة والمظاهر ،فعلى سبيل المثال انه قد بنى له ثلاث قصور فخمة في بومباي أثناء حكمه والتي كانت غير مألوفة بين الحكام البريطانيين، واتسمت سياسته في مصر بالحيلة والمكر وتحريك بعض الأطراف ضد بعض لإضعاف الحكومات المصرية، وجعل مقام المندوب السامي لا يتعرض له احد ومن ابرز انجازاته في مصر توقيع اتفاقية عام ١٩٢٩. لمزيد من التفاصيل ينظر: محسن محمد،الشيطان تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ،دار المعارف،القاهرة، ١٩٨٩ ،ص٦-١٠.

٢- لمزيد من التفاصيل حول الاتفاقية ينظر: منال عباس الخفاجي، العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦-١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،٢٠٠٥ ، ص٥١؛ محسن محمد،المصدر السابق،ص٢٧٦.

هذه الاتفاقية [١]، وبالذات السودان [٢].

مع انتهاء عقبة مهمة متمثلة بضمان عدم تعرض بريطانيا لمشاريع الري المصرية الواقعة خارج حدودها ، فأنها واجهت عقبة أخرى تمثلت ب"الأزمة الاقتصادية العالمية" عام ١٩٢٩ [٣]، التي وصلت آثارها إلى مصر عام ١٩٣٠ ، حيث انخفضت أسعار القطن المصري كثيراً فمن ٢٠ ريال[٤] للقنطار الواحد عام ١٩٢٩ إلى ١٢ ريال عام ١٩٣٠، واضطر كثيراً من الفلاحين للتخلي عن ممتلكاتهم ليبيعوها ويشترون بها ما يحتاجونه من قوت لهم ولعيالهم ، ويرهنوا أراضيهم لتسديد الدائنين والضرائب الواقعة عليهم[٥] .

تحركت الحكومة المصرية سريعا لمعالجة أثار هذه الأزمة على الزراعة والفلاح المصري ، باتخاذ عدة إجراءات منها ، تحديد أسعار القطن وكذلك إيقاف بيع الأراضي الزراعية أو رهنها والعمل على توسعة الرقعة الزراعية من اجل زيادة حجم الملكية في مصر بما يسهم في شمول

1- Jeevan Vasagar, storms lie ahead over future of Nile, Guardian UK, no4692, February 13, 2004: WWW NTZ.INFO /gen/b00325/htm

٢-لقد استغلت الحكومات السودانية حدوث ثورة تموز في مصر، وتدهور علاقات النظام الجديد فيها مع بريطانيا للتلويح بعدم شرعية معاهدة ١٩٢٩ ، وإنها باطلة لعدم اخذ الحكومة البريطانية عند توقيعها رأي الشعب السوداني فيها ، وسيتطرق الباحث لها في الفصل الثاني، وبشكل مفصل للمفاوضات المصرية السودانية حول تقاسم مياه النيل ، ومن ضمنها اتفاقية عام ١٩٢٩.

٣- الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ :هي أشهر الأزمات الاقتصادية العالمية التي ضربت الدول الرأسمالية وامتدت الى دول العالم، وكان منشأ الأزمة انخفاض سريع ومفاجئ في الأسهم والسندات في شارع وول ستريت"Wall street" إلى أكثر من أربعين نقطة في يوم واحد، ومن ثم انهيار الأسواق والبنوك والشركات في الولايات المتحدة حتى وصل عدد العاطلين عن العمل ١٢ مليون نسمة. لمزيد من التفاصيل ينظر:ناهد إبراهيم دسوقي ،دراسات في التاريخ الأمريكي ،،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٩٧،ص١٥٣.

٤- الريال عملة مصرية قديمة تعادل ٢٠قرش مصري ، بخلاف عملة الجنيه المستخدمة في مصر ضمن مدة الدراسة التي تعادل حوالي ١٠٠قرش . لمزيد من التفاصيل ينظر:سنان صادق حسين الزيدي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مصر١٩٥٢-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ،٢٠٠١،ص٩٥ .

٤-مازن مهدي الشمري،إسماعيل صدقي ودوره في السياسة المصرية ١٨٧٥-١٩٥٠،رسالة ماجستير غير منشوره ،كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،٢٠٠٥، ص١٤٩.

الطبقات الفقيرة من سكان الريف بأراضي جديدة من خلال بناء سد جبل الأولياء الذي شُرع العمل في تنفيذه عام١٩٣٣ ليكتمل في عام ١٩٣٧[١]. وهكذا استمرت فكرة السد العالي دون أي تطور حتى انتهت الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥).

المبحث الثاني:المقدمات

ظهرت الحاجة إلى بناء السد العالي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ لأسبابٍ عدة أهمها:

١-استنفاذ طاقة الأراضي الزراعية :حيث شكلت الحرب عنصراً سلبياً على الأراضي الزراعية إذ أصبحت جيوش الحلفاء (بريطانيا والقوات المنضوية تحتها)محاصره من دول المحور (المانيا وحلفائها) في مصر ، ولم تعد قادرة على الحركة، فضلاً عن حاجة الشعب المصري الى المواد الغذائية فتحركت الحكومة نحو زراعة الأراضي بأكثر من محصول وموسم زراعي، مما افقد الأرض خصوبتها وقدرتها على الإنتاج الزراعي، فظهرت الحاجة إلى استصلاح أراضٍ جديدةٍ ،وبما إن هذا لا يتم ألا بمعالجة مشكلة تذبذب مناسيب نهر النيل، فاتجهت الأنظار نحو فكرة السد ومشاريع التخزين الدائم [٢].

٢-تزايد أعداد السكان في مصر بشكل كبير حيث وصل عددهم عام ١٩٤٧حوالي (١٨,٩٦٧) مليون نسمة، بينما كانت الأراضي الزراعية لا تزيد مساحتها على (٥,٧٤)مليون فدان ، وهذا ما شكل عنصر ضغط قوي على الأرض الزراعية وأنهكها ، فأصبحت غير قادرة على مواكبة الزيادة العددية في السكان[٣].

١- مازن مهدي الشمري، المصدر السابق،ص١٥٢.

٢-جمال فيصل، التطورات الاجتماعية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢، أطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص١٠٣.

٣-محمد فريد فتحي، المصدر السابق، ص١٥٣.

٣- فشل مشاريع التخزين الموسمي، كخزان أسوان وجبل الأولياء وأعمال الري من ترع وقناطر في توفير كميات المياه المطلوبة للزراعة في مصر،وفشلها في حماية البلاد من خطر الفيضانات المدمرة التي كانت تضرب مصر بشكل متكرر(١)، كما حدث في عام١٩٤٥ والذي تسبب في غرق القرى والأراضي الزراعية في صعيد مصر وتضرر أملاك الفلاحين وقوتهم وهلاك مواشيهم ، كما سبب هجره داخلية من المناطق المتضررة إلى مناطق أكثر أمنًا فنتج عن ذلك حصول زخماً في السكن(٢).

هكذا هيئت هذه الأسباب لظهور فكرة السد العالي كحل عملي وواقعي لمشكلة تذبذب مياه النيل على يد المهندس المصري أدريان دانينوس"Adrian Daninos"(٣)، مستمداً مشروعه من فكرة قديمة طرحها الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت(٤)، فطوّرها وادخل عليها تعديلات ، فظهر مشروعة الذي يهدف إلى تخزين مياه النيل في جنوب مصر عند أسوان ، وبسعة خزنية تصل إلى نحو (١٧٥) مليار م٣/سنة وبطاقة كهرومائية تصل إلى(١٤) مليار كيلو واط / ساعة سنوياً من خلال إقامة سدٍ عملاقٍ على نهر النيل ، فقام بطرحها على حكومة النقراشي باشا(٤).

١-يسرى الجوهري،جغرافية الشعوب الإسلامية ،،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٩٩٥ ،ص٣١٧-٣١٨.

٢-عبد المنعم بلبع ،الماء ودوره في التنمية ، دار المطبوعات الجديدة ،الإسكندرية ،١٩٨٦، ص٢٩٨؛ جمال فيصل ،المصدر السابق، ص١٠٣.

٣- أدريان دانينوس:مهندس زراعي من أسره يونانية توطنت الإسكندرية ، ولد في الإسكندرية عام (١٨٨٧) وتوفي عام (١٩٧٦) ، وله يرجع الفضل في ظهور فكرة السد العالي إلى الواقع . لمزيد من التفاصيل ينظر: جريدة الأهرام،العدد ٤٣٢١٤ ،٣١/آذار/٢٠٠٥.

٤-تتضمن فكرة نابليون بونابرت (١٧٩٩م-١٨١٤م) التي أطلقها من منفاه في سجن سانت هيلانه عام١٨١٤قائلاً ((أذا قدر لي أن احكم مصر فلن اسمح لنقطة واحدة من مياه النيل بان تذهب إلى البحر الأبيض المتوسط))،نقلاً عن رشدي سعيد،نهر النيل ،،دار الهلال ،القاهرة، ٢٠٠١ ،ص٣٢٦.

٤-محمود فهمي النقراشي :سياسي مصري (١٨٨٨-١٩٤٨) شارك في ثورة ١٩١٩ واعتقل ونفي مع سعد زغلول في المرة الثانية عام ١٩٢٠، ويعد من المتهمين باغتيال السردار لي ستارك ،تولى رئاسة ثلاثة وزارات مابين (١٩٤٥-١٩٤٨)، وقد حفل تاريخه بأهم نكسة في تاريخ العهد الملكي ألا وهي صفقة الأسلحة =

تصور دانينوس أن حدوث فيضان عام ١٩٤٥ المدمر الذي كلف مصر الكثير من الخسائر انه كفيل بتحرك الحكومة المصرية نحو قبول فكرته التي تتلائم مع الغليان الشعبي ضد الوجود العسكري البريطاني ، والذي دفع القيادة المصرية وعلى رأسها الملك فاروق إلى المطالبة بجلاء القوات البريطانية عن مصر ،غير إن البريطانيين لم يأبهوا بتلك المطالبة وتمسكوا بموقفهم المتزمت ، لان مصر تعد لهم قاعدة حيوية ومهمة في الشرق الأوسط [١] . ويبدو أنّ بريطانيا كانت لا تأخذ بكلام القادة المصريين على محمل الجد وخصوصا فاروق الذي خبروه من قبل في أزمة شباط عام١٩٤٢[٢] ، اذ كان شخصاً "جباناً " ليس له موقف شجاع [٣].

= المغشوشة في حرب فلسطين ١٩٤٨، وقد اغتيل على يد الأخوان المسلمين بعد ما قام بحل جمعيتهم، لمزيد من التفاصيل ينظر:لمى مطيعي ،موسوعة نساء ورجال من مصر ،دار الشروق ،القاهرة ،٢٠٠٣، ص ٦٧٧-٨٦.

١- د.ك.و، السجلات البريطانية،رقم الملفة٦٠١، مشاكل المصريين والعراقيين في الشرق الأوسط، ١٩٤٥-١٩٤٦ ،ترجمة مؤيد الونداوي،الوثيقة رقم ١٩،ص٤٠.

٢- أزمة شباط عام ١٩٤٢:هي أزمة سياسية حدثت بين مصر وبريطانيا في شباط عام ١٩٤٢ ، نتيجة إصرار الملك فاروق على عدم فسح المجال لمصطفى النحاس باشا في ترأس أي حكومة خلال الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)، لكرهه الشديد له ولحزبه (حزب الوفد)الذي كان ينتهج سياسة مستقلة عن هيمنة القصر ويعتمد على شعبيته الجماهيرية ، قابلها إصرار السفارة البريطانية على تولي النحاس باشا الحكومة وان يشكل وزارة وفدية خالصة بناءً على رغبة الأخير، ونتيجة تعنت فاروق قام السفير البريطاني اللورد كيلرن"Lord Killearn" بمحاصرة القصر بالدبابات وإنذر فاروق بوجوب تعيين النحاس باشا رئيساً للحكومة ودون تردد ، فوافق الملك على ذلك ودون معارضة تذكر. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد أنيس،حريق القاهرة في ٢٦كانون الثاني١٩٥٢ على ضوء وثائق تنشر لأول مرة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،١٩٧٢،ص٤١؛ تريفور أيفانز ،مذكرات اللورد كيلرن١٩٣٤-١٩٤٦، تعريب:عبد الرؤوف عمرو، ج٢، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٥، ص٤٦-٤٩.

٣- كريم ثابت،فاروق كما عرفته،تقديم: محمد حسنين هيكل،،دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٦٢.

إن هذه الظروف أغرت دانينوس وجعلته يتصور أن الفرصة ستكون سانحة لتقبل مشروعه ،ألا انه فوجئ برفضه رفضاً تاماً حتى أنهم لم يعيروه أي اهتمام ، بحجة أن منطقة شلالات أسوان غير مناسبة لبنائه[١]. ويبدو أن إصرار الحكومة المصرية على رفض فكرة السد العالي والإصرار على تخزين مياه النيل في دول الحوض ، راجع إلى شعورها بان بريطانيا ليست العدو الحقيقي لها ، وأنها لم تدخل في صراع حقيقي معها ، كما أن غالبية الساسة المصريين في ذلك الوقت يوالون بريطانيا ويتجنبون معارضتها ، وان صدرت منهم مواقف شديدة فهي للاستهلاك المحلي لا غير.

كما أن التوجه نحو منابع النيل يضفي بعدًا إقليميًا للمملكة المصرية، ويظهرها وكأنها دولة قوية ومقتدرة وليست دولة منتهكة السيادة من قبل بريطانيا لا تملك قرارها ،حتى أن الملك فاروق اقترح عام١٩٤٨ على حكام دول الحوض أنشاء دولة موحدة من دولهم برئاسته ، والتي رفضها إمبراطور الحبشة "هيلاسيلاسى" ، معتبرها مصادرة لحقوقه الإمبراطورية ، وأنها تجاوز على مكانة الحبشة بين تلك الدول [٢] .

وبما أن الحكومات المصرية بعد الحرب، كانت بحاجة إلى التخزين المستمر لأجل زيادة مساحة الأراضي الزراعية، فأخذت وزارة الأشغال العامة والموارد المائية بتشكيل لجنة متخصصة في الهندسة الاروائية ،مهمتها دراسة مشاريع التخزين على مياه النيل في بحيراته الاستوائية في زائير وفيكتوريا في عام ١٩٤٧ والتي أكملت أعمالها عام ١٩٤٨ بدراسة مستفيضة، [٣] تناولت مقترحات حول التخزين المستمر على النحو التالي :

١-جورج فوشيه ،جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء ،،تعريب:نجده هاجر وسعيد القز، منشورات المكتب التجاري ،بيروت ،د.ت، ص ٢٧٢-٢٧٣.

٢-محمد صفي الدين أبو العز وآخرون ،المصدر السابق،المجلد٢، ص٥٧٢.

٣- تولى أعداد هذه الدراسة مجموعة من مهندسي الري في الوزارة هم:عثمان محرم ،وعبد القوي احمد ،وحسين سري . لمزيد من التفاصيل ينظر:صلاح الشامي، نهر النيل دراسة موضوعية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص١١٦.

١- شق قناة جونجلي جنوب السودان لتقليل الفاقد من مياه بحر الجبل والزران في منطقة السدود [١] ذلك العائد الذي يقدر بنحو ٥٠% من الإيراد الواصل إلى تلك المنطقة مع استخدام البحيرات الاستوائية في الكونغو الديمقراطية وأوغندا لغرض التخزين كخزانات طبيعية ذات سعة ضخمة تناسب هذا الغرض.

٢-استخدام خزان تانا لغرض التخزين الدائم والتي تصل سعتها التخزينية الى٣,٥ مليارم٣[٢].

٣-أنشاء مشروع خزان مروى في السودان على نهر النيل، للوقاية من خطر الفيضانات وللتخزين الصيفي بمعدل ٣مليار م٣ مع تنظيم ما يتصرف من البحيرات الاستوائية وبحيرة تانا[٣].

٤-إنشاء سد أوين على مخرج بحيرة فيكتوريا في اوغندة[٤].

وفي ظل مساعي دانينوس لكسب أنصارٍ جُدد لفكرته، عمل على استشار الخبير البريطاني ار.ب.بلاك "R. P. Black" (رئيس قسم الطبيعيات في وزارة الأشغال العامة المصرية) في

١- منطقة السدود: وسميت بهذا الاسم لان النباتات في هذه المنطقة تنمو وسط المياه نتيجة بطئ جريان نهر النيل عند منطقة بحر الجبل، مما يتسبب في ظهور المستنقعات والسدود النباتية التي تعيق حركة الملاحة النهرية ، فضلا عن مساهمتها في ارتفاع معدلات التبخر في مناسيب نهر النيل عندها. لمزيد من التفاصيل ينظر:جوده حسين عوده ،جغرافية أفريقيا الإقليمية ،،منشأة المعارف،الإسكندرية ،١٩٩٦، ص ١٦٢ -١٦٤.

٢-عبد العظيم أبو العطا وآخرون ،المصدر السابق ، ص٦١-٦٢.

٣-لقد ظهرت الحاجة أليه بالإضافة الى مشروع خزان تانا، عندما حاول رئيس الوزراء المصري علي ماهر في وزارته الثانية(١٩٣٩-١٩٤٠) ، أن يزيد من حجم الرقعة الزراعية في مصر بنحو٥٠٠الف فدان شمال الدلتا . لمزيد من التفاصيل ينظر: د.ك.و، ملفات البلاط الملكي ،تقارير المفوضية العراقية في القاهرة ،رقم الملفة٧٢٩ /٣١١ ، تقرير شهر أيار عام ١٩٤٠، رقم الوثيقة ٦٠، ص١٩٩.

٤-هو المشروع الوحيد الذي كتب له النجاح ، حيث وقعت الحكومة المصرية مع الحكومة الأوغندية اتفاقية في عام ١٩٤٩، لتنظيم عملية بناء السد الذي يستخدم لتخزين مياه النيل لكليهما ، وتوليد الطاقة الكهربائية لأوغندا فقط وقد اكتمل بناءه في عام ١٩٥٤ ، والمؤسف أن مصر لم تستفد منه لوقوعه خارج حدودها، مما حرمها من الانتفاع منه خصوصا مع توتر العلاقات بين بريطانيا ومصر ، وتأثيرات ذلك على فاعلية التخزين خارج حدودها . لمزيد من التفاصيل ينظر:سامي مخيمر وخالد حجازي ،المصدر السابق ،ص٢٤.

عام ١٩٤٨، وطلب منه رأيه في خصوص أمكانية أنشاء السد العالي عند أسوان لتخزين مياه النيل بشكل دائم ، فأجابه الأخير بإمكانية تحقيق ذلك المشروع على الارض ، وان هذا السد المقترح قادر في حالة إنشائه على استيعاب كميات من المياه تصل حتى ١٥٧مليارم٣/سنة [١]، لكن دانينوس لم يكتفي بذلك بل أتصل بزميله الخبير الايطالي في مشاريع السدود والري لويجي غاليولي"L. Galiouli" للاستفادة منه في دراسة المشروع دراسة مفصلة وأكثر دقة مما قام به دانينوس، باعتبار الأخير لم يكن سوى مهندس زراعي غير متخصص في شؤون الري وإقامة السدود، بخلاف زميله الايطالي الذي كان ذو باعٍ طويل في هذا التخصص[٢].

وقد قام الأخير بدراسته دراسة معمقة لمشروع دانينوس ، وقدم تقريراً بذلك لحكومة النحاس باشا في عام ١٩٥٠ ، اكد فيه على أمكانية بناء السد العالي في أسوان في مدة لا تتجاوز أربع سنين و بتكلفةٍ أجمالية تبلغ(٧٠) مليون جنيه، لكن وزير الأشغال العامة في حكومة النحاس باشا عثمان محرم باشا[٣] كان متصلباً وثابتاً على موقفه من ترجيح التخزين الدائم في البحيرات الاستوائية على مشروع دانينوس وزميله، فرجع الاثنان خائبان دون نتيجة تذكر فاضطر غاليولي للرجوع الى بلاده (ايطاليا) ، بعدما أمضى سنتين من دراسة مشروع السد العالي في مصر وبذلك انتهت فكرة السد دون رجعةٍ طيلة العهد الملكي وحتى حدوث ثورة تموز عام ١٩٥٢في مصر والتي قبلت الفكرة وجعلتها حقيقة على الأرض ورفعت شأن أدريان دانينوس الذي كان مهمولاً وينظر أليه بسخرية فأصبح بطل ثورة تموز بوصفه مهندس أعظم مشاريع الثورة على الإطلاق ، واليه يرجع الفضل في ذلك [٤]. وهكذا يظهر واضحاً أن عدم

1- J. V. Suteliffe & Y. P. Park, The Hydrology of the Nil, IAHS Special Publication, No. 5, 1999.P.155.

٢- جورج فوشيه،المصدر السابق،ص٢٧٣.

٣-بعد وصول الضباط الأحرار الى الحكم في عام ١٩٥٢ قدم عثمان محرم إلى "محكمة الثورة "المتخصصة بمحاكمة خصوم الثورة والمفسدين وتم محاكمته بتهمة تبذير المال العام هو وزوجته . لمزيد من التفاصيل ينظر : لمى المطيعي ،المصدر السابق،ص ٥٠٥.

٤-جورج فوشيه،المصدر السابق،ص٢٧٣.

الاستفادة من العقول المصرية، جعلت المملكة المصرية تعاني من شحة المياه طيلة العهد الملكي حتى مجيء ثورة ٢٣تموز عام ١٩٥٢، وتقبل قادة الثورة فكرة دانينوس وأخذها على محمل الجد.

المبحث الثالث: المعوقات

تعرض مشروع السد العالي، على الرغم من فوائده الكثيرة لمصر، إلى معوقات وموانع جعلته يتأخر في تنفيذه إلى مجيء ثورة تموز عام ١٩٥٢، ويمكن أبراز الأسباب التي حالت دون تنفيذه طيلة العهد الملكي بالشكل الآتي :

١-توتر العلاقات بين مصر وبريطانيا : فقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٦-١٩٥٢) تصاعد الحركة الوطنية وتزايد المطالب الشعبية بجلاء القوات البريطانية عن مصر، الأمر الذي أسهم في توتر العلاقات السياسية بين البلدين[٢] ، وهو ما أدى إلى توجه النقراشي باشا من تموز-تشرين الأول عام ١٩٤٧ إلى مجلس الأمن[٣] ، ومطالبته بحل

١- ظاهر محمد صقر الحسناوي،الرؤية الأمريكية للصراع المصري لبريطاني من حريق القاهرة إلى قيام الثورة ،،مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ،أبو ظبي، ١٩٩٩ ، ص١٠-١٢.

٢- مجلس الأمن : إحدى تشكيلات هيئة الأمم المتحدة الأساسية ، ويتكون من ١٥ مقعداً منها خمسة دائمة العضوية تمثل الدول الكبرى وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين وتمتلك هذه الدول حق استخدام النقض(Vito)، ضد أي قرار لا ينسجم مع مصالحها والبقية غير دائمية من جميع دول لعالم ويتغيرون سنويا وينتخب بدلهم دول أخرى ،ومهمة المجلس احتواء ومعالجة الأزمات الدولية ،ويحتوي المجلس على عدة لجان وهي لجنة نزع السلاح ولجنة الترتيبات الجماعية ولجنة قبول الأعضاء الجدد ولجنة الخبراء القانونيين ، وعلى الرغم من دوره في احتواء الأزمات الدولية، لكنه يمتاز بسلبية خطيرة متمثلة بسيطرة الدول الكبرى عليه . لمزيد من التفاصيل ينظر: حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن دراسة التنظيم الدولي منذ ١٩٤٥، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥، ص٩٦-٩٩.

مشكلة مصر حلاً جذرياً، لكن جهوده فشلت عندما وقفت الولايات المتحدة ضد محاسبة بريطانيا ، وفضلت عدم التفريط بحليفتها لحساب مصر ، ورغم وقوف الدول الصغيرة كالبرازيل وكولومبيا داخل المجلس إلى جانب مصر ، فأنها كانت غير قادرة على فعل شي مع تمتع الدول الكبرى كالولايات المتحدة وبريطانيا بحق النقض[١].

واشتدت الأزمة كثيراً بعد وصول مصطفى النحاس باشا للحكم عام١٩٥٠ ، وتصاعد حدة الخلافات بين مصر وبريطانيا حول مسألة عائدية السودان لمصر ورفض البريطانيين ذلك ومسألة جلاء القوات البريطانية حتى وصل الحال إلى إلغاء اتفاقيتي عام١٨٩٩[٢] وعام١٩٣٦[٣] ، واندلاع الأعمال المسلحة بين مجاميع الفدائيين المسلحين المصريين والقوات البريطانية في منطقة القناة [٤] . ومن المرجح أن مثل هكذا توتر سينعكس على مشاريع الري خصوصاً إنها تقع ضمن سيطرة بريطانيا في دول الحوض .

١-محمد حسين هيكل ،مذكرات في السياسة المصرية ،ج٣، ط٢، دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٧،ص٧٥-٨٣.

٢-اتفاقية عام١٨٩٩: اتفاقية عقدتها الحكومة البريطانية مع الحكومة المصرية بعد احتلال القوات البريطانية للسودان على خلفية (أزمة فاشودة) عام ١٨٩٨ ، وتضمنت مشاركة بريطانيا مصر في حكم السودان بما عرف باتفاقية (الحكم الثنائي) التي كان قادة حزب الوفد يرفضوها ولا يعطوها الشرعية منذ عهد سعد زغلول باشا ، الذي رفض مفاوضة بريطانيا عندما كان في الوزارة وحتى وصول النحاس باشا وفق هذه الاتفاقية . لمزيد من التفاصيل ينظر:محمود أبو الفتح ،المسألة المصرية والوفد، دار البستاني،القاهرة، د.ت،ص٣٦٠؛ جاد طه ،بريطانيا والجيش المصري في ضوء الوثائق البريطانية،ص١٤.

٣-اتفاقية عام١٩٣٦ :معاهدة عقدت بين مصر وبريطانيا تضمنت العلاقات بين الجانبين وحددت وضع القوات البريطانية في مصر ، وعلى أثرها دخلت مصر في عصبة الأمم ويرجع لمصطفى النحاس الفضل الأكبر في انجازها . لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد زكريا الشلق ، معالم من تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر،الدوحة، ١٩٩٦ ،ص١٩٦ ؛ منال عباس الخفاجي ،المصدر السابق،ص٧٧.

٤- شوقي الحمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ مصر المعاصرة، ، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦١٠.

٢-تعرض المشاريع الأروائية والاقتصادية في مصر الى عقبة المساومات الحزبية ، التي كانت تعطل تنفيذ الكثير من القرارات والمشاريع تحت ذرائع كثيرة ، كي تسقط وزارة السياسي الفلاني أو تقلل من شعبيته حتى لا يترشح للانتخابات مرة أخرى ، وكان ذلك على حساب الشعب المصري المتضرر الأكبر منها ، كما حصل مع مشروع كهرباء سد أسوان في مملكة مصر[١] ، وكذلك مشروع سد جبل الأولياء في السودان [٢].

٣-عدم ظهور النزعة الاستقلالية :إذ لم تكن القيادة المصرية مع كل الخلافات التي حدثت مع بريطانيا تريد الخروج عليها ، وإنما كانت هي مطالب الشعب المصري التي تعالت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان على القيادة المصرية التماشي معها ، فهي لم تكن عازمة على معاداة بريطانيا لما في ذلك من تهديد لمصالحها في السودان وتعريض حصص المائية للخطر ، فكانت تقبل الرضوخ لها على اتخاذ قرار جريء مثل قرار بناء السد العالي داخل مصر، كما فعل جمال عبد الناصر ورفاقه بعد ما وصلوا للسلطة في عام ١٩٥٢[٣]. وهكذا فشلت جميع الجهود المبذولة لمعالجة مشكلة المياه في مصر، ولم تكتب لفكرة السد العالي النجاح الذي اخذ دانينوس على عاتقه ، طرحها كحل واقعي لمشكلة المياه في البلاد حتى نهاية العهد الملكي ، ومجيء العهد الجمهوري في ٢٣تموز ١٩٥٢، فنالت الفكرة الترحيب والقبول من القيادة المصرية الجديدة.

١- كان أساس مشكلة مشروع كهرباء سد أسوان القديم هو اتهام وزارة المالية في حكومة النحاس باشا عام١٩٣٧ م، باختيار شركة شل "shill"، دون موافقة البرلمان مسبقاً ودون إخضاعها الى المناقصة ، فاستغلت المعارضة هذه الفرصة وشنت حملة قوية مدعومة من القصر والمقربين منه كمحمود فهمي النقراشي واحمد ماهر ضد رئيس الحكومة النحاس باشا ، حتى سقطت وزارته واجل تنفيذه ونوقش آخر مرة في عام ١٩٤٨ في حكومة النقراشي ولم يبت به البرلمان. لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد العظيم رمضان ،الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦-١٩٣٩،ط٢،المكتبة العالمية ،بغداد ،١٩٨٥،ص٤٢؛ محمد حسين هيكل ،مصدر سابق ،ص٨٦-٩٠.

٢- حيث عارضت صحف الوفد وبشدة بنائه في السودان، واعتبرته تبذيراً للمال العام، مما أخر بنائه حتى عام ١٩٣٧ .لمزيد من التفاصيل ينظر : جعفر عباس حميدي ،التطورات السياسية في مصر ١٩٣٠-١٩٤٢ في ضوء الوثائق،،بيت الحكمة ،بغداد ،٢٠٠٢،ص٥١٨.

٣- سامي مخيمر،وخالد حجازي ،المصدر السابق ،ص١٢٨.

الفصل الثاني

الآثار السياسية لمشروع السد العالي

المبحث الأول//أزمة التمويل ومواقف الدول الكبرى منها

المبحث الثاني// سحب القروض الغربية وأثرها في تطور الأوضاع السياسية في مصر

المبحث الثالث// العلاقات المصرية السودانية في ضوء اتفاقية تقاسم المياه في عام ١٩٥٩

المبحث الرابع// دور السد العالي في توطيد العلاقات المصرية-السوفييتية

المبحث الأول//أزمة التمويل ومواقف الدول الكبرى منها

بعد أن حدثت ثورة تموز عام ١٩٥٢ في مصر، حاول الضباط الأحرار تحسين الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمصر، رغبة منهم في كسب الجماهير أليهم، وبما أن مشروع السد العالي كان من المشاريع العملاقة التي يمكن أن تحقق ذلك نظراً لفوائده الكثيرة [١].

وعليه فقد عمد القادة الجدد على دراسة المشروع بعد وصولهم للسلطة بمدة قليلة، وذلك في٨تشرين الأول عام١٩٥٢في مجلس قيادة الثورة[٢]، مابين عامي (١٩٥٢–١٩٥٤)للتعرف على جوانبه الايجابية والسلبية [٣]، تحت أشراف رئيس الجمهورية محمد نجيب (ايلول ١٩٥٢– تشرين الثاني١٩٥٤)،الذي أولى المشروع اهتماماً كبيراً وعدّهُ خطوة ناجحة ومثمرة في سبيل النهوض باقتصاد البلد نحو التقدم ،حتى انه حاول أن يوفر له ممولين، سواء أكان ذلك من المعسكر الشرقي أو الغربي ، على الرغم من انه مازال قيد الدراسة ، وبذلك يكون نجيب أول من فاتح السوفيت بخصوص ذلك [٤].

بيد أن المصريين كانوا يعرفون أن طلب التمويل من أحدى المعسكرين سيوقعهم في مشاكل كثيرة ، لذلك قرروا أن يتجهوا إلى البنك الدولي للتنمية والأعمار"I.B.R.D"[٥] ، الذي كانت

١– محمود زكي عبد اللطيف وآخرون ، السد العالي ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٧١ ،ص٧٨ .

٢– مجلس قيادة الثورة : هو تشكيل سياسي ألفه الضباط الأحرار بعد الثورة، لمراقبة أعمال الحكومة في عهد علي ماهر ومحمد نجيب ،وقد اخذ على عاتقه دراسة المشاريع المهمة وسياسات البلد، كان ابرز أعضائه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وآخرون ، وكان عدد أعضائه ١٤ عضواً . لمزيد من التفاصيل ينظر: خالد محي الدين، والآن أتكلم، مركز الأهرام للنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٧٤ – ١٧٦ .

٣– موسى عرفة،السد العالي ،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٥،ص٣٦–٣٧,

٤– محمد نجيب، كنت رئيسا لمصر ،ط٢، المكتب المصري الحديث للنشر ،الإسكندرية ١٩٨٤، ص٤٧.

٥– البنك الدولي(IBRD(International Bank Reconstruction Development":منظمة دولية تابعة للأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٤ في مؤتمر" بريتون وودز "على يد الدول الكبرى الصناعية ، وتملك الولايات المتحدة فيه حق الفيتو ضد أي قرار يصدر منه ويجب أن يكون المدير أمريكيًا بحكم المشاركة المالية الضخمة لها فيه. لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع الاقتصادي ، ج٢ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ ،ص٧٦٣ .

مصر أحدى الدول الأعضاء فيه، وقدموا طلب بذلك في كانون الثاني عام ١٩٥٣ ابدوا رغبتهم في أن يساهم البنك الدولي في تمويل مشروع السد العالي ،غير أنه رفض ذلك حتى تكتمل الدراسات التمهيدية التي كانت الحكومة المصرية تقوم بها على المشروع ومن ثم سيحدد هل من الممكن تمويله أم لا؟وبعد أن اكتملت المرحلة التمهيدية أرسلت مصر من جديد ، كتاباً رسمياً أليه وذلك في أيلول عام ١٩٥٤ تطلب منه إرسال بعثة لدراسة المشروع ، وعندها قرر البنك الدولي إرسال بعثة فنية –أي متخصصة في شؤون الأعمار وبناء السدود– إلى مصر في نفس الشهر قامت بدراسته وأكدت في تقريرها على فائدة المشروع الكبيرة وإمكانية بنائه ، تبعتها بعثة أخرى ذو طابع اقتصادي، لمساعدة المصريين في وضع برنامج اقتصادي ومالي متكامل يساعد في تغطية تكاليف السد الضخمة التي تناهز٤٠٠مليون جنيه تقريباً ، وذلك في تشرين الثاني عام١٩٥٥[١].

فعزمت الحكومة المصرية على مخاطبة البنك عن قرب ومعرفة موقفه من مسالة توفير الأموال اللازمة لبناء السد العالي، فأرسلت وفداً حكومياً برئاسة وزير المالية عبد المنعم القيسونى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فالتقى مدير البنك الدولي يوجين بلاك "Eugene Black" وتباحث معه حول موقف البنك الدولي من تمويله، وذلك في كانون الأول عام١٩٥٥[٢].

وقد وافق البنك الدولي على تمويل المشروع ولكن بشروطٍ محددة منها: تصفية الخلافات مابين مصر من جهة وبريطانيا وإسرائيل من جهة أخرى ، وكذلك أن تقوم السلطة القائمة بأجراء استفتاء لمعرفة موقف الشعب المصري من تمويل البنك الدولي له ، مادامت البلاد تفتقد إلى برلمان يمثل الشعب،الا أن هذه الشروط المعقدة دفعت الرئيس المصري جمال عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠)إلى التوجه نحو الشركات الغربية (البريطانية ،والفرنسية، والألمانية) ، التي كانت تعمل في مصر وحثها على المساهمة في تمويله، لاسيما أنها قدمت عروضها من قِبَل لعبد الناصر بإقراض مصر مبلغاً قدره (٥) مليون جنيه عن كل شركة ولأجل

١–إبراهيم شحاته،البنك الدولي والعالم العربي تحديات وآفاق الاقتصاد المصري ،دار الهلال،القاهرة، ١٩٩٠،ص٤١–٤٣.

2-Yusuf. A .Shibl, The High Dam, The American University Beirut, Beirut ,1971,p.31.

رفع حجم القرض المقدم إلى أكثر من ذلك، أرسلت مصر وزير المالية عبد المنعم القيسوني إلى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية للحصول على قرض قدره (٤٥) مليون جنيه مصري ، ألا أنها لم تحصل على ذلك القرض المنشود ، بل وعدت بالحصول على قرض بقيمة (٢١)مليون جنيه منها مليون جنيه من بريطانيا والبقية من الجانب الأمريكي[1] .

ولما لاحظ المصريون أن الأمريكيين هم أكثُر الأطراف تجاوبًا معهم ، حاولوا تعزيز ذلك بمباحثات سرية بعيداً عن تدخل البريطانيين ، فتوجه وزير المالية عبد المنعم القيسوني الى الولايات المتحدة الأمريكية وأجرى اتصالات مكثفة بالمسؤولين الأمريكيين واتفق معهم على حصول مصر على مساعدة مالية لبناء السد العالي [2].

لقد عكس الموقف الأمريكي رغبة أمريكية لتقوية علاقاتها الدبلوماسية مع الدول العربية تمهيداً لدور أمريكي مستقبلي في المنطقة العربية، وكان هذا الاتجاه يحظى بتأييد من بعض رجال المخابرات والساسة الأمريكان[3]، في حين كان هناك اتجاه آخر يرفض تقوية العلاقات مع العرب ويطالب بعلاقات وثيقة ومتينة مع إسرائيل [4]،إلا أن الاتجاه الأول كان أكثر قوة في هذه المرحلة ويحضى بتأييد الرأي العام الأمريكي حتى انه ظهرت أصوات تطالب بالتخلي عن إسرائيل استرضاءًا للعرب[5] .

١- اخترنا لك ، خطب جمال عبد الناصر، ج٧، ص١٣٤٣ .

٢- لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر: د.ك.و، ملفات البلاط الملكي ،السفارة الملكية العراقية في واشنطن ،رقم الملفة٥٠٣٨/٣١١، ١٩٥٦/٤/٥، رقم الوثيقة ٤٤، ص٧٥.

٣- هم كيم روزفلت " Kermit Roosevelt" عضو المخابرات المركزية الذي دبر انقلاب مصدق عام ١٩٥٣ وكذلك السفير الأمريكي في مصر هنري بايرود"Henry .Byroad". لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حسنين هيكل ، سنوات الغليان، دار الشروق ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٩٨-٢٠٢ .

٤-ابرز رجال هذا الاتجاه هو ماكسويل راب"Maxwell Robb " رئيس هيئة مستشاري الرئيس أيزنهاور . لمزيد من التفاصيل ينظر: د.ك. و ،م. ب.م، السفارة الملكية العراقية في واشنطن ،رقم الملفة ٥٠٣٨ /٣١١ ، ١٩٥٦/٣/١٤ ، الوثيقة رقم٥٩ ، ص ٩٨ ؛ كريم صبح ، جماعات الضغط اليهودية التنظيم الدور والتأثير في وضع القرار السياسي للولايات المتحدةالأمريكية١٩٤٥-١٩٦٩، بيت الحكمة، بغداد ،٢٠٠٩،ص ٨٧.

٥- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، السفارة الملكية العراقية في واشنطن، المصدر السابق، ١٩٥٦/٣/١٤، الوثيقة رقم ٥٠، ص ٨٣.

حاول البريطانيون عدم فسح المجال للأمريكان، للتفرد بالسوق المصرية التي كانت ضمن دائرة النفوذ البريطاني، لهذا طلبوا من عبد الناصر عرض طلبه على البنك الدولي لتمويله بعد أن وعدوه بالحصول على دعمهم، إلى جانب الأمريكان والبنك الدولي[١].

من جانبه حاول الرئيس المصري استثمار التوجه الأمريكي نحو المنطقة العربية لتحقيق أهدافه وفي صدارتها جلاء القوات البريطانية ونيل مصر سيادتها كاملةً بعد خروج البريطانيين [٢].

وعلى الرغم من رغبة عبد الناصر القوية في التخلص من الهيمنة البريطانية على بلاده الا انه ، كان يدرك ان التشدد في مفاوضاته معها حول مسألة جلاء قواتها عن بلاده ، ربما يترك أثره العكسي على مساهمتها في تمويل السد العالي الذي لا يمكن لمصر أن تبنيه بإمكانياتها البسيطة ، لذلك حاول أن يُضّمن اتفاقية الجلاء في ١٩ تشرين الأول عام ١٩٥٤على امتيازات معقولة لها في مصر كالسماح باستخدام قاعدة السويس لعملياتها الحربية في حال تعرضت تركيا للخطر [٣] .

في مقابل ذلك سعى الساسة البريطانيين إلى تدارك نفوذهم في المنطقة العربية وذلك بإقامة أحلاف عسكرية معها توطد نفوذهم فيها قبل انسحابهم من مصر، فقاموا بتشكيل حلف بغداد"Baghdad pact" [٤] ، الذي رفضه جمال عبد الناصر معتبره محاوله بريطانية لاحتواء الدول العربية ، وكذلك رفضه الساسة الإسرائيليون الذين رأوا فيه تقييداً لطموحاتهم التوسعية في المنطقة العربية ، فيما لو انضمت الدول العربية المجاورة لهم إلى حلف بغداد ، غير أنهم فضلوا السكوت عنه وعدم التصادم مع حلفائهم البريطانيين ، والاستفادة منه في ضرب

١– ميثاق بيات عبد الضيفي،أنتوني أيدن والقضية المصرية،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،د.ت، ص٢٤؛ لجنة اخترنا لك، خطب جمال عبد الناصر، ج٧، ص١٣٤٤.

٢– ظاهر محمد صقر الحسناوي ،المصدر السابق،ص٧٥؛ جمهورية مصر، القضية المصرية ١٨٨٢ – ١٩٥٤، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ،ص٧٠٤ .

٣–عبد العظيم رمضان وآخرون ، ندوة ثورة يوليو والعالم العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣،ص١٦.

٤– حلف بغداد : اتفاقية تعاون عسكري امني عقدت بين العراق وتركيا في كانون الثاني ١٩٥٥ وانضمت اليها بريطانيا وباكستان وإيران في أواخر عام ١٩٥٥ ، بهدف إيجاد جدارًا واقياً يعزل السوفييت عن المنطقة العربية يضمن تبعية دول الشرق الأوسط للغرب. لمزيد من التفاصيل ينظر:الكسييف كروتسييخ سفيتلوف ،الروح العسكرية الأمريكية،تعريب: محمود شفيق شعبان ،مطبعة الشام، دمشق،١٩٨٨،ص١٢٩.

العرب ، ولاسيما المصريين بالعمل على تأزيم العلاقات المصرية البريطانية وإفشال أي محاولة لتقويتها، بما يحول دون نجاح المصريين في بناء السد العالي الذي يعلمون خطورته فهو مشروعًا تنمويًا، يمكن ان يسهم في تحويل مصر الى دول قوية يمكن أن تهدد امن إسرائيل فقاموا بتخطيط المكائد والمؤامرات لها، بما يكفل قطع العلاقات بين مصر وكل من بريطانيا والولايات المتحدة ، كما حصل مع فضيحة لافون" Laphon" [١] التي فشلت [٢]، فاتجهوا بعدها الى التصعيد العسكري ضد المصريين، فأقدموا من خلال سفنهم الحربية في خليج العقبة على مهاجمة بعض الصيادين والأهالي المصريين في منطقة السويس وأطلقت النيران عليهم ، خارقة بذلك السيادة المصرية ومتحدية لها[٣].

وضعت التصرفات الإسرائيلية المشار إليها،الإدارة الأمريكية برئاسة ادوايت أيزنهاور (١٩٥٣-١٩٥٩) "Dwight Eisenhower" [٤]، في موضع لا يحسد عليه فلم يكن الأخير راغباً في تعميق الهوة بين العرب والإسرائيليين ، كما أن وزير خارجيته جون دالاس "John F Dulles" ، لم يطمح بالوقوف الى جانب العرب ضد إسرائيل في هذا الصراع

١-فضيحة لافون : هو مخطط مخابراتي ، قامت به المخابرات الإسرائيلية لتخريب بعض المراكز والأبنية التابعة للدول الغربية في مصر كالمركز الثقافي الأمريكي والمسرح البريطاني ، وتولى قيادة هذه العملية ديفيد بن جورين" David Ben Gurion "(أول رئيس وزراء في إسرائيل)، عندما كان خارج الخدمة(التقاعد) عام ١٩٥٤ وبدون علم رئيس الحكومة موشي شاريت" Moshe Shareet" ، وقد أطاحت هذه العملية بعد فشلها بالحكومة واتهم وزير الدفاع لافون بالوقوف وراء العملية زورًا . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد علي الحسيني البقاعي، النظام السياسي في الكيان الصهيوني ، مطبعة الأمير ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص٩٦ .

٢-المصدر نفسه،ص٩٦.

٣-د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة،رقم الملفة٣١١/٢٦٧٧، ١٢/ ١٠/ ١٩٥٤ ، رقم الوثيقة٧٦ ،ص ١٦٤.

٤- دوايت أيزنهاور:هو جنرال عسكري أمريكي ورئيس الولايات المتحدة (١٨٩٠-١٩٦٠) ، وشارك في الحرب العالمية الثانية على رأس القوات الأمريكية في أوربا وبعد انتهاء الحرب ، خاض الحملة الانتخابية الرئاسية ، وتمكن من الوصول إلى الحكم كرئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية في دورتين انتخابيتين الأولى (٥٣-١٩٥٦) والثانية(٥٦-١٩٥٩) ، لعب دورا كبيراً في التصدي للشيوعية وفي بروز أمريكا كقطب عالمي . لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة ،ج١ ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ،د.ت، ص٣٤٧ .

حتى ولو كان الحق معهم ويفضل الحيادية ومحاولة عقد الصلح بينهم [١].

ان غض الولايات المتحدة وبريطانيا النظر، عن تجاوزات إسرائيل وعدم تسليحها الجيش المصري دفع الرئيس المصري جمال عبد الناصر، إلى عقد صفقة الأسلحة مع السوفيت لتسليح الجيش المصري عرفت بالصفقة التشيكوسلوفاكية"The Czechoslovakia Deal" [٢]، التي أثارت انزعاج الأمريكان وحلفائهم وعدوها محاولة من عبد الناصر لضرب الأحلاف الأمنية كحلف بغداد الموجه لحماية الشرق الأوسط من الخطر الشيوعي السوفيتي [٣] .

فعمدوا إلى إرسال ألن دالاس"Allen Dulles" [٤] (مدير المخابرات الأمريكية) إلى مصر

١-كانت سياسة دالاس تقوم على الحفاظ على منابع النفط وعدم التفريط بها مع أرضاء إسرائيل، ينظر : د.ك.و، ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية في واشنطن، الملفة ٥٠٣٨ / ٣١١ ، ١٩٥٦/٥/١، الوثيقة رقم٢، ص٣٢ .

٢- ان الصفقة كانت في الأصل سوفيتية ألا أن الجانبين اتفقوا على تسميتها بذلك تجنبًا لمعاداة الغرب، إذ كان السوفيت يتظاهرون بأنهم لا يُسلّحون دول الشرق الأوسط ، وأنهم من دعاة السلام والمحافظة على استقرار الشرق الأوسط ، وأما الجانب المصري فلم يكن يرغب بإثارة دول المعسكر الغربي ضده ،وهناك رأي آخر يقول أن كيم روزفلت هو صاحب التسمية؛ إذ نصح جمال عبد الناصر بتسميتها بهذا الاسم تجنبًا لوقوعه في المشاكل. لمزيد من التفاصيل ينظر: احمد حمروش،مجتمع جمال عبد الناصر،ج٢،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،١٩٧٨، ص٦٧؛ مايلزكوبلاند، لعبة الأمم،تعريب:مروان خير،مكتبة الزيتونة ،بيروت ،١٩٧٠، ص١٨١ .

٣-د.ك.و،ملفات البلاط الملكي ،السفارة الملكية العراقية في واشنطن،رقم الملفة٥٠٣٨/٣١١ ، ١٢/٤/ ١٩٥٦ ، الوثيقة ٥٩ ، ص٩٨ .

٤- ألن دالاس:هو ابرز الشخصيات الأمريكية التي مارست العمل المخابراتي، ولد في مدينة واترتاون في ولاية نيويورك عام١٨٩٣ ، ونشأ في أسرة متنفذة في الدولة بدا أول نشاطه المخابراتي كملحقًا بالسفارة الأمريكية في النمسا عام ١٩١٤، حيث كان يقود من هنالك خلية مخابراتية لجمع المعلومات عن دول الوسط (المانيا وحليفاتها)خلال الحرب العالمية الأولى ، ونتيجة لجهوده تلك نقل إلى سويسرا ليمارس عمله الجاسوسي من جديد وبشكل أكثر رقياً ، حيث أصبح المسؤول الرئيسي لعمليات التجسس عن دول جنوب شرق أوربا حتى مجيء هتلر ، فكانت ابرز انجازاته في عهده أن دبر بالتعاون مع الجنرال هانز"Hans" عملية الاغتيال الفاشلة لهتلر"Hitler" في٢٠/حزيران/١٩٤٤، ونتيجةً لخدماته المهمة للإدارة الأمريكية آنذاك عين نائباً لمدير المخابرات" بيدل سميث " Beadle smith "وذلك في عام ١٩٥٠، واستمر حتى مجيء الرئيس أيزنهاور فعينه مديرًا لها عام ١٩٥٣حتى عام ١٩٦١ ، والى ألن دالاس يرجع الفضل في تحول وكالة المخابرات الأمريكية إلى مؤسسة مستقلة بنفسها ، أصبحت تحرك الأحداث السياسية في العالم وتصنع الانقلابات في الدول، ويكفيه فخرًا أن السوفيت كانوا يطلقون عليه "سيد الجاسوسية ". لمزيد من التفاصيل ينظر : اندرو تولي، CIA الجاسوسية الأمريكية،تعريب :وليم خوري ،دار دمشق، دمشق ،١٩٦٣،ص٤٧-٤٨.

لإقناع عبد الناصر بالتخلي عن الصفقة، حاملاً كتاباً من وزير الخارجية شديد اللهجة يحذر عبد الناصر من مغبة تصرفه هذا، ألا أن الرئيس المصري رد عليه بأنه سيطرد المبعوث الأمريكي أذا كان يحمل أي إنذارًا له ، مما دفع وزير الخارجية الأمريكي لسحب تهديده [١] .

وجد السوفيت أن صفقة الأسلحة قد فتحت ثغرة في الجدار الأمني، الذي حاول الغربيون أقامته أمام الشيوعية السوفيتية لمنعها من اختراق الشرق الأوسط ، ألا أن الصفقة وما حفلت به من ضجة واعتراض الدول الغربية لم توطد نفوذهم، فكان لزاماً عليهم الأقدام على خطوة قوية وجريئة تكمل الخطوة السابقة وتنهي العزلة التي وضع الغرب السوفيت فيها ، وكانت هذه الخطوة هي عملية تمويل السد العالي؛ الذي شعروا بأنه سيحقق لهم موطئ قدم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بحكم طول المدة التي سيستغرقها بنائه والتي تصل إلى عشر سنين فأنها تكفل وبشكل تدريجي كسب حلفاء لهم في المنطقة يؤيدون سياستهم ، فاخذوا يلوحون بأنهم مستعدين لتمويل المشروع، وبفائدة لا تتعدى ٢,٥% في حال امتنع الغرب عن ذلك [٢].

فدفع هذا التطور الجديد كل من بريطانيا والولايات المتحدة إلى التحرك سريعاً لقطع الطريق على السوفيت ، بإبدائهم رغبةً جادة في تولي تمويل المشروع، لكن أيزنهاور وبتحريك من وزير خارجيته جعل اشتراك أمريكا في التمويل أن يكون وفق خطة الفا "Alpha" [٣].

ونتيجةً لذلك الوضع، جددت الحكومة المصرية، رغبتها في الحصول على قرض من البنك الدولي أواخر عام ١٩٥٥ ،باعتبارها أحدى الدول الأعضاء فيه لتتخلص من الضغوط السياسية

١- محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الأهرام، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٣٢.

٢- جيفري ارونسون ، العلاقات المصرية-الأمريكية ١٩٤٦- ١٩٥٦، تعريب: السيد أمين شلبي، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٦ ،ص٢٢٦ -٢٢٨ .

٣-خطة ألفا: هو مخطط سياسي أمريكي بريطاني لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، بالضغط على الجانب المصري، من خلال مساومته بقبول الغرب بتمويل السد العالي مقابل الصلح مع إسرائيل ،واعدت هذه الخطة من قبل روبرت هوفر "Hoover" مساعد أول لوزير الخارجية الأمريكي، ورسل"Russel" المساعد الخاص لدالاس عن الجانب الأمريكي وشخصيات أمريكية أخرى ، وعن الجانب البريطاني ايفلين شكبوره "Evelyn Shukburgh"مساعد وزير الخارجية البريطاني ورئيس اللفانت والقسمين الشرقي والغربي ، وباتريك"Patrich"السكرتير الخاص ومساعد وزير الخارجية ، و ديكسون"Dixon " المندوب البريطاني في الأمم المتحدة . لمزيد من التفاصيل ينظر : لطيفة محمد سالم ،أزمة السويس ١٩٥٤ – ١٩٥٧ جذور أحداث نتائج ، مكتبة مدبولي، القاهرة ،١٩٩٦ ، ص١٠٠.

غير أن هيمنة الدول الغربية خيبت مسعاها، اذ سرعان ما طرح البنك شروطه عليها مجددًا [١]، بخصوص الأشراف المباشر على المشاريع الاستثمارية في مصر التي تقوم بها الحكومة ، فضلاً عن عدم عقد أي اتفاقية لنيل قروض خارجية أو لتسليح الجيش المصري، ألا بموافقته إلى جانب تخصيص جزء من الدخل القومي المصري لتغطية تكاليف المشروع مقابل حصول مصر على قروضه ، فضلاً عن القروض الأمريكية والبريطانية التي تعهدت بهما الحكومتان لها[٢]، لكن الوضع الجديد المترتب عن العرض السوفيتي جعل المصريين غير مضطرين الى قبول تلك الشروط الصعبة [٣].

عندها تحرك البنك الدولي، وقام مديره بزيارة مصر في شباط عام١٩٥٦ وتفاوض مع جمال عبد الناصر حول تمويله ، بعد جهود مكثفة من السفير الأمريكي في مصر هنري بايرود ،الذي سعى الى عدم منح السوفيت الفرصة لكسب عبد الناصر، وقد استمرت تلك المفاوضات أسبوعين كاملين تعثرت فيها عدة مرات نتيجة رفض الرئيس المصري الشديد لبعض الشروط التي كان يطرحها يوجين بلاك ، والتي رأى فيها انتقاص للسيادة المصرية ، لكن ذلك لم يوقفها بل استمرت حتى تكللت نهايتها بالنجاح ، حيث وافق الجانب المصري على استشارة البنك الدولي في كل خطوة اقتصادية كبيرة يمكن أن يخطوها ، وكذلك طرح عروض بناء السد علنا لفسح المجال أمام الشركات الأمريكية للمساهمة فيها [٤].

وعلى الرغم من موافقة المصريين على شروط بلاك(مدير البنك الدولي)، الا أن الأخير لم يتعهد خلال مفاوضاته معهم في القاهرة على التزام الدول المانحة ولاسيما الولايات المتحدة وبريطانيا ، بتوفير المبالغ المطلوبة التي تبلغ(٧٠)مليون جنيه، منها(٢٥) مليون جنيه في

١-في الحقيقة أن شروط البنك هي صورة مستنسخة عن المذكرتين الأمريكية البريطانية، اللتان أصدرتهما الحكومتان في ١٧/كانون الأول/ ١٩٥٥، بعدما وقع المصريون صفقة الأسلحة التشيكية مع السوفيت، حيث طرحتا على الحكومة المصرية تمويل السد العالي، وفق تلك الشروط المذكورة في متن الصفحة. للمزيد ينظر: يحيى الشاعر، مشروع السد العالي وبداية النهاية:

http://www.portsaid-online.com.

٢-ميسون الجبوري ، أزمة السويس والموقف الدولي منها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٢٥-٣٠ .

3-Prem11/1282, Telegram From Cairo to Foreign Office, telegram No: 1442, October15, 1955, P.528 نقلاً عن www.Nasser.com

٤-د.ك.و ،ملفات البلاط الملكي، السفارة الملكية العراقية في القاهرة،رقم الملفة ٣١١/٢٦٨٠ ، ٢٥ /٢ / ١٩٥٦ ،رقم الوثيقة٥٢ ،ص١٠٨.

المرحلة الأولى موزعة بالشكل التالي: (٢٠) مليون جنيه للولايات المتحدة(٥) مليون جنيه لبريطانيا التي سيعتمد عليها المصريون في تمويل المرحلة الأولى ، بينما المرحلة الثانية تعهد البنك أن يمولها بمبلغ قدره(٧٠) مليون جنيه، فضلاً عن المساهمة الأمريكية البريطانية البالغة (٤٥) مليون جنيه ، فيكون المجموع الكلي ١٤٠مليون جنيه تخصص لشراء الآلات والمعدات التي ستستخدم في المشروع، فيما تتكفل مصر ببقية نفقات المشروع التي تناهز ٣٣٥مليون جنيه من أجور العمال وشراء مواد البناء وتوفير مساكن للعمال ومطاعم ووسائل راحة وغيرها [١]، وهذا ما جعل المصريين يتخوفون من المجازفة ببناء السد ومن ثم يقعوا في ورطة نقص التمويل ، حتى أن وزير الأشغال المصري موسى عرفة (١٩٥٨-١٩٦٠)ابلغ مدير البنك الدولي بان الجانب المصري لن يبدأ ببناء المشروع ألا بعد ضمان توفر الأموال المطلوبة لبناء السد العالي ، فيما كان رد الأخير غير شافي وكما يقول موسى عرفة انه " لم يضمن أن تدفع أمريكا وانجلترا أكثر من ٧٠مليون دولار"[٢].

مما أثار الريبة في نفوس المصريين، وجعلهم غير مطمئنين إلى تصرفات البنك والدول الغربية، حتى أن جمال عبد الناصر كان يتهمهم بالسعي لإيقاع مصر في "الفخ "من خلال توريط المصريين بعملية بناء السد وبذل ملايين الجنيهات في المرحلة الأولى ، بينما يقف الغرب والبنك متفرجين دون أن يوفوا بالتزاماتهم المالية تجاهها ، وبذلك تكون الحكومة المصرية أمام خيارين اما " أن نقبل شروط البنك، أو يتوقف المشروع ونكون أضعنا ٣٠٠مليون دولار[مايعادل١٠٠مليون جنيه] في المرحلة الأولى هباء! ومعنى ذلك أن يرسل لنا البنك من يجلس مكان وزير المالية وأخر يجلس مكان وزير التجارة وآخر يجلس مكاني"[٣]. وهكذا يظهر أن الغربيين قاموا بالتمهيد لسحب تمويلهم المالي للمشروع، في مسعى لمعاقبة المصريين على سياستهم المعادية للغرب، كي تبقى مصر ضعيفة اقتصادياً وغير قادرة على النهوض بنفسها.

1-Yusuf . A . Shibl , Ibid ,p . 32.

٢-الجنيه يعادل ٢,٨٦٢دولار طيلة المدة ٥٢- ١٩٥٦ وعليه يكون مبلغ ٧٠مليون دولار يعادل ٢٤مليون جنيه تقريباً . لمزيد من التفاصيل ينظر : ماريون كلوسون وآخرون ماريون كلوسون وآخرون ، الإمكانية الزراعية في الشرق الأوسط ،تعريب: د. عبد الله زين العابدين ، مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، ١٩٧٦، ص١٠،

٣–ينظر:موسى عرفة، السد العالي، ص٤٤.

٣– اخترنا لك ،خطب جمال عبد الناصر ،ج٧،ص١٣٤٨.

أن هذا الموقف غير المطمئن من البنك الدولي والدول الغربية، دفع عبد الناصر لاستغلال الحرب الباردة "The cold war" ، التي كانت على أشدها بين المعسكرين الشرقي والغربي لاسيما في أواسط الخمسينات [1]، للحصول على مكاسب مهمة لمصر في صدارتها تمويل السد العالي ، من خلال الضغط على الدول الأوربية والولايات المتحدة للتعجيل في الإيفاء بتعهداتهم التي قطعتها لمصر أو يلجأ للسوفييت لنيل ذلك ، وحتى انه في لقائه مع مراسل صحيفة نيويورك تايمز "New York Times" في مصر، وذلك في الثالث من نيسان عام١٩٥٦ أكد فيه ان "مصر ستنظر بكل تأييد الى العرض السوفيتي٠٠في حالة تراجع الدول الغربية عن موقفها٠٠لتمويل السد العالي" [2] .

لكن سياسة جمال عبد الناصر لم تكن موفقة دائمًا، فقد وجد نفسه أمام واقع جديد، عندما بدا السوفييت يتقربون إلى إسرائيل في محاولة لإقامة علاقات دبلوماسية قوية معها، حتى أنهم قدموا دعوة بشكل غير مباشر–اذ كان صاحب الدعوى حاخام يهودي سوفيتي – لرئيس الوكالة الصهيونية ناحوم غولدمان "Nahum Goldman" لزيارة موسكو ،التي شعر منها الإسرائيليون رغبة سوفيتية بالتقارب معهم على الرغم من كونها غير رسمية، ألا ان المعروف ان هذه الدعوة لم توجه ألا بإيعاز السلطات الروسية ، لذلك استثمروا هذه الفرصة فعزلوا وزير خارجيتهم "موشي شاريت" المعارض للتقارب الإسرائيلي السوفيتي والمعروف بميوله الغربية ، وعينوا بدلا عنه غولدا مائير "Golda Meir" في محاولة منهم لكسب ود السوفييت [3].

كانت تلك المبادرة الإسرائيلية بالنسبة للسوفيت، فرصة سانحة لتحقيق الانفراج الدولي في

١– مالك محسن خميس العيساوي ، المتغيرات الدولية وأثرها على القضية الفلسطينية من ١٩٩٠–٢٠٠١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات الدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣ ، ص١٩ .

٢– د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في واشنطن ، رقم الملفة ٥٠٣٨ / ٣١١ ، ١٩٥٦/٤/٥ ، الوثيقة رقم ٣٠ ،ص١٥ ؛ سنان صادق حسين الزيدي ،المصدر السابق،ص٢٦٨.

٣– د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في بون، رقم الملفة ٥٠١٨ /٣١١، ٢٣ /١٩٥٦/٦ ، الوثيقة رقم ٦ ،ص٢٥ .

الشرق الأوسط ، فأرسلوا وفداً رسمياً برئاسة نيكتا خروشوف" Niketa Khrushchev "[١]، (الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي) إلى بريطانيا، وكان هدف الزيارة المعلن" المحافظة على الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط "، فيما كانت حقيقتها خلاف ذلك، حيث حاولوا الحصول على دور لهم في الشرق الأوسط ، يمكنهم من الظهور كقوة كبرى لها ثقلها الدولي في العالم،حتى لو كان ذلك على حساب مصر بموافقتهم على إيقاف تسليحه [٢] .

ذلك الموقف السوفييتي الجديد، دفع القادة المصريين للبحث عن حليفٍ جديدٍ ، لهم فوقع اختيارهم على الصين الشعبية لمواقفها الايجابية من مصر ، حيث أنها كانت الوسيط في عقد المصريين صفقة الأسلحة التشيكية، فضلاً عن تأييدها لسياسة عدم الانحياز،فقرروا الاعتراف الدبلوماسي بها في ٦أيار عام ١٩٥٦ ، بعدما شعروا بان السوفيت لايمكن الوثوق بهم[٣] .

وقد أثار هذا الموقف استياء الغرب ، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية التي اعتبرته تحديا لها ، ومحاولة من عبد الناصر لكسر العزلة الدولية على الصين الشعبية، ولذلك بدأ الساسة الأمريكان يفكرون في معاقبة مصر بشكل يردعها عن ذلك، كإيقاف تمويل مشروع السد العالي [٤].

١- خروشوف : هو اشهر الشخصيات السياسية السوفيتية التي حكمت الاتحاد السوفيتي، ولد في مقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا عام ١٨٩٤، ثم انضم إلى الحرس الأحمر عندما نشبت ثورة تشرين الثاني عام ١٩١٧، وفي عام١٩٢٨ أصبح سكرتيراً للجنة الحزب الشيوعي السوفيتي في كييف. ثم انتخب عضواً في مجلس السوفيت الأعلى في عام١٩٣٧ ، وبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣انتخب سكرتيراً للجنة المركزية للحزب حتى عام ١٩٥٨ حيث أصبح رئيساً لمجلس الوزراء غير انه لم يستمر طويلاً في الحكم ،إذ اجتمعت اللجنة المركزية في تشرين الأول عام ١٩٦٤ ، وأصدرت بياناً أعلنت فيه إقصاء خروشوف عن جميع مناصبه وضل هكذا حتى وفاته في عام ١٩٧١. لمزيد من التفاصيل ينظر: شيماء العميري ، العلاقات السورية السوفييتية ١٩٤٦ – ١٩٦١ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ،٢٠٠٥،ص٨٥ .

٢- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، السفارة الملكية العراقية في لندن ، رقم الملفة ٥٠١٨ / ٣١١ ،١٩ /١٩٥٦/٦ ، رقم الوثيقة ٢ ، ص٣٦ .

٣-كان من ثمار هذا الاعتراف بالصين ، أن أرسلت الأخيرة بعد أيام قليلة من قرار الحكومة المصرية المشار أليه آنفا ، كتاب شكر للحكومة المصرية ، وقامت ايضًا بافتتاح معرضًا للمنتجات و المكائن الصينية في القاهرة هدية منها، الى الشعب المصري، كما عقدت اتفاقية تجارية مع الحكومة المصرية لتبادل البضائع والمنتجات المصرية الصينية بين البلدين، وبذلك كسبت مصر سوقا جديدة لصادراتها. لمزيد من التفاصيل

ينظر: د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في واشنطن ،رقم الملفة ٣١١/٥٠٣٨، ١٦/أيار /١٩٥٦،رقم الوثيقة١٤، ص٢٤ ؛ المصدر نفسه،٢٢/أيار/١٩٥٦، رقم الوثيقة ١٢،ص٢٠.

٤- محمد حسنين هيكل، عند مفترق الطرق، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٢٦.

وعلى الرغم من ذلك ، كان هناك اتجاه داخل الولايات المتحدة يؤيده سفيرهم في مصر هنري بايرود ، يقوم على أساس الاستمرار في التعامل مع عبد الناصر بالحسنى والذي جسده سفيرهم على ارض الواقع بتوليه، مهمة الوساطة بين البنك الدولي والحكومة المصرية ، حتى تمكن من أقناع المصريين بأجراء مباحثات جديدة مع البنك في مصر للتباحث حول نقاط الخلاف بينهم ، وكانت هذه الجهود مثمرة ، ونتج عنها موافقة الحكومة المصرية على اخذ مشورة البنك في تنفيذ المشاريع الاستثمارية الاقتصادية الكبرى [١].

غير ان جهود بايرود، سرعان ما اصطدمت بسياسة وزير الخارجية دالاس الذي كان يتبع خطة ميغا"Mica"[٢] في التعامل مع عبد الناصر، حتى أن احمد حسين (سفير مصر في واشنطن) تذمر من عدم حصول مصر على أي ردود من الغرب تجاه تعاون بلاده ، واعتبرها اهانة للمسؤولين المصريين، بينما كان دالاس لا يعر ذلك أي أهمية ما دام المصريون يستمرون في معارضة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، حتى انه اخذ يسعى لعرقلة تقديم القروض للمصريين متذرعاً بمعارضة الكونغرس له وانه لايمكن أن يضمن لهم استمرار الحكومة الأمريكية في تمويل السد طيلة مرحلته الأولى ، وانه لابد من اخذ موافقة الكونغرس بشكل سنوي لأجل ذلك [٣].

كما اشترط دالاس على المصريين، أن يوافقوا على عملية بناء السد العالي بكونسورتيوم "Consortium" [٤] غربي، لإظهار مزايا الغرب في بناء السدود وعدم ترك المصريين

١-د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة، المصدر السابق،١٩٥٦/٢/٢٥، وثيقة رقم٥٢،ص١٠٨ .

٢-ميغا: خطة أمريكية اقترحت من قبل الساسة الأمريكان، بعد فشل (ألفا) للتعامل مع عبد الناصر تقوم على أساس تخلي الساسة الأمريكان عن تقديم العروض المالية لتمويل المشروع، او حتى عدم الإجابة على تساؤلات المصريين حول العروض الغربية من خلال المماطلة والتسويف، لأشعارهم بعدم رغبتهم بتمويله ولكسر عزيمة عبد الناصر في بنائه . لمزيد من التفاصيل ينظر :قناة الجزيرة، محمد حسنين هيكل السد العالي والمشروع القومي : WWW. Aljazeera .net.

٣-محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، تعريب ونشر:جريدة النهار،بيروت،١٩٧٢،ص٩٤ .

٤- كونسورتيوم اتحاد من الشركات يتوزع بينها العمل، وتكون المسؤولية مشتركة، دعا أليه دالاس في بنائه تكرار لما حدث للنفط الإيراني بعد سقوط حكومة مصدق . لمزيد من التفاصيل ينظر:جيفري ارونسون، المصدر السابق ، ص٢٣٠ .

يقومون ببنائه لوحدهم (١).

هكذا صار يلحظ على تحركات، دالاس الفتور وعدم الرغبة الجادة في تمويل السد العالي مع بداية عام ١٩٥٦ ، على الرغم من تظاهره أمام الأعلام العالمي بان الولايات المتحدة جادة في تمويله لكن ذلك كله كان يغاير الحقيقة التي حاول دالاس إخفائها لبعض الوقت كي لا تظهر بلاده بمظهر الدولة المتنصلة من وعودها، حتى انه حرض أيزنهاور على إرسال وزير الخزانة الأمريكية روبرت أندرسن "Robert Anderson" في بعثة خاصة إلى مصر عرفت ببعثة كامر "Cammer"(٢) لإلقاء الحجة على عبد الناصر وتحميله سبب فشل الغرب في توفير الأموال المطلوبة للمشروع ، في حال الرئيس المصري عن قبول توصياتها ولاسيما أن الإدارة الأمريكية كانت في وضع صعب، فالمؤيدين لإسرائيل داخل الكونغرس يضغطون بقوة عليها لتغيير موقفها المحايد من الصراع العربي الإسرائيلي، اذ كانت سياسة الرئيس أيزنهاور تقوم على أساس الحياد وعدم الانجرار وراء الصراع العربي الإسرائيلي، كي لا يفقد صداقة رجال ثورة ٢٣تموزعام ١٩٥٢، مستنداً في موقفه هذا إلى قاعدته الشعبية، فهو الرئيس الأمريكي الذي لم يصعد بأصوات الناخبين اليهود الأمريكان ، بل ببطولاته الحربية في أوربا (٣) ، لذلك حاول أندرسن أن يقنع عبد الناصر بقبول توصيات الرئيس أيزنهاور ألا أن عبد الناصر رفض ذلك، وعدها تجاوزًا على دوره القومي في المنطقة العربية ، عندها أخذت أدارة أيزنهاور بالتلكؤ في تقديم القروض لعبد الناصر متذرعة بعدم موافقة الكونغرس الأمريكي على ذلك ، وان أدارته لا يمكنها التفرد بقرار دون موافقة الأخير(٤).

1- Prem11/1282 ,OP-CIT , P. 529 ، نقلاً عن (www.Nasser.com).

٢- بعثة كامر:هي البعثة السياسية التي أرسلها الرئيس الأمريكي أيزنهاور في آذار عام ١٩٥٦ برئاسة أندرسن ، لإقناعه بعقد مفاوضات مباشرة مع إسرائيل لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي مقابل حصوله على قروض أمريكية لتمويل المشروع . لمزيد من التفاصيل ينظر : ميسون الجبوري ،المصدر السابق، ص٦٥؛ جيفري أرونسون ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .

٣- وقد ظهرت هذه الحيادية بارزة ،عندما امتنعت الإدارة الأمريكية عن تسليم إسرائيل مساعدة اقتصادية مخصصة لها، بعدما رفضت استقبال دخول مراقبي الأمم المتحدة الى منطقة نهر الأردن للإشراف على تطبيق منع العمل بمشروع مائي هناك، وكان ذلك في تشرين الأول عام ١٩٥٣.لمزيد من التفاصيل ينظر : احمد

عبد الرحيم مصطفى،الولايات المتحدة والمشرق العربي،عالم المعرفة ،الكويت ،١٩٧٨، ص٩١؛ كريم صبح ،المصدر السابق،ص٨٨-٨٩.

4-Department of State, Foreign Relations 1955-1957(Arab-Israeli-Dispute), XV, NO.0754, 1 January-26July-1956,P.727. ، نقلاً عن (www.Nasser.com.)

في حين كانت التحركات الأمريكية تتجه نحو قطع التمويل عن مصر، وقد علم عبد الناصر بها مبكرًا من خلال احد الشخصيات العراقية المتعاونة معه التي نقلت له محاضر جلسات حلف بغداد، فكان من بينها معلومة مهمة طرحت في شهر نيسان ١٩٥٦، مفادها أن دول الحلف وبضمنها الولايات المتحدة -التي كانت فيه بصفة مراقب[١]- وبتحريض من رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد [٢] ، اتفقت على سحب القروض الغربية لمشروع السد العالي كي تعطي صورة للدول الحليفة للغرب في المنطقة العربية كالعراق، أن الغرب لا يساعد ألا حلفائه ومن يؤيدون سياسته [٣].

غير أن سفيره في واشنطن والمعروف بتأييده لأفكار دالاس، ألح عليه لإعطاء دالاس الفرصة وعدم التعجل في اتخاذ أي قرار سريع يمكن أن يعود على مصر بما لا تحمد عقباه، فوافق جمال عبد الناصر على أعطاء دالاس فرصة أخيرة، ليبرهن مصداقيته حتى انه قال له "عد وقل لدالاس انك قبلت بجميع شروطه ثم راقب رد فعله " ، فرد عليه سفيره احمد حسين "آلا تريد تعديل أي من الشروط " فقال له جمال " لا أني أعطيك تفويضاً كاملاً ..."[٤]. وهكذا يظهر أن الرئيس المصري، قد حسم أمره واخذ ينتظر ساعة تتحقق فيها تنبؤاته بقطع التمويل وما هذا التفويض لسفيره ألا برهان على ذلك فجمال عبد الناصر كان مفاوضا عنيدا ولم يقبل شروط الغرب رغم الضغوط القوية والمغريات التي قدمت له فكيف يوافق على كل شروطهم الآن وبدون أي تحفظات ! هل من اجل سفيره ؟ فهذا أن دل على شيء فأنما يدل على قناعته الراسخة بعدم أيفاء الغرب بالتزاماتهم المالية مهما قدمت لهم مصر من تنازلات، وما هذه الخطوة ألا لإلقاء الحجة عليهم .

١- ولد مار غلمن،عراق نوري السعيد ، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت، ١٩٦٥ ، ص١٣٢ .

٢- عبد الحميد عبد الله علي ، موقف جمال عبد الناصر من التطورات السياسية في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨- ٨ شباط ١٩٦٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية،١٩٩٩، ص١٤ .

٣- سهيلان منذر خليل الجبوري، الصحافة العراقية والعدوان الثلاثي على مصر١٩٥٦ ، رسالة ماجستير منشورة ،كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٩٦، ص٢٥-٢٦ .

٤-نقلاً عن محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٩٩.

لقد صدقت تصورات عبد الناصر، فما أن وصل سفيره إلى واشنطن حتى وجد أن دالاس أذاع قراره الشهير بقطع التمويل في ١٩تموز، وتبعته بريطانيا في٢٠ تموز عام١٩٥٦، وبذلك فشلت مساعي السفير المصري وذهبت أدراج الرياح [١] .

وفي الحقيقة أن هذا القرار ذو اللهجة التصعيدية كانت ورائه عدة أسباب أهمها:

١- امتعاض الإدارة الأمريكية من تحدي عبد الناصر لها ، باعترافه بالصين الشيوعية في ١٠ايار عام١٩٥٦ وأقامته علاقات دبلوماسية معها ، فالغرب يريد تحجيم الشيوعية السوفيتية وحصرها في أطار الكتلة الشرقية، فإذا بالرئيس المصري يفتح ثغرة جديدة فيه باعترافه بالشيوعية الصينية [٢].

٢- الجهود الكبيرة المكثفة والمتواصلة للساسة الفرنسيين التي بذلوها لافشال هذا المشروع ، حيث اتصلوا بنظرائهم الأمريكيين والبريطانيين وطلبوا منهم الامتناع عن تقديم الدعم للحكومة المصرية ، بحجة أن عبد الناصر شخصًا يثير المشاكل للدول الغربية ويحرض الدول العربية عليهم ، وعلى سبيل المثال ما حصل من ثورات في الجزائر وتونس والمغرب ضد الاستعمار الفرنسي[٣] .

٣-ماذكره اندروتولي"Androw Tolly"[٤]عن نصيحة ألن دالاس للحكومة الأمريكية بالعزوف

١-شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق،تاريخ مصر المعاصر،دار الثقافة ،القاهرة،١٩٩٧ ،ص٧١.

٢- نذير جبار حسين، العلاقات السعودية الأمريكية١٩٥٣-١٩٦٤، مراجعة: د.ناصر المعايطة ، مؤسسة البلسم ، عمان ، ٢٠٠٠ ،ص٧٧ ؛ جمال شقرة ،الوثائق الأمريكية تفضح خطط الضغط على عبد الناصر قبل سحب تمويل السد العالي وبعده ،مجلة العربي ،كانون الأول/ ٢٠١٠:
http://www.alfikralarabi.net.

٣-لمزيد من التفاصيل حول العداء الفرنسي لمصر، ينظر: د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في باريس ،رقم الملفة ٣١١/٥٠٥٩، ١١/١٠ /١٩٥٦،وثيقة رقم ٢٠،ص٢-٣ .

٤-هو احد ضباط المخابرات الأمريكان الذين التحقوا بالوكالة منذ تشكيلها في عام ١٩٥٠ واستمر بالخدمة حتى مطلع الستينات حيث تقاعد وألف كتابه المسمى" CIA الجاسوسية الأمريكية "، والذي ضم حقائق مهمة عن دور وكالة المخابرات الأمريكية في صناعة الأحداث المهمة في الشرق الأوسط والعالم، والتي يعرضها

بأسلوب بعيد عن التكلف والتضخيم وهذا ما أعطى كتابه قيمة مهمة، عدا مواكبته للأحداث لحظة بلحظة .
لمزيد من التفاصيل ينظر:اندرو تولي ،المصدر السابق،ص١-٥.

عن تمويل السد العالي، لأنه سيساهم في تعاظم نفوذ ناصر في المنطقة العربية وان السوفيت لايمكن أن يوفروا له المبلغ اللازم لإنشائه ، والبالغ قيمته ٤٠٠مليون جنيه لعجزهم الاقتصادي عن ذلك[1]. ولعله السبب الرئيس لسحب الولايات المتحدة الأمريكية لعرضها ، إذ أن ألن دالاس (مدير المخابرات الأمريكية) كان يحظى باحترامٍ كبير لدى الإدارة الأمريكية بحكم خبرته الطويلة في هذا المجال، فضلاً عن نفوذ أخيه جون دالاس –الرجل الأول في السياسة الأمريكية– الذي كان يعطي الأولوية لتوصيات المخابرات الأمريكية لاطلاعها الدقيق على شؤون العالم أكثر من توصيات سفرائه في الخارج ، وبذلك كانت نصيحته قد أخذت مسارها [2]، حتى انه تفرد في قراره هذا ولم يعلم الرئيس أيزنهاور به مسبقًا[3].

٤–امتناع الحكومة المصرية عن تصفية صراعها مع إسرائيل، رغم إلحاح الإدارة الأمريكية التي كانت تواجه ضغوط قوية من بعض الأطراف السياسية في الداخل التيَ تتَهمُ المصريين بأنهم يحاولون فتح ثغرة للسوفيت في المنطقة العربية، ولهذا لابد من تغيير في السياسة الأمريكية خدمة لإسرائيل الحليف الأهم في الشرق الأوسط [4].

٥–امتناع أعضاء الكونغرس عن التصويت لصالح تقديم القروض لمصر؛ بسبب انقسام الأعضاء بين مؤيد لإسرائيل، وآخر للصين الوطنية (تايوان) والذين انزعجوا من اعتراف عبد الناصر بالصين الشعبية ، وآخر يرفض المساعدة خوفاً على مصالحه ، وهؤلاء هم الأعضاء الممثلين للولايات الجنوبية الذين تخوفوا على سعر القطن الأمريكي من منافسة القطن المصري له بعد أنشاؤه [5]. وهو الأمر الذي يوضح اثر الاقتصاد في صناعة القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية .

١– لمزيد من التفاصيل ينظر: اندرو تولي، المصدر السابق، ص ١٥٦؛ محمد حسنين هيكل،حرب الثلاثين سنة ملفات السويس، دار الشروق،القاهرة،٢٠٠٤،ص٥١٢.

٢–لمزيد من التفاصيل ينظر:مايلز كوبلاند،المصدر السابق،٩٧؛ اندرو تولي، المصدر السابق،ص١٥٦.

٣–صلاح الدين إسماعيل الشيخلي ،العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٢–١٩٦١،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية القانون والسياسة،جامعة بغداد،١٩٨٠،ص٢٢٤.

٤–وائل غني عطرة،موقف الأقطار العربية من ميثاق بغداد ١٩٥٥–١٩٥٨،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية،٢٠٠٢،ص١٥.

٥- محمود زكي عبد اللطيف وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٨ ؛ ر. ك. كارانجيا ، الفجر العربي ، تقديم: جمال عبد الناصر ، تعريب:عمر أبو النصر ، ط٣، منشورات المكتبة الأهلية ،بيروت ، ١٩٦١ ، ص٩٥ - ٩٦ .

٦-محاولة الأمريكان والبريطانيون تقليص نفوذ كتلة عدم الانحياز وعدم فسح المجال لها لاستقطاب دول عربية أخرى، كالمملكة العربية السعودية وسوريا، ولعل الأخيرة كانت الأهم في اهتماماتهم ، باعتبارها من أهم الدول النفطية العربية المصدرة لدول المعسكر الغربي [١]، التي وقفت إلى جانب مصر ضد حلف بغداد، مما شكل خطراً على الاقتصاد الغربي من استخدام الرئيس المصري لنفوذه الإقليمي في قطع الصادرات النفطية عن المعسكر الغربي [٢] .

٧-سياسة جمال عبد الناصر العدائية تجاه المعسكر الغربي، وتحريض الدول العربية ضدهم دفعتهم إلى توجيه ضربة قاصمة له تمنعه من المعاودة إلى نهجه السابق، وكان جمال عبد الناصر بنفسه يشير إلى هذه الحقيقة في أحدى جلسات مجلس الوزراء المصري بقوله" واذكر في عام ١٩٥٥ أنهم طلبوا منا أن نبتعد عن العرب وهم يعطونا المساعدات التي نطلبها ولكنا رفضنا لأننا كنا سنصبح دولة تابعة ..." [٣] .

٨-كانت حجة دالاس المعلنة والتي ظهرت للعلن في لقائه مع السفير المصري "أننا نشعر أن المشروع ليس ملائما في الظروف الراهنة وفي مقدمتها انه سيكون أجهادًا كبيرًا جدًا للاقتصاد المصري" [٤] .

غير أن الحقيقة كانت خلاف ذلك، فوضع مصر الاقتصادي لم يكن كذلك إذ ازداد الدخل القومي لمصر ما بين عامي ٥٢ -١٩٥٣ من ٤٨٠ -٧٤٨مليون جنيه، ثم ارتفع إلى ٨٦٨ مليون جنيه عام ١٩٥٤ [٥] ، كما تشير تقارير الأمم المتحدة انه استمر في نموه مابين عام ١٩٥٤ -١٩٥٥، حيث شهد قطاع الصناعة انتعاشاً بفعل تشجيع حكومة الثورة للاستثمار حتى وصل إلى ١٢مليون جنيه مابين ١٩٥٤ -١٩٥٥، ثم ارتفع إلى نحو(١٩) مليون جنيه

١- جريدة البلاد، العدد ٤٧٠٥، ١٩/ تموز /١٩٥٦.
٢- عبد الكريم أبو الكشك ،الصحافة الأمريكية والشرق الأوسط دراسة لتغطية النزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨-١٩٨٢،المعهد الدبلوماسي الأردني،عمان،١٩٩٨،ص١٠٢.
٣-السكرتارية العامة للحكومة، محضر اجتماع حكومة الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر، الاجتماع رقم ١، ١٩تشرين الأول١٩٦١، ص١٠.
٤-جيفري ارونسون ،المصدر السابق،ص٢٦.
٥-اخترنا لك، خطب جمال عبد الناصر، ج٧، ص١٣٥٦.

مابين عام ٥٥-١٩٥٦ خصوصا في حقلي الكهرباء والتعدين [١].

حتى أن مدير البنك الدولي (يوجين بلاك) رفض تلك المزاعم الأمريكية، واعتبر أن مسؤولية تحديد قدرة الاقتصاد المصري على تحمل نفقات بنائه من اختصاصاته هو، وليس من شأن الحكومة الأمريكية [٢] .

وأيّاً كانت الأسباب، فقد أدى قيام الإدارة الأمريكية بسحبها تمويل مشروع السد العالي إلى أثارة غضب المصريين ، فاتخذ عبد الناصر قراراً قويًا و حازمًا وهو من القوة ما يساوي القرار الأمريكي ،حيث عمد على تأميم قناة السويس علناً بعد عدة أيام من القرار الأمريكي البريطاني وذلك في ٢٦ تموز عام١٩٥٦ كردٍ عليهم [٣] .

١- الأمم المتحدة ، التطورات الاقتصادية في الشرق الأوسط ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، نيويورك ، ١٩٥٦ ، ص٤٠ -٤٣ .

٢- احمد حمروش، مجتمع جمال عبد الناصر ، ج٢ ،ص٨٥ .

٣-محمد حسنين هيكل وآخرون، معركة السويس ثلاثون عاما ، دار الشروق، بيروت ،١٩٨٩ ، ص٣٩ - ٤٠ ؛ جريدة المصري اليوم،العدد١٥٠٤،٢٦/تموز/٢٠٠٨.

المبحث الثاني// سحب القروض الغربية وأثرها في تطور الأوضاع السياسية في مصر

كان مشروع السد العالي من أكثر المشاريع الاستثمارية أهمية في تاريخ مصر المعاصر، والذي نال اهتمام كبار الضباط الأحرار بعد وصولهم للسلطة في٢٣تموز عام ١٩٥٢[١].

إذ عرض المشروع على مجلس قيادة الثورة أثناء رئاسة محمد نجيب (١٩٥٢-١٩٥٤) في ٨/تشرين الأول /١٩٥٢ ، لدراسته والتعرف على سلبياته وايجابياته وجدواه الاقتصادية لمصر [٢] ، غير انه سرعان ما اخذ يخرج عن طابعه الاقتصادي، لينحى منحاً سياسياً لاحت تأثيراته على الأوضاع السياسية ، فسرعان ما بادر الرئيس محمد نجيب الى استغلاله كدعاية له وترويجا لنفسه بوصفه قائداً وطنياً يهتم بشعبه وذلك في محاولة لضرب مجلس قيادة الثورة ، عندما بدئوا ينافسوه على الحكم وفي اتخاذ القرار السياسي داخل الحكومة [٣]، وفي ضوء ذلك أقدم محمد نجيب على زيارة النوبة في تشرين الثاني عام ١٩٥٣ ، في وقت كانت الخلافات على أشدها مع مجلس قيادة الثورة (برئاسة جمال عبد الناصر)، معلناً عن بدأ العمل في المشروع بعد عام من زيارته (أي في عام ١٩٥٤)، وان العمل سيستمر مدة سبعة أعوام معلناً في الوقت نفسه عن تحسن الواقع الخدمي لهم بعد بنائه وأنهم سيعوضون عن خسائرهم بمساكن ، وتعويضات مالية عن كل الأضرار التي قد تلحق بهم [٤].

١- أسامة الغزالي حرب ، جمال عبد الناصر قراءة جديدة في ذكراه الثلاثين ، دار مصر المحروسة للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١ ،ص٤٨ .

٢- احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ موسى عرفة ، المصدر السابق، ص٣٥ .

٣- عبد العظيم رمضان ، عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤ ، روز اليوسف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص٢١-٢٥ .

٤- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي،المفوضية الملكية العراقية في القاهرة ، رقم الملفة ٢٦٧٣ /٣١١ ، ١٦ / ١١ / ١٩٥٣ ، الوثيقة رقم ٣٠ ، ص٦١-٦٢ .

كان ظاهر الزيارة وكما يبدو، هو لحشد وكسب الجماهير المصرية للوقوف إلى جانب الثورة ،غير أن الحقيقة خلاف ذلك، اذ كان محمد نجيب يعاني من تدخل مجلس القيادة في شؤون الحكومة، حتى انه كان يصدر قراراته دون الرجوع إلى رئيس الجمهورية ، فحاول أن يستفاد من الجماهير للضغط عليهم[١].

لم تفلح جهود محمد نجيب ، حيث تمكن مجلس القيادة من أزاحته عن طريقهم ، وتولية جمال عبد الناصر بدلاً عنه في١٤تشرين الثاني عام١٩٥٤، الذي بادر هو الآخر للاهتمام بالمشروع لإخراجه إلى حيز الوجود، وقد تحول عنده إلى رمزٍ وطني لا يمكنه التنازل عنه مطلقاً [٢]، بفعل فوائده الكثيرة على البلد من زيادة الرقعة الزراعية بما لا يقل عن مليونين فدان ورفع إنتاجية مصر من الطاقة الكهربائية إلى ١٠ مليار كيلو واط /ساعة سنوياً التي تدخل في تشغيل المصانع وإنارة القرى والمدن في مصر[٣].

وقد لاحظ الغربيون هذا الاهتمام الكبير من قبل رجال الثورة به، فتحركوا للاستفادة منه في كسب ود الرئيس الجديد جمال عبد الناصر لجانبهم، من خلال تقديمهم العروض المالية لتمويل السد العالي[٤] .

لقد تركت عملية سحب القروض الغربية وما لحقها من تأميم قناة السويس أثرًا كبيرًا على نفسية الشعب المصري، الذي تلمس لأول مرة بعد ثورة عام ١٩١٩ وجود قيادة وطنية تستطيع الوقوف بوجه الاستعمار العالمي وبإمكانيات بسيطة [٥]، ولذلك التف الشعب حول جمال عبد الناصر ولم يتركوه لوحده خلال حرب السويس ، ما افشل مخططات الغربيين بثورة

١- ضياء الدين بيبرس: أسرار حكومة يوليو ، مطبعة المعرفة ، القاهرة ،د.ت ، ص١٨٧ -١٨٨ .

٢-عزيز السيد جاسم،مقتل جمال عبد الناصر، ط٢،مطبعة آفاق عربية ،بغداد ، ١٩٨٥،ص١٠٧ -١٠٨ .

٣- محمد عبد الرحمن حسين، نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦، منشاة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٣٢١.

٤-محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج٢، ط٨، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧٠.

٥- جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة والميثاق، دار القلم، بيروت ١٩٧٠، ص١٦٤.

الشعب المصري ضده، كان من بينهم جماعة الأخوان المسلمين[١]، الذين لم يتخلوا عنه ولم يستثمروا هذه الفرصة لصالحهم[٢].

شعر عبد الناصر أن اللحظة المناسبة، التي كان ينتظرها طيلة أعوام أصبحت حقيقة، وان فكرة الزعيم وجدت الأرضية المناسبة لها وأصبح الوضع السياسي مهيأً لتحقيق حلمه بزعامة عربية وإسلامية، تتحول مصر من خلالها إلى زعيمة الدول العربية والإسلامية [٣].

هكذا لاحظ عبد الناصر ، تزايد شعبيته حتى أصبح بطلاً قومياً وزعيماً وطنياً [٤] في نظر الشعوب العربية والشعب المصري ، مما أثار في نفسه الرغبة في توطيد سلطته على شعبه وتقويتها بعدما تخلص من خطر الأحزاب التيُ قضى على أغلبِها أثناء أزمة السويس [٥] ، ليشكل حكومة قوية تمسك بزمام الأمور ولكنها لا تتقيد بالحريات الديمقراطية حتى

١-الأخوان المسلمين : منظمة سياسية دينية أسسها حسن البنا عام ١٩٢٩ من اجل تطبيق فكرته بإقامة دولة أسلامية في مصر لها عدة مواقف وطنية كوقوفها لجانب فلسطين ومشاركتها فعلياً في حرب عام ١٩٤٨ وتأييدها ثورة تموزعام١٩٥٢ ، ألا أن الخلاف سرعان ما تزايد بينها وبين حكومة الثورة حيث قامت المنظمة بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر في منشيه البكري ، لكنها فشلت وعلى أثرها تم حل الأخوان المسلمين واعتقل رجالاتها واعدم الكثير منهم ، ثم اصدر عفو عنهم بعد حرب السويس عام١٩٥٦ لموقفهم المؤيد للنظام المصري خلالها ، الا أنهم تعرضوا مجدداً للاعتقال في تموز عام ١٩٦٥وتم إصدار أحكام قضائية قاسية بحقهم ، أشهرها قرار إعدام سيد قطب في نفس العام . لمزيد من التفاصيل ينظر : رفعت سيد احمد، الدين في الخطاب السياسي الناصري، مجلة المنار، العدد ٧، باريس ، تموز ١٩٨٥ ،ص٥١ -٥٤ .

٢-لقد لقيت جماعة الأخوان المسلمين ، كثيراً من التعذيب والمطاردة ومصادرة الأملاك، وحتى القتل على يد نظامه ، وعلى الرغم من ذلك وقفت الى جانب عبد الناصر طيلة حرب السويس وأعلنت الجهاد في سبيل الله ضد الدول المعتدية. لمزيد من التفاصيل ينظر:حسين محمد حمود ، أسرار حركة الضباط الأحرار والأخوان المسلمين ، الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ،١٩٨٥ ، ص١٢٠ -١٢٥ .

٣-جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة ، ص٤ .

٤- جميل صبر المرسومي،العلاقات السياسية السورية المصرية١٩٤٦-١٩٥٨،أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد،١٩٩٨،ص٢٣٥-٢٣٦.

٥- احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ،ج٢،ص١٠٧ .

أصبحت لا تقيم للنظام الديمقراطي أيّ اهتمام يذكر، فأصبحت الصفة الطاغية على نظامه هي "الديكتاتورية" [١].

ولكنه أدرك انه بحاجة لنظام ديمقراطي ولو شكلي في البلد بحكم ضرورات المرحلة حيث كانت الأنظمة الغربية لا تترك مجال، ألا ووصفته بالديكتاتورية فعمد على أيجاد نظام سياسي ظاهره ديمقراطي وباطنه ديكتاتوري، فحرص على أيجاد مجلس امة (برلمان) وسلطة قضائية تحكم وفق دستور يخول الرئيس صلاحيات كثيرة، حتى انه منحه حق إصدار القوانين ،غير ان وجود هذه الأنظمة لم يقيد عبد الناصر ويجعله يطلب موافقته عند اتخاذه قراراً ما، بل كانت قراراته سريعة وغير قابلة للنقض، ولاسيما أن في مجلس الأمة المصري تتواجد أغلبية نيابية من رفقائه العسكر، الذين كانوا لا يقفون بوجه قراراته ويسهلون عملية أقرارها بشكل أسرع [٢].

وقد أثمرت خطوات النظام الجديدة بتأميم الاقتصاد المصري من الهيمنة الاقتصادية للشركات الأجنبية بعد حرب السويس ،مستفيداً من التعاطف الشعبي الذي حصل عليه بعد سحب الغرب لقروضه والذي أدى إلى ترسيخ أقدام النظام المركزي في البلد، وبالتالي أصبح النظام أكثر تجذراً [٣]، ما أسهم في ظهور تطور سياسي مهماً متمثل في هيمنة رجالات العسكر من الضباط الأحرار على الدولة ، حتى بدأ البلد يشهد حالة العسكرة في كل مفاصل الدولة فمثلاً وزارة الخارجية كان رجال العسكر يحتلون ٧٢ منصب فيها بين سفير أو مسؤول في الوزارة نفسها، وحصل نفس الحال مع الوزارات الأخرى كالمستشارين والسكرتاريين حيث أصبحت بيدهم، فضلاً عن سيطرتهم على مؤسسات الشباب فمثلاً حسين الشافعي(احد الضباط الأحرار) كان يتزعم رئاسة اتحاد الفروسية ، وعلي صبري (وهو من الضباط الأحرار) رئاسة اتحاد السباحة، ومجدي حسنين(وهو من الضباط الأحرار أيضاً) رئاسة اتحاد التنس ،

١– محاضر مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لمجلس النواب لسنة ١٩٥٥ – ١٩٥٦، الجلسة ٢٥، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٦، ص٤٦٥–٤٦٦.

٢ –احمد فارس عبد المنعم، السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ –١٩٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص١٣٤ .

٣- احمد حمروش ، لإلقاء الضوء على التنظيمات السياسية للثورة ،مجلة روز اليوسف ، العدد ١٩٢٧ ، مطبعة روز اليوسف ، ايار١٩٦٥ ، ص٤ .

وأما المشير عبد الحكيم عامر [١] فتولى رئاسة اتحاد الملاكمة ،وهكذا كانت المناصب المتعلقة بالشباب بوجه خاص والمدنيين بوجه عام بأيديهم، عدا المناصب الحساسة التي كانت بأيديهم أصلاً حتى فقدت الأجهزة الحكومية كل عناصر الكفاءة ، وأخذت جميع المؤسسات الحكومية تشهد تراجعاً في الأداء الوظيفي [٢].

وبسيطرتهم على اغلب المؤسسات الحكومية في مصر، فكان لزاماً عليهم ان يثبتوا جدارتهم في ذلك وأنهم أهلاً لذلك، وبما أن المشروع كان هو السبب الرئيس في هيمنتهم على المناصب الحكومية ، لذلك بادر المشير عبد الحكيم عامر الى زيارة الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٥٨ لعقد صفقة تمويل السد العالي في محاولة للتعجيل ببنائه في أسرع وقت ممكن[٣] .

غير أن العسكريين رغم نجاحاتهم التي حققوها في تنفيذ المشروع وتأميم الاقتصاد المصري وتنشيط عملية التصنيع في البلد لم يتمكنوا من تخطي عقبة حب الذات، اذ كان كل واحد منهم يعتقد بصواب أرائه وان الطرف الأخر مخطئ ، حتى انه يصل في كثير من الأحيان الى حد استقالة بعضهم من الحكومة ، عندما يجد أن آرائه لا تؤخذ بنظر الاعتبار كما حصل مع عبد اللطيف البغدادي [٤]، الذي رفض إجراءات عبد الناصر الخاصة بتأميم الصناعة فقدم استقالته

١- عبد الحكيم عامر : هو احد ابرز الضباط الأحرار عرف بصداقته القوية لعبد الناصر، وقد قلده الأخير عدة مناصب أشهرها منصب وزارة الحربية و رتبة المشير في عام ١٩٥٤ ، عرف عنه اهتمامه بالجيش فكان يسعى الى تسليحه وتقويته وكان يسعى الى حكومة ظل، داخل حكومة عبد الناصر من قيادات الجيش بمختلف صنوفهم البرية والبحرية والجوية ولعل حرب ١٩٦٧، كانت الفرصة السانحة لعبد الناصر لتحطيم تلك الحكومة الخفية والتخلص منها نهائيًا. لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج٤ ، ص٨٠٣ .

٢-محمد حسنين هيكل ،أزمة العرب ومستقبلهم،ط٢، دار الشروق،بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص١٣ .

٣ – طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص١٣٧ .

٤-عبد اللطيف البغدادي: هو احد الضباط الأحرار(١٩١٧-١٩٩٩)من مواليد الدهقلية،التحق بالكلية الحربية عام١٩٣٨ م تسلم رتبة قائد جناح قبل الثورة، وقد تقلد عدة مناصب حكومية منها نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الأمة، اختلف مع عبد الحكيم عامر ففضل الاستقالة. لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد حمروش

، شهود ثورة يوليو ،ج٤ ، المؤسسة العربية، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص٢١١ – ٢٣٠ ، رؤوف سلامه موسى، المصدر السابق،ص١٤٧.

في ٢٤ آب ١٩٥٨ للمرة الثانية (١).

ويمكن القول أن مشروع السد العالي هو المشروع الوحيد الذي نال موافقة جميع الضباط الأحرار، على الرغم أن مقدماته كقضية التعاون مع السوفيت لأجل تمويل السد العالي كانت موضع اختلاف بينهم ، بينما كانت قضية بناء السد العالي مسالة لا جدال فيها والكل متفق على تأييد بنائه (٢)، وعلى سبيل المثال عبد اللطيف البغدادي المعارض للاشتراكية والتقرب إلى الكتلة الشرقية، نفسه كان يخصص من جدول أعماله الرسمية وقتاً لزيارته وتفقد العمل فيه (٣).

وكان بعض العسكريين يعتبرون دورهم في انجاز العمل في المشروع في وقت قصير و دون تأخير، على الرغم من العقبات الكثيرة والصعبة التي واجهتهم ، هي انجازاً لهم يتذرعون به للرد على مطالب المدنيين الذين طالبوا بإقصاء رجال العسكر عن المناصب الحكومية التي سيطروا عليها وهي من اختصاص المدنيين ، ولعل من أبرزهم علي صبري (٤).

ومع أن النتائج المتوخآة للمشروع كانت كبيرة في جوانبه الاقتصادية غير أن الخشية من تأثيراته الخطيرة على مصر والتي انعكست على "الأمن القومي العربي" (٥) ، في حالة تعرضه

١–كانت المرة الأولى في آذار عام ١٩٥٤ ،عندما قرر مجلس الثورة الموافقة على إرجاع محمد نجيب للحكم ، فرفض البغدادي ذلك وقدم استقالته:احمد حمروش،مجتمع جمال عبد الناصر،ج٢،ص٢٢٩.

٢ –احمد حمروش،مجتمع جمال عبد الناصر،ج٢،ص٢٢٧ .

٣–جريدة الأهرام، العدد ٨١٤٧ ٢، ٣/ كانون الأول/ ١٩٦٤ .

٤–علي صبري:احد الضباط الأحرار شارك في ثورة تموز تقلد عدة مناصب مدنية ، منها نائب رئيس الجمهورية وكذلك رئاسة الاتحاد الاشتراكي، ويعد من احد الضباط المخالفين لفسح المجال لعبد الحكيم عامر للتدخل في أدارة سياسة البلد. لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ، ج٢، ص٢٥٦ –٢٥٧ .

٥- الأمن القومي العربي:هي أي تغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية تساهم في التأثير على سلامة الدول العربية واستقرارها. لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر:حميد ياس الياسري ، مشكلة الصحراء الغربية وأثرها في الأمن القومي العربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد،٢٠٠٥ ، ص٥٢ .

لضربة عسكرية، قدر خبراء الري المصريين أثارها المدمرة، بأنها ستسبب فيضاناً مدمراً يطال المنطقة الممتدة ما بين أسوان والقاهرة بما فيها من قرى ومدن ويقضي على الحياة البشرية فيها(١)، وذلك ما دفع القادة المصريين إلى تأمين المشروع بقوات عسكرية مجهزة بمختلف الأسلحة لحمايته من أي هجوم معادي يستهدفه، وعلى الرغم من ذلك ظلت مسالة حماية المشروع من التهديدات العسكرية مسألة نسبية غير كاملة، لصعوبة تحقيق ذلك (٢) .

وجد عبد الناصر أن رجال العسكر، اخذوا يستغلون الوضع الجديد الناشئ عن سحب الغرب لقروضه بشكل سافر ، حتى أصبحوا يحاولون الانقلاب عليه بتدبير من المشير عبد الحكيم عامر(٣)،الذي مسك زمام الأمور في مصر ، وكما يقول احمد حمروش انه كان " متخمًا بكثير من المناصب .. كان رئيسًا للجنة الاقتصادية العليا ورئيساً للجنة السد العالي،ورئيسًا للجنة تصفية الإقطاع إلى جانب رئاسته اتحاد كرة القدم " (٤) .

فاخذ جمال عبد الناصر يتوجس منه خيفة، ويحاول أن يقلص نفوذه كي لا يتمرد على نظامه بانقلاب عسكري قد يزيحه عن الحكم ويتولى هو بدلاً عنه ، غير أنه خشِيَ التبعات التي يمكن أن تحصل عن أي قرار قد يتخذه ضد المشير في المؤسسة العسكرية التي تخضع خضوعاً تاماً لسلطته ، والذي سيكون اكبر خدمة تقدم لإسرائيل في صراعها مع العرب ، ولكن

١-توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، تعريب: خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ت ، ص١٠١ .

٢- لم يتوقف الخطر على مصر، اذ في حرب عام١٩٧٣ هدد الإسرائيليين بضرب السد في حال تغيّر حال المعركة لصالح المصريين، حتى أن وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر"**Henry. Kissinger**" استخدم ورقة ضرب السد العالي بقنابل نووية، كاحتمال قد تلجأ اليه إسرائيل لحماية حدودها ، ذريعة لإجبار القادة المصريين على وقف الحرب ضد إسرائيل خلال مفاوضاته معهم عام ١٩٧٣. لمزيد من التفاصيل ينظر:إبراهيم محمد العناني وآخرون ، الخيار النووي في الشرق الأوسط ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٦٩ .

٣-عبد الستار عبد الدليمي ، العلاقات الأمريكية-المصرية١٩٦٧-١٩٧٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ والتراث العلمي ، اتحاد المؤرخين العرب ،بغداد، ٢٠٠٦ ، ص٧ -١١ .

٤-ينظر:احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ، ج٢، ص٢٦٢.

تلك التوجسات قد انتهت ، بعد حدوث حركة الانفصال[١] في أيلول عام١٩٦١ في سوريا[٢].

فحاول ان يقيد سلطاته من خلال تشكيل "مجلس الرئاسة " ، الذي ضم عدد من العسكريين المبعدين من الحكم والمستقيلين الذين يصل عددهم الى ثمانية أعضاء برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية عبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر و زكريا محي الدين وحسين الشافعي وكمال الدين حسين وتخويله سلطات وصلاحيات اتخاذ القرار السياسي، دون ان يتفرد بها شخص وفي ذلك محاولة لتحجيم المشير عبد الحكيم الذي كان متسلطاً على مؤسسات الحكومة ،غير ان الأخير تنبه لذلك وأحس بوجود نوايا مبيتة ضده ولاسيما ان المجلس بعد تشكليه في ٢٧ أيلول عام ١٩٦٢ ، عقد أولى جلساته برئاسة عبد الطيف البغدادي نائباً عن رئيس المجلس (جمال عبد الناصر)- الذي لم يحضر الجلسة-وقد صوت الحاضرون على تقليص عدد المناصب التي يحتلها المشير ، والتي رفضها الأخير بشدة-اذ كان حاضراً بينهم- وتفاجئ بصدور هذا القرار ضده ، فقام بتقديم استقالته من الحكومة وتبعه بعد ذلك بقية أنصاره من قادة القوة الجوية والبرية، مادفع عبد الناصر للتراجع عن موقفه وقرر ترضية المشير عبد الحكيم وإرجاع امتيازاته السابقة التي قيدها قرار المجلس [٣] .

لكن جمال عبد الناصر، لم يتوقف عن مساعيه الرامية للحد من تسلط المشير على الحكومة فقام باتخاذ أسلوب آخر في الرد عليه من خلال تشكيل "الاتحاد الاشتراكي " [٤]وذلك في حزيران عام ١٩٦٣، الذي كانت من واجباته تقليص نفوذ العسكريين في مؤسسات الدولة في محاولة منه لإعطاء شكلاً جديداً عن القيادة في مصرالتي تكون باحتكاك يومي مع شرائح

١- حركة الانفصال:حركة عسكرية قام بها عدد من الضباط في الجيش السوري بقيادة " عبد الكريم النحلاوي" لإزاحة المشير وضباطه عن سوريا، وإنهاء الوحدة مع مصر في ٢٨ أيلول عام١٩٦١، بعد تزايد التجاوزات التي كان يقوم بها رجال المشير على السوريين . للمزيد من التفاصيل ينظر : جاك دومال وماري لوروا،جمال عبد الناصر من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة ،تقديم: كمال جنبلاط،،تعريب: ريمون نشاطي ، دار الآداب،بيروت،د.ت،ص١١٣؛ قناة الجزيرة ،برنامج شاهد على العصر عبد الكريم النحلاوي : WWW.Al Jazeera.Net.

٢- جاك دومال وماري لوروا،المصدر السابق،ص١١٣.

٣-احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ،ج٢، ص٢١٣ .

٤- الاتحاد الاشتراكي: هو تنظيم سياسي أسس على يد جمال عبد الناصر وظيفته ربط الدولة بالجماهير والاحتكاك بالواقع اليومي لها لمحاربة الإقطاع والرجعية وتعميق فكر الثورة بين الجماهير ومراقبة عمل الأجهزة الحكومية لمزيد من التفاصيل ينظر: مصلحة الاستعلامات ، الثورة في ١٢عاماً ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص١٥ – ١٧ .

الشعب، بما يسهم في تعميق فكر الثورة وتقليل مفاسد العسكريين في أجهزة الحكومة المصرية [١].

ومع انه وجد الاتحاد، قد تلكأ في مواجهة نفوذ العسكر والإقطاع، فحاول أن يعطيه صورة جديدة تظهر قدرته على قيادة البلد وانجاز أهم المشاريع العملاقة وبنجاح بارز، فأوكل أليه مهمة متابعة العمل في السد العالي فتحقق له ماتمناه ، حيث اثبت الاتحاد بعد فترة وجيزة نجاحه في أدارة المشروع ونشر الفكر القومي بين منتسبيه ، في خطوة جيدة تنم عن اهتمام الدولة بالإنسان الذي يصنع السد بقدر اهتمامها بانجازه[٢] .

لم يقف عبد الناصر، عند ذلك الحد من الاهتمام بالمشروع ، بل أعطاه أكثر من ذلك باعتباره مشروعا تنمويًا عملاقاً يحتاج إلى أدارة حازمة ومتخصصة به تضمن سير العمل فيه بشكل ديناميكي ، فعمد على تحويل المشروع إلى وزارة قائمة بذاتها إلى جانب وزارات الدولة الأخرى، بما يعكس مدى أهميته واهتمام عبد الناصر به وعهد بها لوزير الأشغال العامة (موسى عرفة)[٣]،الذي ضل في الوزارة حتى تفاقمت الخلافات بين المصريين والسوفيت وتأخر العمل في المشروع، عندها قام الرئيس جمال عبد الناصر بتنحية موسى عرفة وعين محمد صدقي خلفا له[٤] .

١- عبد الغفار شكر، عبد الناصر يتحدث حول مفهوم العمل السياسي، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٥.

٢- عبد الفتاح رزق ، في بلدنا السد العالي واجب جديد الأمان ، مجلة روز اليوسف، العدد ١٩٤٦ ، تصدر عن مطابع روز اليوسف ، القاهرة ، تموز١٩٦٥ ، ص٢٤ -٢٥ .

٣- موسى عرفة: هو مهندس مصري عمل مديرًا لخزان أسوان القديم عام ٤٣-١٩٤٤ ، ثم عين وزيراً لوزارة الأشغال العامة في ٧ تشرين الأول عام١٩٥٨ واستمر في منصبه إلى ١٦آب عام ١٩٦١ حيث عهد أليه بتقلد وزارة السد العالي حتى ٢٧أيلول عام ١٩٦٢ ، عرف عن خبرته الطويلة في مجال الري وله الفضل الكبير في وضع اللبنات الأولى لانجاز مشروع السد العالي . لمزيد من التفاصيل ينظر:محمد الجوادي ، الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم وتشكيلاتهم ١٩٥٢ –١٩٩٧ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٦٦ ؛ سماح ياسين، البقرات والسنابل والسد العالي ، جمعية بناء السد العالي، القاهرة ، ١٩٨٩، ص٢٠٢.

٤- محمد صدقي سليمان: مهندس عسكري مصري عهد أليه بوزارة السد العالي في ٢٧ أيلول عام ١٩٦٢ ، ثم تقلد منصب رئاسة الوزراء في عام ١٩٦٦، عرف عنه كفاءته الإدارية وإخلاصه في العمل لاسيما في مشروع السد العالي. لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد حمروش، شهود ثورة يوليو ،ج٤،ص٤٠٦ .

لقد شكل انتهاء المرحلة الأولى بموعدها المقرر في١٤ أيارعام ١٩٦٤ ، دون تأخير انجازاً أذهل الخصوم والأصدقاء ولعل ما صرح به خروشوف عند زيارته المشروع بيّن مدى الاهتمام الذي حظي به المشروع دولياً حيث قال "من كان يظن ان مصر تستطيع أن تقوم بهذا الذي قامت به، في العالم دول كثيرة اكبر من مصر وأغنى ، لكنها ليست في حساب التاريخ في دنيانا المعاصرة "[١]. ولعل هذا التصريح يوضح وبدون لبس مدى الإعجاب الذي ناله السد دولياً، الذي خاضت مصر من اجله صراعاً عالمياً أكدت من خلالها على وجودها كقوة إقليمية ، وعكست أنها حققت مالم تتمكن عليه سواها من دول العالم النامية،وبذلك دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بمشروعها الصغير في رقعته الجغرافية الكبير في تأثيراته على الصعيد الدولي .

وهذا ماحفز القيادة المصرية على أكمال بناء السد العالي دون أن يؤثر على معنوياتهم الهجوم الإسرائيلي على مصر في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، الذي وجه ضربة قوية للمؤسسة العسكرية ودمر القوة الضاربة للجيش(القوة الجوية) وتسبب في تعرض الاقتصاد المصري لأضرار جسيمة بفعل الغارات الجوية على بعض المعامل والمصانع الحكومية في مصر، حتى إن إسرائيل تمكنت بأيام معدودة (من٥-١٠حزيران) أن تجعل البلد بلا جيش ، كما خابت آمال الشعوب العربية بقدرة الجيش المصري على تحرير القدس من أيدي الإسرائيليين[٢].

في الواقع أن الإسرائيليين كانوا منزعجين من الموقف الايجابي للسوفيت تجاه القيادة المصرية والذي أثار حنقهم وغضبهم، لان الاتحاد السوفيتي بثقله الدولي قد وقف الى جانب أعدائهم(المصريين) ، حيث قدم لهم القروض طويلة الأجل لتمويل السد العالي على حساب إسرائيل ، ما أثار في أنفسهم الخيفة والحذر من تحول مصر إلى قوة اقليمية قد تهدد أمنهم، ولذلك سارعوا الى تحطيم بنيتها العسكرية التي يغلب عليها السلاح السوفيتي لأشعارالسوفييت بالخطأ الذي ارتكبوه لما وقفوا إلى جانب خصومهم [٣].

١-نقلاً عن جريدة الأهرام، العدد٢٨٣٩٠، ٢٢/ أيار / ١٩٦٤.

٢-محسن خضر، المشروع القومي من الانفصال إلى الوحدة، مجلة اليقظة العربية، العدد ٢، شباط ١٩٨٦، ص٣٨٣.

٣-هايمان لومر، الصهيونية ودورها في السياسة العالمية ، تعريب: محمد مستجير ، د.ن، د.م، ١٩٧٤، ص١٦٦ .

ويمكن القول ان رجوع جمال عبد الناصر للحكم من جديد، بعد استقالته في ٩ حزيران عام ١٩٦٧في نفس اليوم على يد الجماهير التي تدفقت من جميع المدن والقرى المصرية بشكل عفوي ، هي نتيجة لشخصية جمال عبد الناصر التي أثرت في الجماهير المصرية وحتى العربية ، بفعل صلابة مواقفه التي برزت في رفضه للابتزاز الغربي لمصر، عندما قطعوا عنها قروضهم لتمويل السد العالي حتى يستسلم لشروطهم، وتحديه للغرب بتأميم قناة السويس ووقوفه بوجه العدوان الثلاثي في ٢٩تشرين الثاني عام١٩٥٦، وعزيمته على أكمال المشروع رغم الإرادة الغربية بإفشال ذلك، تركت أثرها في شعبه وجعلته متعلق به لا ينفك عنه [١].

فضلاً عن ذلك الاهتمام الذي كان يبديه عبد الناصر بالعمال والفلاحين والتأكيد في اجتماعاته الرسمية بالوزراء و النواب على الاهتمام بهؤلاء، من خلال أقامة المشاريع الاستثمارية التي تصب في خدمتهم لاسيما مشروع السد العالي، الذي صار رمزاً لإرادة الشعب وتصميمه على الحياة ورفض الظلم بكل أشكاله وبخاصة ظلم الإقطاع [٢]، ووفقاً لما يذكر جمال عبد الناصر في اجتماعاته بزملائه من الضباط الأحرار في جلسات الاتحاد الاشتراكي"انامش عاوز حد يكلمني عن واحد بياخد أكثر من ٣٠ جنيه على انه مسكين المساكين اللي بياخدوا اقل من كده " [٣] .

وفي خضم تلك الظروف الصعبة التي عاشتها مصر بعد حرب حزيران عام١٩٦٧، تطلبت منه احتواء الهزيمة والنهوض بالبلد نحو التطور، بالرغم من ضخامة الخسائر التي لحقت بشعبه نفسياً قبل ان تكون مادية ، لهذا بادرا للمضي في أكمال طريقه في الدفاع عن الثورة ومكاسبها لمصر والمنطقة العربية رغم الانتقادات الكثيرة لسياسته، فلم يكن يرضى الاستسلام لإسرائيل في حين ترفع مصر راية القومية العربية ، والدفاع عن الأمة العربية وتحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي[٤].

لذلك جعل الأولوية لمشروع السد العالي في بيان ٣٠ آذار عام ١٩٦٨، الذي كان برنامج

---

١ – محمد الخفيف، ٩ يونيو يعني استمرار الثورة الاشتراكية، مجلة الطليعة، العدد العاشر، تشرين الأول ١٩٦٧، ص٢٣ -٢٥.

٢- جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة والميثاق، ص١٩٦.

٣- احمد حمروش، مجتمع جمال عبد الناصر ،ج٢ ، ص٢٦٤ -٢٦٧ .

٤- لطفي الخولي ، رؤية ايجابية للقوة العربية ، مجلة الطليعة ، العدد العاشر ، القاهرة ،تشرين الأول ١٩٧٣ ، ص٩ .

حكومة مصر لما بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧، حيث أكد على استمرار مصر في انجاز المشاريع العملاقة لاسيما السد العالي (١).

وهذا ما جعله محط اهتمام الصحافة الأمريكية التي زارت المشروع في محاولة للتعرف على اثر الحرب على عزيمة العاملين فيه، وكانت النتيجة مخيبة لأمالهم حيث كان المشروع يتقدم رغم ما خلفته الحرب وبسرعة كبيرة نحو اكتمال مرحلته الثانية (٢).

بيد أن هذا النجاح المصري في بناء المشروع صادفته كثير من العقبات القوية والمؤثرة التي ساهمت في تأخير انطلاق عملية بنائه حتى عام ١٩٦٠، بدلاً من أن يكون في عام ١٩٥٤، ومن أهمها العقبة السودانية.

١-جمال عبد الناصر، وثائق الثورة العربية ، رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، بيروت، د.ت، ص٢٩ .

٢- عبد الهادي البكار ، المأزق مصر والعرب الآخرون، مطبعة التقدم،القاهرة،١٩٨٤، ص١٢٠ .

المبحث الثالث// العلاقات المصرية السودانية في ضوء اتفاقية تقاسم المياه في عام ١٩٥٩

يعود تاريخ العلاقات السياسية بين مصر والسودان إلى عهد محمد علي باشا والذي ضم السودان للحكم المصري (١٨٢٠-١٨٢٣) [١]، ثم تطورت بينهما بمرور السنين غير أن تلك العلاقات شهدت تحولات سياسية لاسيما بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ والتي خضعت بموجبها السودان للحكم الثنائي البريطاني المصري و كانت لبريطانيا اليد الطولى في أدارة السودان أكثر من مصر، التي توضحت بعد مقتل السردار البريطاني للجيش المصري لي ستاك " ly stack " في عام ١٩٢٤ وهو ما أعطى الذريعة لها لإجبار مصر على سحب قواتها منه [٢] ، وتقاسم مياه النيل مع مصر بما يشكل وسيلة للضغط عليها تكريساً للاحتلال البريطاني عليها [٣] .

لقد استمر الوضع على هذا الحال حتى وصول الضباط الأحرار للحكم في تموز عام ١٩٥٢وبذلهم المساعي الحثيثة في بناء السد العالي، غير أنهم واجهوا عقبة شديدة تمثلت بضرورة موافقة السودان عليه باعتبارها من الدول المتضررة من تشييد المشروع ، اذ أن بنائه سيعرّض بعض أراضيها للغرق خصوصاً تلك الواقعة في أقصى الشمال، فضلاً عن ذلك انه سيتسبب في تشريد عشرات الآلاف من سكان تلك الأراضي [٤].

ونتيجةً لذلك حاول الساسة المصريون أجراء مفاوضات مع السودانيين لأخذ موافقتهم على بدأ العمل في بنائه ،غير أنهم وقعوا في مشكلة عدم وجود طرف سوداني يمكنهم التفاوض معه ، فلم تكن هناك حكومة ولا برلمان سوداني وهذا ما تطلب منهم السعي لعقد اتفاقية مع

١- لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٦، ص٤٨٢-٤٨٤؛ محمد صبري، المصدر السابق، ص٥٩-٦١.

٢- ابتسام محمود العكيلي ، الحياة الديمقراطية في السودان ١٩٥٣-١٩٦٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،٢٠٠٣ ، ص١-٢٠ .

٣- محمد عبد الرحمن برج، قناة السويس أهميتها السياسية والإستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٥٦، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٩٢-٢٩٤.

٤- طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق، ص٢٣.

بريطانيا لسحب قوات الدولتين ونقل الإدارة الحكومية للسودانيين وتشكيل حكومة انتقالية ، حتى أجراء الانتخابات وذلك ما حصل فعلاً بعد عقد اتفاقية بينهما في١٢شباط عام ١٩٥٣ بين محمد نجيب والسفير البريطاني رالف ستيفنسون " R .Stevenson" [١] ، تضمنت "قيام حكم ذاتي في السودان على أسس برلمانية ديمقراطية كبديل عن الحكم الثنائي، وتهيئة البلاد لتقرير المصير في فترة لا تتعدى الثلاث سنوات. وأعطت لبرلمان الحكم الذاتي حق التعبير عن رغبته في اتخاذ التدابير للشروع في تقرير المصير أما الارتباط بمصر و أما الاستقلال التام "[٢].

كان ذلك الأمر قد اوجد شعوراً بين القادة المصريين بقرب التوصل لاتفاق مصري سوداني حول المشروع مستغلين التنازلات التي قدموها للسودانيين، لاسيما أن غالبية الشعب السوداني يميل للوحدة مع مصر، مع مجيء إسماعيل الأزهري[٣]، للحكم في السادس من كانون الثاني ١٩٥٤[٤].

الواقع أن التصور الذي رسمه القادة المصريون عن السودان لم يكن صحيحاً إذ لم يبد الأزهري استعداداً للوحدة مع مصر وان تكون السودان تقاد من قبل المصريين ، بل انه بالغ في رفضه الوحدة معها إلى حد رفضه صفقة الأسلحة المصرية التي قدمتها مصر له كهدية من الشعب المصري إلى الشعب السوداني، بل انه اتخذ سياسة معادية لمصر تقوم على أساس أقامة علاقات ودية مع الدول الغربية، فضلاً عن ذلك انه لم يشارك في مؤتمر باندونج لدول عدم الانحياز في نيسان عام ١٩٥٥، وهذا التغير المفاجئ في سياسة الأزهري جاء نتيجة انقلاب الضباط الأحرار على أنفسهم وتصفيتهم (محمد نجيب)اكبر الضباط سناً وأقربهم للسودان حيث كانت أمه سودانية الأصل [٥] ، فكانوا ينظرون أليه كرمز لفكرة وحدة البلدين ،

١-محمود عبد الرحمن برج، المصدر السابق، ص٢٩٨-٢٩٩.

٢- نقلاً عن منى حسين الشمالي، الأحزاب الاتحادية في السودان١٩٤٤-١٩٦٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤:،ص١٢٦.

٣- إسماعيل الأزهري : سياسي سوداني ورئيس أول حكومة للسودان، كان سكرتيراً لعلي المرغيني (زعيم الطائفة الختمية) ، ثم التحق بنادي الخريجين في ام درمان ، تولى رئاسة الحكومة لمرتين متتاليتين الأولى من عام ١٩٥٤- ١٩٥٦ والثانية في بداية عام ١٩٥٦حتى منتصفه ، ليخلفه بعد ذلك عبد الله خليل في نفس العام رئاسة الحكومة. لمزيد من التفاصيل ينظر: منى حسين الشمالي، المصدر السابق، ص٤٢.

٤-المصدر نفسه، ص٤٢.

٥- احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر، ج٢، ص١٧-٢٢ .

ولما قدم محمد نجيب استقالته احتجاجاً على تدخل مجلس قيادة الثورة في اختصاصاته ، أثار ذلك التصرف الشعب السوداني وقيادته، وجعل رئيس الحكومة إسماعيل الأزهري يقدم على ترك فكرة الوحدة مع مصر التي كان ينادي بها[١] ، حتى وصل به الحال إلى رفضه بناء السد العالي قبل الانتهاء من حسم مسألة تقاسم مياه النيل، كما انه طلب من الولايات المتحدة التوسط بينه وبين المصريين لتعجيل حسم المفاوضات التي جرت بين الجانبين، وترأس الوفد المفاوض السوداني وزير الري محمد خضر حمد ومستشاره موريس"Mores" ،فيما ترأس الوفد المصري صلاح سالم من اجل تقاسم مياه النيل وذلك في ١٢ نيسان عام١٩٥٤، وقد تناولت المفاوضات مسالة الحصص المائية لكل من البلدين فالسودانيين رفضوا اتفاقية عام ١٩٢٩، وطالبوا بحصة مائية تبلغ ٢٠ مليارم٣ /سنة بينما أراد المصريين الإبقاء على الوضع السابق(أي ٤ مليارم٣ /سنة من مياه النيل للسودان)[٢].

أن تزمت الأزهري في رفض اتفاقية عام ١٩٢٩ ومطالبته بالحصول على حصة جديدة لا تقل عن ٢٠ مليار م٣، دفعت الساسة المصريين للتفكير في أثارة القلاقل الداخلية في السودان من اجل إجباره على الرضوخ لهم، وذلك باستخدام الشيوعيين السودانيين الذين كانوا يرفضون السياسة الأزهرية، التي تحاول تقوية روابط السودان بالغرب و ادخالها في حيز النفوذ الغربي، فعمدوا على أطلاق سراح بعض الشيوعيين المصريين ليقنعوا زملائهم السودانيين بتحريك الوضع الداخلي،غير أن المخطط فشل باستقالة صاحب المبادرة(صلاح سالم)من مجلس قيادة الثورة وتركه العمل السياسي[٣]، ورغبة جمال عبد الناصر بعدم أيجاد فوضى داخلية بالسودان ، قد لايمكن السيطرة عليها لذلك تجنب الاصطدام به حتى انه صرح

١- لمزيد من التفاصيل حول أسباب رفض الأزهري للوحدة ينظر:محمد عبد الحميد الحناوي،معركة الجلاء ووحدة وادي النيل ١٩٤٥-١٩٥٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٨،ص٣٥٥.

2-WWW.Sacdo.Com/web/forum/forumposts.asp

٣-كانت أسباب الاستقالة ان مجلس قيادة الثورة اتهمه بأتباع سياسة فاشلة في أدارة الأزمة السودانية ، مما تسبب في تدهور العلاقات بين مصر والسودان ، فاستقال في ٢أيلول عام ١٩٥٥. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد عبد الحميد الحناوي ،المصدر السابق،ص ٣٥٥-٣٥٧؛ احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر، ج٢،ص٢٣.

لصحفي عربي سأله عن موقفه من الأزهري فقال مانصه "أنا لا أحب أن ادمغ الأزهري بالخيانة " [١] . ويظهر من هذا التصريح مدى الانزعاج المصري من تصرفات الأزهري وعدم رضاهم عن المسلك الذي سار فيه ، غير أن الرئيس المصري كان حذراً في إلقاء التهم ضد خصمه الأزهري، فهو لا يطمح إلى تأزم العلاقات بينهما ، لما في ذلك من أضرار على جهودهم الحثيثة لإقناع السودانيين بالموافقة على بناء السد العالي.

فكانت نتيجة هذا الإصرار من الطرفين على مواقفهم هي تعثر المفاوضات وإصرار الجانب السوداني على عدم الاستجابة للمصريين ، بحجة أن اتفاقية عام ١٩٢٩ باطلة لأنها عقدت بين دولتين محتلتين للسودان هما بريطانيا ومصر دون أي مشاركة سودانية فيها [٢].

استغلت الدول الغربية كبريطانيا والولايات المتحدة الخلافات بين الجانبين للترويج لأثار المشروع السلبية، فانه (كما تقول هذه الدولتين) يشرد ٥٠ ألف سوداني من المنطقة الواقعة شمال السودان وأنهم لا يمكن ان يمولوا السد العالي دون تسوية المشكلة السودانية [٣].

بل أن الحكومة البريطانية كانت عازمة على وضع العقبات أمام المصريين في مسعاهم لبناء السد العالي ، وذلك باشتراطهم قيام الحكومة المصرية بالدعوة إلى عقد مؤتمر دولي تحضره دول حوض النيل، فضلا عن الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي (التي ستساهم في تمويل السد العالي) لمناقشة مسالة تقاسم مياه النيل، فضلاً عن ذلك لزوم معالجة مشكلة غرق وادي حلفا الواقع شمال السودان بإقامة سد على نهر عطبرة وتوطين السكان المحليين هناك ، قبل أي اتفاق على تقاسم مياه النيل[٤]. وبهذا يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، كانتا متفقتان على جعل السودان ذريعة لهم لسحب تعهداتهم لمصر بتمويل السد العالي بحجة أنهما يتخوفان على حياة السكان المحليين في شمال السودان من الغرق وتعرضهم للمعاناة والبؤس .

لكن الأزهري لم يستمر طويلاً في رئاسة الحكومة، حيث قدم استقالته للمرة الثانية وذلك في

١- احمد شادمان ، أيام مضت ، رياض الريس للنشر ، د.ت، ص١٦٦ .

٢-د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة ، رقم الملفة ٢٦٧٧/ ٣١١، ١٢/ ٤/ ١٩٥٥، الوثيقة ٢٨، ص٨٢-٨٣ ؛ لمزيد من التفاصيل، ينظر:الملحق الوثائقي ملحق رقم(٧).

٣- محمد حسني أمين، السد العالي انتصار الشعب، الدار القومية، القاهرة، د.ت،ص٦٥.

4-Department of State, Foreign Relations 1955-1957, the Foreign Office to Her Majesty's Embassy, Central Files. 874.2614 /6-1456, Volume XV, Washington, June 14, 1956 ، نقلاً عن (www.Nasser.com).

٤تموزعام١٩٥٦، لعدم إحرازه ثقة النواب داخل البرلمان، لتظهر بعده أول حكومة سودانية منتخبة ودستورية [١]، برئاسة عبد الله خليل[٢].

غير ان تولي عبد الله خليل رئاسة الحكومة ، لم يغير من الواقع شي فقد انتهج نهج سلفه في عدم التفريط بمصالح السودان أبداً ، دون أن يعبأ بتعاظم نفوذ جمال عبد الناصر والذي يمكن إرجاعه إلى سببين:

السبب الأول: استغلاله لمبدأ أيزنهاور عام١٩٥٧[٣] في الحصول على الدعم العسكري، وحتى المالي للوقوف بوجه عبد الناصر والتصدي لنفوذه حتى أنه أيده علناً [٤].

والجدير بالذكر انه حاول استغلال العداء الغربي لعبد الناصر ولاسيما من قبل بريطانيا وحاجتها للقطن المصري، فقام بزيارة المملكة المتحدة في عام ١٩٥٧، ووقع عقداً معها لتوريد القطن السوداني لها في محاولة يفهم منها الضغط على الحكومة المصرية اقتصادياً[٥].

السبب الثاني: موقف دول بعض حوض النيل (أثيوبيا، كينيا ،أوغندا) المعارض لإنشاء المشروع [٦].

١-منى حسين الشمالي، المصدر السابق، ص١٧٧.

٢-عبد الله خليل : سياسي سوداني ورئيس حكومة التحق في شبابه في عملية غودرن ثم انضم الى حركة اللواء الأبيض ، حتى أصبح سكرتيرا في حزب الأمة عام،١٩٤٥ ، وقد شكل حكومتين متتاليتين مابين عام ١٩٥٦ -١٩٥٨ . لمزيد من التفاصيل ينظر :منى حسين الشمالي ،المصدر السابق،ص٧٤.

٣- مبدأ أيزنهاور :هي سياسة جديدة اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب السويس تقوم على تقديم الدعم المالي والعسكري للدول التي تتعرض لخطر الشيوعية السوفيتية ، أو الدول الحليفة للشيوعية . لمزيد من التفاصيل ينظر: صبري فالح الحمدي، الولايات المتحدة والعراق والأحلاف الغربية ومشروع أيزنهاور في مناقشات مجلس النواب العراقي٤٥- ١٩٥٨ ، مجلة الآداب، العدد ٧٧، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ ،ص١٩٤-٢٠٧.

٤-علي عظم الكردي ، مشروع أيزنهاور والموقف الدولي دراسة أولية ، مجلة السدير، العدد ٢ ، جامعة الكوفة ، حزيران ٢٠٠٣ ، ص٢١٧-٢١٨ .

5–F.O371/125423, PRIME MINISTER'S VISIT TO LONDON, NO 302, September 1, 1957,p.9. ،نقلا عن (www.Nasser.com)

٦- د.ك.و،مجلس السيادة، السفارة العراقية في الخرطوم ، رقم الملفة ٢٨٣ /٤١١ ،١٩٥٩/٩/١٩ ، الوثيقة رقم١١،ص٤٢ .

وقد كان الموقف الأثيوبي أكثرها وضوحاً، حيث قامت سفارتهم في القاهرة بعمل جريء واستفزازي للحكومة المصرية بتوزيعها منشوراً على السفارات الأجنبية هناك ؛ تؤكد فيه على حقها في " استعمال كافة موارد المياه لصالح شعب أثيوبيا " ، الذي عكس بشكل واضح الرفض الأثيوبي الشديد لبناء السد العالي بتحريض من الساسة الإسرائيليين الذين كانوا يدفعونهم نحو فعل ذلك، بحجة أنهم بحاجة للمياه لتنفيذ مشاريع تزيد من مساحة الرقعة الزراعية فيها ، بينما الحقيقة خلاف ذلك، فالمشروع لا يؤثر أطلاقا على أثيوبيا فمصر هي مصب لنهر النيل وليس من دول المنابع كي تؤثر في الحصص المائية للدول المتشاطئة عليه ، كما أن أثيوبيا نفسها لا تتأثر بإنشاء المشروع بحكم أن ما نسبته ٨٠% من مياه للنيل هي الموردة لها[١].

لقد كان الإسرائيليون يشجعون الأثيوبيين على الاستمرار في معارضة بناء المشروع [٢]، علماً منهم أن العلاقة ما بين النيل والحياة في مصر وثيقة جداً حتى أصبحت مقولة هيرادوت أن " مصر هبة النيل "واقعية ، محاولين استغلال ثغرة سيادة الصحراء على غالبية أراضي مصر اذ ما نسبته ٩٦% من أراضي مصر صحراوية ، وهذا يعني أن الغرض من ذلك تهديد الأمن المائي المصري بشكل مباشر [٣] .

والجدير بالذكر أن الحكومة المصرية لم تكن تعطي الأهمية لا لأثيوبيا ولا للنفوذ الإسرائيلي فيها ، لأنها تعلم أن الأولى غير قادرة على التحكم بالنيل لصعوبة ذلك وانه يتطلب منها أنشاء سد عالي في بلدها، كما هو الحال مع مصر، وهذا أمر مستبعد بالنسبة لإمكانياتها المتواضعة، وأما إسرائيل فأنها لايمكن أن تجازف بتمويل نفقات أي مشاريع ضخمة فيها لتكاليفها الكبيرة على اقتصادها ، وعليه فأن تهديدات أثيوبيا لايمكن أن تصدق[٤] .

ومن جانبه كان عبد الناصر يدرك أن حكومة عبد الله خليل تشكل عقبة قوية بوجه تنفيذ المشروع، ولابد من التفكير مليا في حل يرضي الطرفين ، الذي كان مستحيلا على الأقل في هذه المدة ، فالأخير كان خصماً عنيداً ولا يقبل التنازل أبداً ، فأصبح من اللازم تحريك عناصر

١-أيمن البهلول، الأطماع الخارجية في المياه العربية، دار السوسن، دمشق، ٢٠٠٠، ص٧٨.

٢-المصدر نفسه،ص,٧٨

٣- عبد العظيم أبو العطا وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .

٤- أيمن البهلول ، المصدر السابق ،ص٧٩-٨٠ .

الضغط المصري في السودان ضده بشكل يزعزع نفوذه ويجبره على الاستسلام للإرادة المصرية باستخدام المعارضة النيابية ضده [١].

من جانبه أدرك خليل قوة المعارضة الداخلية وتحركات ناصر القوية لزعزعة حكمه، ومن ثم إسقاطه فأصبح يفكر في تولية الجيش السوداني قيادة الحكم[٢].

في مقابل ذلك رفضت الولايات المتحدة ذلك ، محاولةً تقديم الدعم والتأييد لحكومة عبد الله خليل، حتى ولو تطلب ذلك تقديم قروض للسودان وهو ما حصل فعلاً ، عندما عقد الجانبين السوداني والأمريكي اتفاقية لتقديم قروض للسودان بقيمة(٤١ مليون جنيه) لتنفيذ المشاريع الاقتصادية في السودان،التي عجزت عنها حكومته بسبب التدهور الاقتصادي الذي تعيشه[٣].

كما قام الأمريكان بأجراء اتصالات سياسية سرية مع بعض النواب السودانيين المعارضين له وقدموا لهم "رشاوى" لتغيير مواقفهم تجاهه لإبقائه في الحكومة[٤]. لعل هذا الإصرار الأمريكي على استمرار خليل في الحكم، راجع إلى مرارة التجربة المصرية التي تصوروا أنها يمكن أن تصب في صالحهم وانه يمكن ترويض رجالها بالسياسة والمغريات المالية ، بيد ان كل ذلك فشل وتحولت مصر إلى بلد يهدد المصالح الغربية.

١-كانت المعارضة النيابية مكونة من الحزب الوطني وحزب الشعب الديمقراطي السوداني، اللذان يرفضان تقرب عبد الله خليل للولايات المتحدة وموافقته على مبدأ أيزنهاور، كما أنهم لا يحبذون استعداء مصر عليهم وهي الدولة العربية الأكثر نفوذاً بين الدول العربية ، وكان الحزبين يشكلون أغلبية بسيطة في مجلس النواب اذ يحتلون من مقاعده ٧٤ مقعد و١٢ مقعد في مجلس الشيوخ بينما حزب الأمة الذي يؤيد خليل لا يحتل سوى ٧٢ مقعد في مجلس النواب و١٢ مقعد في مجلس الشيوخ . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمود جواد العكيلي،الأوضاع السياسية في السودان ١٩٦٩-١٩٨٥ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ،٢٠٠٧ ، ص٦٦-٦٧ .

٢- ابتسام العكيلي ، الأوضاع السياسية في السودان ، ص٧٠-٧٣.

٣- د.ك.و،مجلس السيادة، السفارة العراقية في الخرطوم ، رقم الملفة ٤١١/٢٨٣، ١٩٥٨/٨/٧، الوثيقة رقم ١٨،ص٨٨ .

٤- طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ،ص٨٠ .

حاول عبد الله خليل أن يفتعل أزمات سياسية تساهم في كسب الشارع السوداني من جهة ، وتربك الجانب المصري من جهة أخرى ، كما حدث في" أزمة حلاييب" [١]، وذلك في كانون الثاني عام ١٩٥٨، غير أن جهوده فشلت ولم تثمر عن شيء ، وأصبح الطريق بعدها مهيئا لوصول رجال العسكر للحكم في١٧ تشرين الثاني عام١٩٥٨[٢]،بقيادة الفريق إبراهيم عبود[٣].

ان الوضع الجديد في السودان أثار اهتمام القادة السياسيون في مصر الذين وجدوا وضعاً سياسياً شبيهاً بما حصل في مصر عام ١٩٥٢، لاسيما ان المفاوضات مع الجانب السوداني لآخر لحظة كانت متعثرة فلم يتمكن وزيرا خارجية البلدين محمود فوزي (مصر) ومحمد احمد محجوب (السودان) من حل القضايا العالقة بينهما وقررا المعاودة من جديد في وقت آخر [٤].

بيد أن المصريين خسروا رهاناتهم ، فلم يكن عبود سهل المراس على الرغم من ادعائه بان سياسته تقوم على إنهاء الأزمات مع حكومة مصر، مع عدم التفريط بحقوق السودان المائية [٥] .

وقد اخذ المصريون يشعرون باليأس وبخاصة أن الفريق عبود جردهم من كل عناصر الضغط السياسي التي كانوا يستخدموها ضد رؤساء الحكومات السابقة ، فهو سيطر على كل

١-أزمة حلاييب: هي منطقة تقع شمال السودان عند خط العرض ٢٢ شمالاً، لعبت دوراً كبيراً في تصاعد حدة الخلافات السياسية بين السودان ومصر حول عائدية المنطقة ، فمصر حاولت أجراء استفتاء فيها ضمن الاستفتاء العام لتقرير مصير "الجمهورية العربية المتحدة "، بينما السودان رفضت إدخالها في الدائرة الانتخابية لمصر وأرسلت قوات عسكرية أليها ولم تنتهي الأزمة ، ألا عندما قرر جمال عبد الناصر إيقاف شمولها بالاستفتاء. لمزيد من التفاصيل ينظر :د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في لندن،رقم الملفة ٣١١/٥٠٢٠، ٣/٣١/ ١٩٥٨ ، الوثيقة رقم ٢، ص٦؛ منى حسين الشامي ، المصدر السابق ، ص١٨١-١٨٢.

٢- ابتسام العكيلي ، الأوضاع السياسية في السودان ، ص٧٣.

٣-الفريق إبراهيم عبود : قائد عسكري ورئيس جمهورية السودان، ولد عام ١٨٩٧ التحق بالكلية الحربية عام ١٩١٨ ارتقى الى رتبة فريق بعد الاستقلال عام ١٩٥٦، تمكن بمعية الضباط السودانيين أن يسقط الحكم البرلماني ويتولى رئاسة الجمهورية في تشرين الثاني عام١٩٥٨حتى عام١٩٦٤، اذ أطيح بحكمه لمزيد من التفاصيل ينظر :المصدر نفسه، ص٧٣.

٤- د.ك.و، مجلس السيادة ،السفارة العراقية في الخرطوم ،رقم اللفة ٤١١/٢٨٣ ،١٩٥٨/١١/١٣، الوثيقة رقم ١١، ص٤٢.

٥- طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص٨٥-٨٦.

مفاصل الدولة ولم يضع حدًا يقف عنده، فأصبحت كل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بيده [١].

حتى انه اشترط لقبول أي تفاوض مع الحكومة المصرية لتقاسم مياه النيل، ان تكون حصة السودان المائية لا تقل عن ١٨,٥ مليارم٣ /سنة ،التي كان المصريون يرفضونها بشدة ، ويصرون على أن تكون حصتها ٤ مليارم٣/سنة ، ولم يفلح تدخل عبد الناصر في المفاوضات وطرحه حلاً وسطاً بان تكون حصتها ١١ مليارم٣/سنة [٢].

وفي تشرين الأول عام١٩٥٩، انطلقت المفاوضات بين الجانبين وترأس الوفد المصري وزير الداخلية زكريا محي الدين كما ضم الوفد حسين عباس وزيرا لاقتصاد التنفيذي وعبد المنعم القيسوني وزير الاقتصاد المركزي، فيما ترأس الوفد السوداني وزير الاستعلامات السودانية محمد طلعت وضم الوفد في عضويته مقبول الأمين وزير الزراعة والري وعدة شخصيات أخرى ، وفي ٤ تشرين الثاني عام ١٩٥٩ اختتمت المفاوضات [٣]، وخلصوا من نقاشاتهم إلى توقيع اتفاقية بينهما لتقاسم مياه النيل تضمنت حصول مصر على حصة مائية قدرها ٧,٥ مليار م٣ سنويا من مياه النيل وبذلك ترتفع حصتها من ٤٨مليارم٣سنويا إلى ٥٥,٥ مليار م٣ سنويا ، وأما السودان فتمكنت من الحصول على حصة كبيرة قدرها(١٨,٥)مليارم٣/سنة،وبذلك تكون السودان ربحت المفاوضات برفع حصتها المائية من ٤مليارم٣/سنة إلى ٢٢,٥ مليارم٣ /سنة[٤].

وبانتهاء المفاوضات [٥] ، صار الطريق مفتوحاً أمام عبد الناصر للبدء ببناء السد العالي الذي انتظره طويلاً، بعدما انتهت العقبة السودانية وبما ان ذلك غير ممكن دون مساعدة السوفيت فكان على المصريين توثيق تعاونهم مع الاتحاد السوفيتي لضمان تمويل السد العالي في مرحلتيه الأولى والثانية بعدما امتنع الغربيين عن ذلك.

١-ابتسام العكيلي ، الأوضاع السياسية في السودان ، ص٧٣ .

٢-د.ك.و،مجلس السيادة، السفارة العراقية في الخرطوم ، رقم الملفة ٤١١/٢٨٣، ١٩٥٩/٩/١ ، وثيقة رقم١١،ص٢ .

٣- طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص٨٥-٨٦.

٤-د.ك.و، مجلس السيادة،السفارة العراقية في الخرطوم ، رقم الملفة ٢٨٣/ ٤١١، ١١/٤/ ١٩٥٩ ، الوثيقة رقم ٩ ، ص٣٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل ينظر: ملحق رقم (٨).

٥- قد تم المصادقة على الاتفاقية بعد ١٥ يوم من توقيعها. لمزيد من التفاصيل ينظر: د.ك.و، مجلس السيادة، السفارة العراقية في الخرطوم ، رقم اللفة ٤١١/٢٨٣، ١٩٥٩/١٢/١ ، الوثيقة رقم ٧، ص٢١.

المبحث الرابع// دور السد العالي في توطيد العلاقات المصرية السوفيتية

ترجع العلاقات المصرية السوفيتية إلى عشرينيات القرن العشرين، عندما كان الاتحاد السوفييتي يستورد كميات كبيرة من القطن المصري، ثم تطورت هذه لتصل إلى حد اعتراف حكومة النحاس رسمياً بالاتحاد السوفييتي في عام ١٩٤٣ [١].

بعد سقوط النظام الملكي في مصر ووصول الضباط الأحرار للحكم بعد ثورة تموز عام ١٩٥٢، اخذوا يتحركون للاستفادة من الاتحاد السوفيتي في الحصول على المساعدة اللازمة لتطوير إمكانيات الجيش المصري وتحسين أدائه خصوصاً ، بعد ان رفضت كل من الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا عن تزويد مصر بما تحتاج اليه من الأسلحة [٢] .

لكن وجود جوزيف ستالين "Geozef F Stalin" [٣] في الحكم ،عمل على تأخير الانفتاح السوفييتي على المنطقة العربية إذ لم يوافق على تقديم أي مساعدة لأي دولة لا يكون نظام الحكم فيها شيوعيا [٤] ، واستمر الوضع هكذا حتى وفاة ستالين عام ١٩٥٣ وتولي خروشوف رئاسة الحزب الشيوعي السوفييتي،فبدأت تظهر سياسة جديدة تعترف بالأمر

١- لمزيد من التطورات السياسية حول ذلك ينظر: فؤاد مرسي وآخرون، الاتحاد السوفييتي عربيا ومصريا، مجلة الطليعة،العدد الأول،مطابع الأهرام،القاهرة،كانون الثاني١٩٧٥،ص١١٤؛ عبد الله الساعف،مستقبل العلاقات السوفييتية العربية، مجلة الوحدة ، العدد٦٩، حزيران ١٩٩٠ ،ص٦٠ .

٢- احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ،ج٢، ص٦٤ .

٣- جوزيف فيسارو ستالين : سياسي سوفييتي ولد في جورجيا عام(١٨٩٧ -١٩٥٣)، تولى في شبابه تحرير جريدة البرافدا في عام ١٩١٧ ثم تقلد منصب سكرتارية الحزب الشيوعي الروسي عام ١٩٢٢، ليصبح رئيساً للاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٧ بعد خصام شديد مع خصمه تروتسكي، وقد تميز عهده بالقسوة والعنف ضد معارضيه ، توفي في عام ١٩٥٣. لمزيد من التفاصيل ينظر: ألن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ،ج٢، تعريب: سوسن السامر ويوسف أمين ، مراجعة: محمد مظفر الادهمي ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص٢٩٢-٢٩٥ .

٤- مها ناجي حسين ، العلاقات الجزائرية- السوفييتية ١٩٦٢ – ١٩٧٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص١٤٦.

الواقع عرفت ب"سياسة التعايش السلمي" [١].

غير أن اغلب الدول العربية رفضت أقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي، تخوفاً على أنظمة الحكم فيها من خطر الشيوعية التي تهدف إلى جعل الطبقة العاملة هي المتحكمة، وبالتالي سقوط الأنظمة الملكية العربية، بالإضافة إلى طابعها الإلحادي الذي يتعارض مع تعاليم الإسلام والأديان السماوية الأخرى [٢].

فظلت السياسة السوفيتية، تترقب الدخول للمنطقة العربية التي كانت تقيم علاقات سياسية قوية مع الدول الغربية، بما يحول بينها وبين أقامة علاقات وثيقة معهم، ولكن هذا الترقب والانتظار انتهى بعقد حكومة عبد الناصر" الصفقة الجيكية" مع السوفييت عام ١٩٥٥ ، ثم مشروع السد العالي أهم المشاريع وأبرزها، اذ فتح الطريق أمام السوفيت لتوسيع رقعة نفوذهم لتشمل المنطقة العربية بحكم طول مدة بنائه التي تصل إلى ١٠ سنين متوالية ، فضلاً عن وجود الخبراء السوفيت الذين يساعدون المصريين في بنائه في منطقة أسوان طوال هذه المدة فتكون فرصة مناسبة لهم للتعرف على هذه المنطقة وإقامة علاقات مع دول جديدة، مستثمرين وجودهم في مصر بشكل غير مكشوف بحجة تقديم المساعدة الاقتصادية و الفنية للمصريين [٣] .

وعلى الرغم من تقديم السوفييت قروضهم المالية لتمويل المشروع، ألا أن المصريين لم يكونوا يحبذون القروض السوفيتية ، لما تجره عليهم من تداعيات خطيرة في المستقبل ولاسيما مع الدول الغربية ، كما أنهم تخوفوا من استغلال السوفيت لتلك القروض في نشر الشيوعية داخل مصر، وفضلوا بدلاًعن ذلك الحصول عليها من الغرب والاستفادة من العروض

١-سياسة التعايش السلمي : سياسة اتبعها لينين في التعامل مع الدول الشيوعية وغيرها تقوم على رفض الحروب والأحلاف العسكرية ورفض سياسة التسلح ، وقد سار عليها خروشوف في التعامل مع دول العالم . لمزيد من التفاصيل ينظر: واي بوجوش وآخرون، السياسة الخارجية السوفييتية ١٩٥٥ – ١٩٦٥ ، تعريب: خيري حماد ، دار الكتاب العربي،القاهرة ، ١٩٦٨، ص٢١-٢٥؛ محمد عزيز شكري ،الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، عالم المعرفة،الكويت،١٩٧٨،ص١٥٥ .

٢- محمد حسنين هيكل، الزلزال السوفييتي، ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٠، ص١١٩-١٢٣.

٣-بييروندو ، مستقبل الشرق الأوسط ، تعريب: نجدة هاجر ، وسعيد الغز، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت، ص١٨٣.

تمويل المشروع[١].

حاول السوفييت استغلال فرصة سحب الغربيون لقروضهم المالية في تعزيز علاقاتهم بعبد الناصر ومحاولة استمالته بإرسال قباطنة ومرشدين سوفيت لمصر لمساعدة مصر في أدارة قناة السويس ، بعدما أعلن جمال عبد الناصر عن تأميمها في ٢٦ تموزعام ١٩٥٦ ، فضلا عن تعهدهم بتمويل السد العالي [٢] .

لم يكن الساسة المصريون غافلين عن نوايا السوفيت ، باستثمار كل مساعدة لمصر في خدمة مصالحهم في المنطقة العربية ، فقد عمدت سفارتهم في مصر على الترويج للشيوعية السوفييتية في القاهرة وتوزيع الكتب على الناس وبشكل علني[٣]، مما دفع المصريون لشن حملة اعتقالات قوية ضد الشيوعيين بعد انتهاء حرب السويس، كانت من الشدة دفعت الصحف السوفييتية كالازفستا و البرافدا ، للمجاهرة بعدم أمكانية تقديم أي دعم مالي للمشروع مع هكذا تصرفات ضد الشيوعيين المصريين [٤] .

لم يكن هذا السلوك المصري المعادي للشيوعيين قاصراً على مصر فقط ، بل تعداه ليطال الشيوعيين السوريين، إذ كان عبد الناصر مدركاً للخطر الذي يمثله وجود الفكر الشيوعي قرب حدوده ، حيث تتواجد شخصيات شيوعية سورية تحتل مناصب رفيعة في الدولة السورية والذي سيمكن السوفييت من تحويل سوريا الى حليف لهم في المنطقة العربية مما يؤثر على تعهداتهم بتمويل السد العالي ، ولاسيما أن عبد الناصر لم يكن لهم حليفاً جيداً ينفذ أوامرهم وهذا ما أكده خروشوف في قوله "بعدم ارتياحهم للمسار الذي اتبعه عبد الناصر في التعامل مع الشيوعيين المصريين " غير ان خروشوف بقى مستمراً على علاقاتٍ شكليةٍ مع الأخير حتى لايتوجه نحو الغرب لذلك دعاه الى زيارة موسكو"**Moscow**"وكما قال خروشوف " نريد ان يرى ما تفعله الشيوعية " قاصدا بذلك التقدم التكنولوجي والاقتصادي الذي حققه الاتحاد السوفيتي[٥].

١-د.ك.و.،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في واشنطن ، رقم اللفة ٣١١/٥٠٣٨، ٤/٥/ ١٩٥٦ ، الوثيقة رقم٣، ص١٥.

٢-محمد حسنين هيكل وآخرون ، معركة السويس ، ص٨٥.

٣-د.ك.و.،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة ، رقم اللفة ٣١١/٢٦٨٠، ١٩٥٦، الوثيقة رقم ٧٧ ،ص١٨٠ .

٤-وليد الحاج ، العلاقات المصرية السوفييتية من السد إلى الخبراء ، الشركة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٢ ،ص١٦ .

٥-نقلاً عن محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص١٧٧.

لم يضمر السوفييت نواياهم طويلاً ، فقد جاهر تسايف"Tesaeef "مدير أدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، في وصف سياسة "الحياد الايجابي" بأنها خرافة لا واقع لها على الأرض وعلى الحكومة المصرية تأييد الشيوعية لتحظى بدعم السوفييت [١] ، وفي ضوء هذا الوضع الجديد صار من غير الممكن أن يبذل السوفييت أموالاً طائلة تكلف الخزانة السوفييتية كثيراً لنظامٍ لا يسمح بالشيوعية أن تحتل أي منصب في بلاده [٢].

عند ذلك تحرك عبد الناصر لإفشال مخططات المعسكر الغربي بضم سوريا لنفوذه [٣] ، والمعسكر الشرقي بجعلها موطئ قدم له للنفوذ الى المنطقة العربية ،وذلك من خلال دمج كل من مصر وسوريا بوحدة قومية، بعدما اشترط على القيادة السورية لاسيما قادة الجيش السوري الذين زاره وفداً منهم يتكون من ٢٠ ضابطاً سورياً في شباط عام ١٩٥٨، وطلبوا منه تحقيق الوحدة بين البلدين لحماية البلد من التشتت الحزبي ولحماية سوريا من الأخطار الخارجية، فأشترط عليهم ان يوافقوا على حل جميع الأحزاب السورية وبضمنها الحزب الشيوعي السوري، فوافقوا على ذلك و كان بينهم ضابط في الحزب الشيوعي[٤].

وبعدما شكل جمال عبد الناصر"الجمهورية العربية المتحدة "[٥]، قام بزيارة الاتحاد السوفييتي في شهر نيسان عام ١٩٥٨ وتباحث مع خروشوف حول شؤون المنطقة العربية وحصولها على المساعدات ، و محاولة أقناع السوفييت بعدم ربط صداقتهم له بموقفه من

١- شيماء العميري ، المصدر السابق،ص١٤٧ .

٢- جريدة البلاد، العدد ٤٧٠٨، ٢٦ / تموز/ ١٩٥٦.

٣- كانت وكالة المخابرات الأمريكية تخطط لتدبير انقلاب عسكري في سوريا ، تساهم فيه حلفائها في المنطقة (العراق وتركيا) فعلياً بقواتها العسكرية ، لكن ذلك فشل بحدوث ثورة تموز عام١٩٥٨في العراق وتحذير السوفيت الشديد لكل من أمريكا وتركيا من مغبة أي تصرف عدائي ضد سوريا. لمزيد من التفاصيل ينظر:جان وولف، يقظة العالم العربي ، المكتب التجاري ،بيروت ،١٩٦٠، ص١٦٣ .

٤- هو الضابط عفيف البزري: الذي كان أشدهم رغبة في الوحدة ، لكنه تراجع فيما بعد بضغط من حزبه وتبين انه تفرد برأيه دون موافقة أفراد الحزب الشيوعي في سوريا . لمزيد من التفاصيل حول الوحدة مع سوريا وملابساتها ، ينظر:السكرتارية العامة للحكومة ،المصدر السابق،ص ١٩-٢٠.

٥- لقد ضلت تسمية الجمهورية المتحدة تطلق على مصر وسوريا منذ إعلان الوحدة في شباط عام ١٩٥٨ ثم صارت بعد انفصال سوريا في٢٨ أيلول ١٩٦١، تقتصر على مصر طيلة مدة رئاسة جمال عبد الناصر. لمزيد من التفاصيل ينظر:مالكولم كير،جمال عبد الناصر والحرب العربية الباردة١٩٥٨-١٩٧٠، تعريب:عبد الرؤوف احمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٧،ص٢١ .

الشيوعية لكي تتوطد العلاقات بينهما [١].

بعد الزيارة مباشرة ، تم تكوين لجنة متخصصة بالمشروع عرفت ب"اللجنة العليا للسد العالي" برئاسة المشير عبد الحكيم عامر، توجهت إلى موسكو في تشرين الأول عام ١٩٥٨ لإجراء مفاوضات مع قادته لتمويل المشروع [٢]، وتباحثت مع المسؤولين السوفييت وكان يمثل الجانب المصري المشير عبد الحكيم عامر رئيساً للوفد المصري وصلاح الطرزي سفير مصر في تشيكوسلوفاكية وسليم أنور القائم بالأعمال لسفارة مصر في الاتحاد السوفيتي، وعن الجانب السوفييتي وزير الخارجية غروميكو"KROMICO" والمارشال فالنينوفيسكي "VALNEOVISKY"وزير الدفاع وقائد الجيش السوفييتي المارشال انطونوف "ENTONOV" ، واتفق الجانبان على حصول مصر على قرض بقيمة٤٠٠ مليون روبل [٣] .

وقد نال الاتفاق ترحيب خروشوف، حيث كان يطمح لبناء السد العالي في كل مراحله على يد السوفييت وليس بأيبدي غيرهم، كما ذكرت ذلك صحيفة نيويورك تايمز"انه يروم تنفيذه في ثلاث مراحل بجهد هندسي روسي خالص" [٤]، حتى انه عده تعزيز لأواصر الصداقة المصرية السوفييتية [٥] . كما حصل على تأييد أعضاء الكرملين "**Kremlin**"عليه [٦] .

حظي الاتفاق باهتمام الصحافة العالمية ، التي عكست توجهات حكومات تلك الدول فقد كانت الصحافة الأوربية تعده هزيمة للدول الغربية فمثلا صحيفة الفيغارد " EL-Ficard " الفرنسية الموالية لأمريكا وصفته بـ " هزيمة لسياسة الولايات المتحدة وان الاتحاد

١- المسعودي،عبير خليل إبراهيم، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي من الصراع المصري – الإسرائيلي ١٩٧٠ _١٩٨١، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية صفي الدين،جامعة بابل ،٢٠١١،ص٢٨.

٢- موسى عرفة ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

٣- قيمة القرض الروسي ٤٠٠ مليون روبل بما يعادل ٣٤,٨مليون جنيه مصري . لمزيد من التفاصيل ينظر: محمود زكي عبد الطيف وآخرون ،المصدر السابق، ص٥٣ ؛ ولمعرفة المزيد حول الاتفاقية راجع الملحق الوثائقي ،ملحق رقم (٩) .

٤- نقلا عن جريدة الدنيا الجديدة ، العدد٤٤٤ ، ٤/ تشرين الثاني /١٩٥٩ .

٥- جريدة الزمان ، العدد٦٣٧٤ ،٢٤/ تشرين الأول /١٩٥٨ .

٦- حيث صوتوا لصالح المشروع في ١٣ شباط عام ١٩٥٩. ينظر:جريدة الأهرام، العدد ٢٦٥٥٦، ١٤/شباط /١٩٥٩.

السوفييتي أعطى مصر ما رفض دالاس منحها اياها عام ١٩٥٦ مما ادعى بالرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس وإحباط الغزو الثلاثي " ، بينما صحيفة سالسبورغ"SALSPORC " الألمانية المستقلة وصفته بأنه" انذار خطير للدول الغربية يدعوها لتغيير سياساتها تجاه العالم العربي " ، وفي برقية لوكالة رويتر"Router "عن وزير الدفاع في جنوب افريقيا [١] ، قال لها ان " القرض يعتبر اعنف ضربة تلقاها الغرب في افريقيا وان اليوم (يقصد توقيع القرض) أحلك يوم واجه الغرب " [٢].

وأما الموقف البريطاني فكان كما تصفه صحيفة الديلي ميل " Dilly Mail "بأنه " هستيري " إذ تخوف القادة البريطانيون على نفوذهم في المستعمرات التابعة لهم من تداعيات الاتفاقية عليها ، ولم يكن الموقف الأمريكي بأحسن حالاً فقد تفاجأ الرئيس أيزنهاور وأدارته بالاتفاق، وأصبحت أقوال دالاس بان السوفييت لن يتمكنوا من تمويله سراب [٣].

الأمر الذي دفع الساسة الأمريكان لإعادة تقييم الوضع في الشرق الأوسط فمصالحهم هناك أصبحت مهددة بالخطر خصوصاً مع تكرار المحاولات السوفيتية لكسب شعوب ودول أفريقيا واسيا [٤] ، من خلال تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لها مهما بلغت قيمتها حتى انه وصلت قيمة المساعدات المقدمة لتلك الدول بليون دولار حتى عام ١٩٥٨ [٥] أي ما يعادل (٣٥٢,٣٦٠,٨٢٠) جنيه[٦].

فأصبحوا يبحثون عن حلفاء لهم في المنطقة يعتمد عليهم، بعد انهيار حلف بغداد بفعل ثورة تموز عام ١٩٥٨، في العراق ألا أن طبيعة الأوضاع الجديدة آنذاك لم تكن تحقق لهم ذلك حتى تفجرت الخلافات بين جمال عبد الناصر والرئيس العراقي عبد الكريم قاسم(١٩٥٨-

---

١-كانت جنوب أفريقيا تقيم علاقات قوية مع إسرائيل وكان اليهود المؤيدين لإسرائيل فيها لهم نفوذ قوي ماجعل مواقفها منحازة لصالح إسرائيل. ينظر: هايمان لويمر، المصدر السابق ، ص٥٨-٦٠.

٢- نقلاً عن جريدة الزمان، العدد ٦٣٧٦، ٢٦ / تشرين الأول/ ١٩٥٨ .

٣- نقلاً عن جريدة الزمان، العدد ٦٣٧٥، ٢٥ / تشرين الأول / ١٩٥٨ .

٤- شيماء طالب المكصوصي ،السياسة البريطانية تجاه البحر الأحمر ١٩٣٩-١٩٥٦ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد،٢٠٠٢، ص٦٢ .

٥- إبراهيم سعيد البيضاني، تاريخ العالم المعاصر ١٩١٤- ١٩٥٨، مركز الثقلين، بغداد ،٢٠٠٤، ص١٣٢.

٦- كانت قيمة الجنيه تساوي ٢،٨٣٨دولارفي المدة١٩٥٦- ١٩٦١. لمزيد من التفاصيل ينظر:ماريون كلوسون وآخرون،المصدر السابق،ص١٠.

١٩٦٣) مطلع عام ١٩٥٩ حول تأييد الشيوعية، فقد كان الأخير يسمح للشيوعيين بممارسة نشاطاتهم في العراق والذين كانوا يرفضون فكرة القومية العربية لتعارضها مع فكرتهم في الأممية الشيوعية، حتى أن ذلك الوجود الشيوعي في العراق صار يؤثر على امن مصر بعد ظهور بعض الخلايا الشيوعية في سوريا، عندها حاول جمال إسقاط حكم الرئيس العراقي من خلال تحريض معارضي حكم عبد الكريم في العراق على تفجير "حركة الشواف" عام ١٩٥٩ (١)، في مدينة الموصل العراقية والتي أخفقت في إسقاط نظام قاسم (٢) .

وقد قابل السوفييت التدخل المصري بمزيد من الانفعال والنقد الشديد، اذ كان الرئيس العراقي من الشخصيات القلائل التي حظيت بدعم السوفييت إلى حد تعهدهم بالدفاع عنه ضد أي تهديد عسكري لنظامه ، كما أقاموا معه اتفاقية عسكرية واقتصادية لتوطيد العلاقات بين الدولتين فهم قد كسبوا بمجيئه للحكم نصراً كبيراً على المعسكر الغربي، كما صرح بذلك خروشوف قائلاً " لقد اختفى حلف بغداد بضربة واحدة " ذلك الحلف الذي كان يمثل حاجزًا يمنع انفتاح دول المنطقة على الاتحاد السوفييتي (٣).

فتوترت علاقاتهم مع الرئيس المصري بعد ثورة الشواف واخذوا يشنون ضد عبد الناصر حرباً إعلامية، ويصفونه بأنه رجل يسعى إلى تهديد الاستقرار في الدول العربية وإثارة القلاقل فيها ، فيما كان الأخير يرد عليهم بالمثل ويتهمهم بالجبن وأنهم قومٌ لا يعتمد عليهم وبذلك اندلعت حربا إعلامية قوية بينهما (٤) .

وفي خضم الحرب الكلامية شن الرئيس المصري في عام ١٩٥٩، حملة اعتقالات واسعة

١-ثورة الشواف: حركة عسكرية قام بها العقيد الركن عبد الوهاب الشواف وناظم الطبقجلي وآخرون في الموصل في آذار ١٩٥٩ لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم بدعم عسكري من عبد الناصر لمزيد من التفاصيل ينظر: جمال مصطفى مردان ، المصدر السابق ، ص١٣٦-١٣٩ ؛ عماد كريم عباس جواد الراوي ، موقف مصر من قضايا المشرق العربي ١٩٥٢-١٩٦٧ ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة الانبار ،٢٠٠٩ ،ص١١٧-١٢٢ .

٢-جمال مصطفى مردان،عبد الناصر والعراق ، المكتبة الشرقية ،بغداد،١٩٩٠،ص١٣٩.

٣-نقلاً عن حميد سميسم،روسيا والموقف من العراق في ام المعارك ، بيت الحكمة،بغداد ،١٩٩٧ ،ص٥٥ .

٤- وليد الحاج، المصدر السابق، ص١٦-١٨.

ضد الشيوعيين في مصر طالت العديد من قياداتهم رداً على وقوف السوفييت إلى جانب عبد الكريم قاسم [١].

حسب الأمريكان أن الفرصة سانحة لإقامة علاقات سياسية مع عبد الناصر من جديد مبنية على أسس متينة بعد ان توترت على اثر سحب القرض الأمريكي عام ١٩٥٦ ، فعمدوا على توريد صفقات من القمح الأمريكي لمصر بما قيمته٩ ملايين جنيه بموجب القانون٤٨٠ لبيع الفائض الأمريكي الزراعي، كما أفرجوا عن بعض الأرصدة المجمدة بقيمة ٣,٤٧١مليون جنيه، بالإضافة إلى بيع مصر عدد من قاطرات السكك الحديدية بمبلغ قدره ٥,٢١٧مليون جنيه [٢].

وعلى الرغم من المغريات الأمريكية لمصر، ألا ان جمال عبد الناصر رفض الانجرار خلف الأمريكان، فقد خبرهم سابقا في ١٩ تموز عام ١٩٥٦، فلم يشأ أن يكرر الخطأ مرتين وفضل السوفييت عليهم ، فالأخيرين ساهموا في تمويل المرحلة الأولى على الرغم من اعتقاله للشيوعيين المصريين، فضلاً عن أنهم قدموا قروضا طويلة الأجل تصل إلى ما يزيد على ١٢عاماً وبفائدة قليلة تقدر ب ٢,٥% ، ولم يربطوا مساعدتهم لمصر بإتباعها للشيوعية كمنهج لحكم البلاد، بينما الأمريكان كانت مدة تسديد قروضهم لا تتجاوز الخمس سنين وبفائدة تصل الى ٥% ، وربطوا قروضهم لمصر بتخليها عن موقفها المعادي لسياسات الدول الغربية في المنطقة العربية[٣] .

ولهذا أرسل جمال عبد الناصر في ٣ تشرين الثاني عام ١٩٥٩ وفداً يمثل مصر الى الاتحاد السوفييتي، ضم صلاح سالم والصحفي اليساري عبد العزيز فهمي، للتمهيد لأجراء مفاوضات جديدة للمرحلة الثانية للمشروع [٤] .

١-لقد استمرت حملة الاعتقالات ضد الشيوعيين حتى انتهاء المرحلة الأولى للسد العالي في ١٥أيار ١٩٦٤. لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد العظيم رمضان، قصة عبد الناصر والشيوعيين، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨، ص٢٨.

٢-مأمون شاكر إسماعيل، العلاقات السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية١٩٥٦ – ١٩٦٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص١٤٧.

٣- مها ناجي حسين، المصدر السابق، ص١٤٦ – ١٥١.

٤- احمد حمروش ، مجتمع جمال عبد الناصر ،ج٢،ص١٨٣.

بيد ان السوفييت، على الرغم من تفهمهم لسياسة عبد الناصر المعادية لانتهاك السيادة المصرية تحت حجة تمويل السد العالي، لكنهم لم يستطيعوا ان يخفوا انزعاجهم من تصرفات الرئيس المصري التي كانت غير مقنعة لشعوب الاتحاد السوفيتي الرافضة لهذا التصرف من جانب حكومتها لوقوفها إلى جانب نظامٍ يعارض الشيوعية في بلاده، بل ويضطهدها بقسوة ويمكن تلمس هذا بشكل واضح في مراسلات خروشوف لعبد الناصر، حيث قال له " .. ان شعبنا ليتسائل متعجبا كيف يمكن إيفاد المواطنين السوفييت إلى الجمهورية المتحدة .. أذا كانوا سيتعرضون لخطر الإيذاء الأدبي وربما الجسدي " [١] .

وبقت المشاكل عالقة بين البلدين ، و لم تحل فأخذت تترك آثارها على تنفيذ المشروع والذي بدا العمل فيه متلكئاً وضعيفاً ، حتى أن كبير خبراء السوفييت في السد صرح قائلا " إن العمل لا يسير بشكل يرضي وانه لابد من أعادة العمل في خطة العمل " [٢] .

فقد حال التلكؤ السوفييتي في تأخر العمل في انجاز المشروع ، والذي يعود لعدة أسباب أهمها:

١- الحملة على الشيوعيين والتي تزايدت بعد ثورة الشواف بزجهم في السجون ومصادرة أملاكهم وتعرض بعضهم للتعذيب الشديد[٣].

٢ – العداء لجوزيف تيتو" G . Tituo " [٤]:إذ حاول السوفييت الضغط على ناصر بشكل غير

١- نقلا عن محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٢٠٤.

٢- نقلا عن توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، تعريب : خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،د.ت، ص١١-١١٦ .

٣- المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

٤- جوزيف تيتو: سياسي ورئيس جمهورية يوغسلافيا (١٨٩٢-١٩٨٠)، ساهم في تحرير يوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية من النازية الألمانية، فكان له الدور الأكبر في استقلال يوغسلافيا من السيطرة النازية ، اهتم بالجيش ومرافق الدولة ،عرف عنه رفضه الخضوع للنفوذ السوفييتي لذلك انتهج منهجًا مستقلاً عنهم ، على الرغم من أيمانه بالشيوعية ، فكان من أقطاب سياسة عدم الانحياز. لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ،ج١،ص٨٣٥ ؛ زهلول ،الموسوعة العالمية المجانية، جوزيف تيتو: http://www.zuhlool.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D8%B2%D9%8A%D9%81_%D8%AA%D9%8A%D8%AA%D9%88.

مباشر ، لتقليل لقاءاته مع الرئيس اليوغسلافي جوزيف تيتو (١٩٤٥-١٩٨٠) وحتى دفعه لقطعها معه ، فقد كانت مواقفه تتعارض مع مصالحهم إذ كان يشجع عبد الناصر على تمويل المشروع بأموال غربية تجنبا للمشاكل التي يمكن ان يتعرض لها في حال قبوله العروض السوفييتية [١] ، وكما ذكر خروشوف لجمال عبد الناصر عندما سأله عن سر كرهه لتيتو على الرغم من أتباعه لسياسة عدم الانحياز مثيل تلك التي يتبعها هو فقال خروشوف " لأنه أذا نجح تيتو فان من شانه أن يؤثر في كتلتنا لكنك أذا نجحت انت فان من شانك ان تؤثر في الكتلة الأخرى" [٢].

وبغض النظر عن الأسباب المشار أليها ، فقد تعجل المصريون في الرد على السوفييت بإيكال عملية حفر القناة وبقية أعمال الحفر الأخرى في المشروع إلى شركة مصرية سارعت الاخيرة لاستيراد بعض المعدات من بريطانيا لتسريع العمل ، مما أثار حنق السوفييت الذين كانوا يحاولون احتكار العمل في المشروع على جهدهم الهندسي فقط ، كي يتحول السد العالي الى وسيلة دعائية للتقنية السوفيتية التي كانت مغيبة عن الدول العربية ، بفعل سياسة المنع التي مارستها الدول الغربية تجاهها [٣] .

وبما ان الدول الغربية كانت تراقب الأحداث عن كثب، فأخذت تبدي استعدادها لبناء السد العالي في مرحلتيه الأولى والثانية، ألا أن الحكومة المصرية لم تكن موافقة على هذا الأمر ورفضته نتيجة الموقف السيئ للمعسكر الغربي في حرب السويس عام ١٩٥٦[٤]، التي ذكرها موسى عرفة (وزير السد العالي) قائلا:

"٠٠ظهرت في عام ١٩٥٩ موجة من التهافت على المشروع ،في كثير من الدوائر الغربية ٠٠التي أخذت تردد عن طريق صحفها أن بلادها مازالت مستعدة لتمويل المرحلة الثانية للمشروع ٠٠وكان أعجب ما وجه اليّ في احد المؤتمرات الصحفية السؤال اللاتي :ألا تقتضي سياسة عدم الانحياز التي تدين بها مصر ،بان تعهد بأعمال المرحلة الثانية للسد العالي الى أحدى البلاد الغربية ، بعد أن اتفقت مصر على المرحلة الأولى مع الاتحاد السوفيتي" [٥] .

وفي غضون ذلك كانت المساعي تبذل من الجانبين المصري والسوفيتي لتسوية المشاكل

١- بييروندو ، المصدر السابق ، ص١٨٤ .

٢- محمد حسنين هيكل ، عبد الناصر والعالم ، ص٣٦٧ .

٣- توم ليتل ، المصدر السابق ، ص١٢٥.

٤-أنتوني ناتنغ ، رأيت بنفسي عواقب كارثة السويس ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٥٨ ، ص٧٣,

٥-موسى عرفة، السد العالي، ص٦٤-٦٥.

بينهما ، من خلال مفاوضات جرت في القاهرة وموسكو وتكللت عن توقيع اتفاقية تمويل المرحلة الثانية في ٢٧ آب عام١٩٦٠، كان يقودها عن الجانب المصري موسى عرفة ، وعن الجانب السوفييتي أرخيبوف "Arkhibov" نائب رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية الخارجية وانسطاس ميكيون"A. Mikoyan "نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي، وبلغت قيمة القرض السوفييتي ٩٠٠ مليون روبل بما يعادل ٧٨ مليون جنيه مصري [١].

لقد رأى عبد الناصر ان ألازمة مازالت مستمرة، وانه لابد من حل جذري لها فعمد على عزل وزير السد العالي (موسى عرفة)الذي توترت علاقاته مع المسؤولين السوفييت عن المشروع في منتصف عام ١٩٦٢، وعين محمد صدقي سليمان بدلاً عنه، كما استبدل كبار المسؤولين المصريين عن المشروع بضباط عسكريين لتسريع العمل ، وقد قابل السوفيت اجرائات الرئيس المصري بالمثل ، اذ استبدلوا كبير خبراء السد العالي ايفان كومزين "Evan Comozen" [٢]الذي توفيت زوجته في مصر فتدهورت حالته النفسية ، فأثر ذلك على أدائه الوظيفي في السد العالي ، وجلب خبير آخر في مجال السدود هو اليكساندروف "Alexanderoph" [٣] .

كما بادر خروشوف لإصدار أوامر الى وزير العلاقات الاقتصادية السوفييتية سكاتشكوف "sekatshcoph " بتجهيز المرحلة الثانية للسد العالي، بكل ما تحتاج أليه من توربينات وبوابات لتوليد الطاقة الكهربائية قبل انتهاء المرحلة الأولى وبدون تأخير من المصانع السوفييتية[٤] .

ثم جاءت زيارة خروشوف للسد العالي في١٥ أيار عام ١٩٦٤، لافتتاح المرحلة الأولى له

١-موسى عرفة، المصدر السابق، ص٧٤؛لمزيد من التفاصيل،ينظر:ملحق رقم(١٠)،في الملحق الوثائقي.

٢- ايفان كومزين : من أشهر الخبراء السوفيت وصاحب مشروع كهربة سد كوبشيف على نهر الفولكا المعروف باسم "مصنع لينين" ، كان يتقلد رئاسة هيئة بناء مصنع لينين حتى اختير رئيساً لهيئة خبراء السد العالي السوفيت، وكان السوفيت يتحفظون على إرساله الى مصر باعتباره خبرة نادرة الا ان تطور العلاقات بين الجانبيين دفعتهم لإرساله. لمزيد من التفاصيل ينظر: توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، ص١١٥؛ ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٢٤.

٣- توم ليتل ، المصدر السابق ، ص١٣١.

٤-جريدة الأهرام، العدد ٢٨١٥٢، ٨/كانون الثاني/١٩٦٤.

لتسهم في توطيد العلاقات المصرية السوفييتية التي فتحت على المنطقة عهداً جديداً من العلاقات العربية السوفييتية ، وكان أدق وصف لها ماقاله الرئيس الجزائري احمد بن بيلا بـ " ربيع العلاقات العربية السوفييتية" [١] .

في المقابل أطلق جمال عبد الناصر سراح جميع المعتقلين الشيوعيين المصريين، في محاولة منه لترسيخ العلاقات بين بلاده والاتحاد السوفيتي [٢].

وفي تلك الزيارة ، تأكد للزعيم السوفييتي خروشوف أن القومية العربية حقيقة لايمكن إلغائها ، وان الشيوعية لايمكن ان تطبق في المنطقة العربية بنجاح [٣].

استبشر عبد الناصر بالمستقبل، بعدما تمكن من افتتاح المرحلة الأولى وحسب ان نظرائه السوفييت فهموا الوضع في المنطقة، غير ان الصدمة كانت سريعة فقد عزل خروشوف عن منصبه وتم تولية ليونيد بريجنيف " L . Brejniv " [٤] بدلاً عنه في١٣ تشرين الأول ١٩٦٤، وقد وصف الصحفي الشهير محمد حسنين هيكل [٥] ذلك حيث قال:

١- خيري حماد ، أضواء على السياسة الدولية ، مجلة الثقافة ، العدد ٥٦ ،الدار القومية ، القاهرة ، أب ١٩٦٤، ص٤.

٢- اليكسي فاسلييف ، مصر والمصريين ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٤،ص٤١.

٣- جريدة الأهرام ، العدد ٢٨٢٨٠، ٢٥ / كانون الثاني/١٩٦٤ .

٤-برجنيف: سياسي ورجل دولة سوفييتي ولد في مدينة ثامنسكوي الأوكرانية عام (١٩٠٦) تولى عدة مناصب حكومية ، منها سكرتارية الحزب الشيوعي ١٩٦٤- ١٩٦٦،ثم أمينا عامًا للحزب في المدة (١٩٦٦ – ١٩٧٧)ثم بعدها رئاسة الجمهورية ، ويعد من أواخر الزعماء السوفييت الأقوياء. لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق ،ج ١، ص٥٣٨ .

٥-محمد حسنين هيكل :أشهر الرموز الصحفية التي حفلت بها مصر ، ولد في القاهرة عام ١٩٢٣ حصل في شبابه على شهادة الدبلوم في التجارة ، لكنه لم يكمل مشواره في حقل التجارة بل التحق بالصحافة لكونه يهوى العمل الصحفي كثيراً ،وقد ابتدأ بواكير عمله في صحيفة "الابجشيان جازيت" الانكليزية في المدة١٩٤٢-١٩٤٤ ، ثم انضم بعدها الى مجلة آخر ساعة في المدة٤٤-١٩٤٥ الوفدية المعارضة ثم التحق بصحيفة اخباراليوم في المدة(١٩٤٦-١٩٥٦)، وحصل خلال عمله فيها على جائزة"فاروق الأول للصحافة العربية" ، وبعد انتصار ثورة تموز صار من المقربين من جمال عبد الناصر وعمل في صحيفة الأهرام كرئيساً(١٩٥٧-١٩٧٤)لها ، وما يميز حياته الصحفية انه تمكن من كسب ود الرئيس المصري جمال عبد الناصر والاطلاع على الكثير من وثائق الدولة المصرية فصارت مادته الصحفية التي أكسبت كتاباته قيمة كبيرة حتى بعد خروجه من رئاسة الأهرام ، نتيجةً لخلافاته مع الرئيس المصري أنور السادات حول أسلوب=

" لقد راحت روايات متسربة من موسكو تقول أن علاقة "خروشوف "الخاصة بمصر كانت بين أسباب سقوطه . وكانت هذه الروايات تقول أن عدداً من الدول الاشتراكية..راعهاحجم المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر(السد العالي مثلاً) وقارنت بين ما حصلت عليه مصر وبين ما حصلت عليه هي متذكرة أن مصر دولة غير منحازة ،ثم أنها تعارض الشيوعية وتضطهد الشيوعيين .. كانت هذه الروايات المتسربة من موسكو تتردد كثيرا في تقارير وكالات الأنباء الغربية في تحليلات مراسليها من العاصمة السوفيتية ،وكان معنى ذلك..ان العلاقات المصرية السوفيتية مقبلة على أعادة نظر من قبل القيادة السوفيتية الجديدة"[١] .

لم تكن التوقعات الغربية عن القيادة السوفييتية الجديدة، صحيحة ، فقد أدركت هذه الأخيرة أهمية الانفتاح السوفيتي على الشرق الأوسط ، والآثار الايجابية للمشروع في فتح الباب أمامهم لكسب دول عربية جديدة تبعد عنهم ألاف الكيلومترات كمصر والجزائر والعراق وسوريا[٢] .

لذلك استمرت في علاقاتها مع مصر ولم تقطعها حتى أن السوفييت وقفوا وبقوة إلى جانب مصر ضد العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، وأدانوه في الأمم المتحدة مما قلل من اثر النصر العسكري على الصعيد السياسي [٤]. بخلاف الموقف الأمريكي الذي استمر بتأييد إسرائيل وتقديم الدعم السياسي لها وتوفير الغطاء الدولي لها لمنع أي قرار يعرضها للمسائلة [٥]. وبهذا ترك الموقف السياسي الايجابي من الاتحاد السوفيتي تجاه مصر، آثاره الايجابية على القيادة السوفيتية التي قررت القيام بتغطية تكاليف بناء السد العالي وما خلفه من تأثيراتٍ على الأوضاع الاقتصادية فيها.

= أدارة حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣، لمزيد من التفاصيل ينظر:رياض الصيداوي،هيكل او الملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي،القاهرة،١٩٩٣،ص٣١-٦٣.

١-محمد حسنين هيكل، ١٩٦٧ الانفجار، مركز الأهرام، القاهرة، د.ت،ص٧٧-٧٨.

٢-الكسندر بريماكوف ، نفط الشرق الأوسط والاحتكارات الدولية ،ج١، دار ألف باء ، بيروت ، ١٩٨٤، ص٣٦.

٤- ف.ب. لاديكين ، مصدر الأزمة الخطيرة ، تعريب : هاشم حمادي ، مطبعة وزارة الثقافة السورية ،دمشق ، ١٩٧٥، ص٤٠٠-٤٠٢ .

٥-لعب اللوبي الصهيوني دوراً في كسب الموقف الأمريكي لصالح اسرائيل . لمزيد من التفاصيل ينظر : كريم صبح ، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٣.

avoid either (a) subjecting Egypt to Western domination by virtue of an agreement with Western countries for the construction of the Dam or (b) putting off implementation of the project.

It thus appeared that the Egyptians might in fact be actively negotiating with the Soviets on the Aswan Dam. Mr. Hoover and the Ambassador discussed various communications from the American and British Ambassadors in Cairo which would appear to lend credence to this supposition.

Ambassador Makins said that he was expecting momentarily to receive instructions from the Foreign Office to discuss the present problem with the Department, and thought he would be prepared to set forth London's views as to what should be done.[4] He said that he would be in touch with Mr. Hoover as soon as possible to arrange a meeting for this purpose. Mr. Hoover informed the Ambassador that we also were giving active consideration to the matter. In this general and brief discussion he made the following main points:

a. In view of the fact we no longer have FY56 funds available we cannot undertake a firm commitment at this time to proceed with the project.

b. Any commitment would have to be generalized to take into account the fact that FY57 funds had not been enacted by the Congress and we could in no event give firm assurances regarding participation beyond that contemplated in the original Phase I.

c. We were considering taking the initiative in making a statement before the Shepilov visit, although such a statement might in fact increase the chances that an Egyptian-Soviet deal would be consummated during Shepilov's stay in Cairo.

[4] See *infra*.

396. Memorandum From the British Embassy[1]

Washington, undated.

ASWAN DAM

The following is the substance of a telegram sent by the Foreign Office to Her Majesty's Embassy, Washington, on June 14, 1956:

[1] Source: Department of State, Central Files, 874.2614/6-1456. Top Secret.

We have now reconsidered the whole problem in the light of the latest information. In so doing we were impressed by Sir H. Trevelyan's view that in order to prevent Nasser from being able to say that the West has refused to go further in the matter we should have to make a definite proposal for tripartite negotiations on the "Aides-Mémoire." Moreover, in view of Shepilov's visit we should have to do this immediately.

2. We also agree with Sir H. Trevelyan that the proposal for a conference of Riparian States would not by itself be sufficient to provide a stalling formula.

3. In these circumstances we think that we should take a line:—

(i) which would be sufficient to keep the Egyptians in play if they are not going to commit themselves to the Russians; and

(ii) which would give us a reasonable public position if the Egyptians now turn to Moscow.

This would amount to a combination of (A) and (B) of para. 2 of your telegram under reference.[2] That is, we should propose early tripartite discussion on the "Aides-Mémoire"; we should make it plain that we shall require cast-iron assurances that there will be no Russian participation; we should suggest that before final decisions are reached, the Egyptian Government should call a conference at which, in addition to the three powers, Riparian States would be represented to discuss the whole problem of the Nile water use.

4. On the latter point a conference of Nile Valley states would, in our view, be desirable in itself for the following reasons:

(a) It is more rational to plan the use of Nile waters as a unit than piece-meal by countries.

(b) The Aswan High Dam scheme as now proposed calls for a dam on the Atbara to resettle the Sudanese population of Wadi Halfa and has other implications upstream.

(c) The Sudanese feel somewhat neglected by the International Bank and the West and consider that their own Nile Valley schemes such as the Roseires Dam would have equal priority with the Egyptian project.

(d) Her Majesty's Government have a direct responsibility on behalf of our East African territories.

(e) The Ethiopians have expressed a desire to discuss Nile waters problems in a general context.

(f) Mr. Black of the International Bank warmly welcomed the idea when I asked him about it.

(g) There is strong feeling in Parliament on both sides of the House in favour of calling such a conference.

[2] No copy of this British Embassy message has been found in Department of State files.

5. If the United States agree with our analysis and our proposals, we should be glad if they would take the lead in approaching the Egyptian Government at once. Her Majesty's Ambassador would, of course, be instructed to give immediate support. Our reasons for this are that Nasser is already more hostile to and suspicious of this country[3] than of the United States and that the United States contribution to any scheme would in fact be a larger share.

[3] At this point, an unidentified person wrote the following: "(the United Kingdom)".

397. Editorial Note

On June 15, at the 288th meeting of the National Security Council, with Vice President Nixon presiding, Allen Dulles, in his review of developments affecting United States security, presented a report on Soviet Foreign Minister Shepilov's impending visit to Egypt. The memorandum of discussion reads as follows:

"Mr. Dulles pointed out that the new Soviet Foreign Minister, Shepilov, will visit Cairo on the 18th of June as the ranking visitor during the week of celebration to be staged in Cairo on the occasion of the British departure from the Suez base area. The arrangements for Shepilov's visit had been worked out before he became Foreign Minister, and there is some evidence, said Mr. Dulles, that Nasser is slightly embarrassed over the fact that, despite his new status, Shepilov is nevertheless coming to Cairo. It is thought that Shepilov will bring pressure on the Egyptians to make some dramatic gesture during his visit. For example, Shepilov may try to induce the Egyptians to come to a new decision to accept Soviet assistance for the construction of the High Aswan dam. On this point Mr. Dulles added that this project is certain to cost a great deal more than the Egyptians have estimated to date.

"Secretary Humphrey interrupted to express the wish that the United States were out of the High Aswan dam project altogether. While the Egyptians are holding an option on our assistance on the dam project, they are shopping around to see if they can get a better bargain elsewhere.

"Continuing with his briefing, Mr. Dulles indicated that another possible Soviet move during Shepilov's visit would be an official announcement of Soviet support for the 1947 UN resolution on the Israeli state. This would, of course, be very embarrassing to the West. Yet another possibility was the announcement of some kind of treaty of friendship between the Soviet Union on the one hand and Egypt and Syria on the other. In any event, concluded Mr.

الفصل الثالث:

الاثار الاقتصادية لمشروع السد العالي

المبحث الأول: بناء السد العالي ودوره في تزايد الإيرادات المائية وتحقيق التنمية في قطاعات الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية:

أولا//أنشاء السد العالي:

أ- دوافع اختياره والجدوى الاقتصادية منه

ب- اختيار الموقع ووضع التصاميم

ج-المباشرة بالعمل

ثانيا//تزايد الإيرادات المائية

ثالثا// التنمية في قطاع الزراعة

رابعا//تنمية الثروة الحيوانية

خامسا//الثروة السمكية

المبحث الثاني: كهرباء السد العالي وآثرها في تطور الصناعة في مصر.

المبحث الثالث: أثره في تحسن الملاحة النهرية وتطور السياحة والتجارة في مصر:

أولاً:الملاحة النهرية

ثانياً: السياحة

ثالثاً:التجارة:

أ-التجارة الخارجية

ب-التجارة الداخلية

رابعاً:الديون الخارجية

المبحث الأول:بناء السد العالي ودوره في تزايد الإيرادات المائية وتحقيق التنمية في قطاعات الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية

اولاً//أنشاء السد العالي:

أ-دوافع اختياره والجدوى الاقتصادية منه

إن وصول الضباط الأحرار للحكم أوجد تحولاً في الوضع السياسي لمصر، فلأول مرة يتقلد الحكم رجال من غير الإقطاع ورجال الرأسمالية الكبار، و الذي دفع باتجاه تغير السياسة الاقتصادية لمصر بعد الثورة [١].

فقد شعر هؤلاء أنهم مرتبطون بالمجتمع الذي ثاروا من أجله ، ولابد من إصلاحات اقتصادية تغير الوضع المأساوي للطبقات الدنيا (الفلاحين والعمال)، من خلال النهوض بالوضع الاقتصادي لمصر بشكل عام ، وبالقطاع الزراعي باعتباره القاعدة العريضة له فهو ميدان عمل الفلاحين ،فما نسبته ٦٢% من العمالة المصرية تشتغل فيه، فضلاً عن ارتباطها الوثيق ببقية قطاعات الاقتصاد المصري كالصناعة والتجارة الخارجية [٢].

غيرأن المشكلة التي واجهت الزراعة كانت تتمثل في شحة المياه العذبة فلا توجد مياه سطحية يمكنها سد حاجة الزراعة ما عدا نهر النيل ، الذي يعاني من التذبذب في مناسيبه بين الانخفاض الى حد الجفاف كما حدث في عام ١٩١٣ ، حيث وصلت مناسبه الى (٤٥)مليار م٣ /سنة او إلى حد الفيضان كما حدث ذلك في عام ١٩١٦، عندما ارتفعت الى (١١٣)مليارم٣/سنة وكلا الحالتان أثرتا على الزراعة بشكل سلبي[٣].

لقد تفاقمت المشكلة الزراعية في مصر مع الارتفاع الكبير في أعداد السكان الذي وصل وفق تعداد عام ١٩٤٧ الى حوالي (١٩)مليون نسمة، بينما كانت المساحة المزروعة لم تزد على (٩) ملايين فدان مما شكل عبئاً كبيراً على الساسة المصريين للاستعجال بإقامة مشاريع الري[٤] .

وكانت المشاريع ألاروائية المطروحة آنذاك هي:

١-تعلية سد أسوان القديم

٢-الاستفادة من المياه الجوفية

٣-التخزين المستمر في البحيرات الاستوائية

١- عبد الله أمام ، حكايات عن عبد الناصر، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ،١٩٨٧، ص٦ .

٢-محمود فهمي الكاتب، تطور الإنتاج الزراعي بعد السد العالي،د.ن، القاهرة ، د.ت ، ص١٨.

٣- ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق، ص٣٠٠ .

٤- محمود فهمي الكاتب، المصدر السابق، ص١٧.

٤-السد العالي .

إلا أن جميع تلك المشاريع، ما عدا السد العالي ، قد فشلت لعدم توفر أسباب نجاحها ، فمثلاً مشروع تعلية سد أسوان رفضه خبراء السدود المصريين، لان أي زيادة في ارتفاع السد سيتسبب في تشقق جدرانه وهو مايعني احتمالية انهياره في المستقبل [١] ، كما أن التعلية لا تعني توفير المياه الفائضة عن الحاجة إلى سنين الجفاف وذلك لان طريقة خزن السد تقوم على أساس خزن المياه بعد انتهاء ذروة الفيضان (تموز_تشرين الأول) تجنباً لامتلائه بالطمي[٢].

أما ما يخص مشروع المياه الجوفية فأنه، رفض من قبل خبراء الري واعتبروه مصدر ثانوي غير أساسي لان الواحات التي اختبرت في إقليم الوادي الجديد ومحافظة البحيرة كواحة الخارجة والداخلة والفرافرة لم تتجاوز المساحة التخزينية لها ١٢الف كم٢ [٣]، فضلاً عن أن المياه الجوفية لا تصلح دائماً للإرواء، لاحتوائها على نسب عالية من الملوحة تصل مابين ١٠٠٠-٤٠٠٠ جزء في المليون ، علاوةً على أن عملية الاستفادة من المياه الجوفية مكلفة وغير عملية على الإطلاق ، فمثلاً تكاليف استخراج المياه لمتر واحد من الأرض تبلغ ١,٧مليم [٤].

وفيما يتعلق بالتخزين المستمر باستخدام البحيرات الاستوائية، كبحيرة ألبرت وفيكتوريا، فان عملية بناء السدود عليها وتحويلها إلى خزانات دائمية سوف لن يحقق الغرض المطلوب لان الجانب السياسي قد يلعب دوراً كبيراً فيها اذ أن أي توتر في علاقات مصر مع دول الحوض يحرم الأولى حصتها المائية من هذه البحيرات [٥] .

ولذلك لم يتبق أمام المسؤولين المصريين سوى السد العالي في مصر الذي عرض عليهم من قبل "أدريان دانينوس " بعد سقوط النظام الملكي بسبعة أيام، ألا أن الحكومة المصرية ترددت في قبوله أول الأمر[٦]، فالقادة المصريين رغم رغبتهم الصادقة بحل مشكلة المياه، ألا أنهم لم يكونوا مستعدين للمجازفة بإمكانيات الدولة المالية أرضاءً لدانينوس وأنه من اللازم

١- صلاح الشامي ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .

٢-محمد محي الدين رزق ،المصدر السابق،ص١٠٩ .

٣-عبد الرحمن حميدة ، جغرافيه الوطن العربي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠، ص١١٨-١١٩ .

٤- رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤-١٩٩٠ الزراعة والري، مجلد ١، المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٧٨.

٥- موسى عرفه، المصدر السابق ، ص٣٤.

٦- جورج فوشيه،المصدر السابق،ص٢٦٧.

توثيق تلك الفكرة بدراسة علمية تثبت أمكانية تنفيذه وجدواه الاقتصادية، ولذلك لم يعطوا أقوال دانينوس أي مصداقية حتى حصل ما كانوا ينشدونه حيث عرض العالم الايطالي (غاليولي) وبمساعدة صديقه (كوستا فايونيتس) "Costa vaunteis" الخبير الفني الايطالي في مجال، السدود دراسة علمية عليهم في تشرين الأول" عام ١٩٥٢ توضح أمكانية بنائه وفوائده الاقتصادية على مصر[١].

فنال اهتمامهم لما رأوا حجم الفوائد الاقتصادية التي يمكن ان يقدمها لمصر جعلتهم يفضلوه على غيره ومنها :

١-انه سيوفر لمصر احتياطاً مائياً يمكن لهم الاستفادة منه في أوقات الحاجة وخصوصاً في سنين الجفاف بموافقة السودان، كشريك لمصر في مياه نهر النيل بخلاف السد القديم الذي كان خزاناً موسمياً لا يحمي البلاد من الجفاف[٢] .

٢-التحكم الفعلي الكامل في مناسيب مياه النيل ومنع انخفاضها الى مستوى الجفاف أو ارتفاعها الى حد الفيضان المدمر، بل أكثر من ذلك ان سيجعل ما يتصرف من المياه خلف السد يكون وفق احتياجات البلاد دون اي تبذير للمياه العذبة كما كان سابقاً .

٣- تحسين الملاحة النيلية بالتحكم بمناسيب نهر النيل وعدم انخفاضها الى المستوى الذي يؤدي الى توقف سير السفن في النيل [٣].

٤- وقوعه داخل حدود البلاد والذي يخلص المصريين من التبعات السياسية كمسألة الحدود وآثارها على الحصص المائية مما ينعكس أثره على الوضع الاقتصادي لمصر بالدرجة الأولى[٤].

٥- أمكانية الاستفادة منه في توليد الطاقة الكهربائية، فنهر النيل عكس الطبيعة النهرية لأغلب انهر العالم التي تنبع من الشمال إلى الجنوب حيث يحدث شلالات مائية نتيجة لارتفاع

١- أيمن السيسي ،أسوان حصن الحضارات القديمة:
WWW .Al Ahram .org.eg/Al Aram files/news/76530.aspx.

٢-جمال حمدان، مختارات من شخصية مصر ،تقديم عبد الحميد صالح حمدان،مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩٥ ، ٤١٨ .

٣- يوجيه يونان،دراسة مقارنه بين السد العالي وسد الفرات ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٣٧-٣٨.

٤-جوان فوتشركنج ،معجم تاريخ مصر من الفتح العربي الى نهاية عهد السادات،تعريب: عنان علي الشهاوي،مراجعة :عاصم الدسوقي ، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،٢٠٠٣،ص٤٣٣.

أرض أسوان عن سواها من أراضي مصر[١]، وذلك ماسمح بتوليد الطاقة الكهرومائية على السد العالي بطاقة إنتاجية أقصاها ١٠مليار كيلو واط / ساعة سنوياً ، الذي يمكن أن يساعد في انتعاش الصناعة في مصر وإنشاء مصانع جديدة فيها[٢] .

٦-أمكانية زيادة المساحة المخصصة لزراعة الأرز الى ٧٠٠الف فدان[٣] ، وهذا لم يكن ممكنا دون بناء السد العالي، حيث ان محصول الأرز وفق التقديرات الحكومية يتطلب لزراعة فدان واحد فقط (٦٥٧٠)م٣ من الماء ، فهو المحصول الأكثر شراهة للمياه في مصر على الإطلاق[٤].

٧-تحويل الأراضي الحياض[٥] التي كانت تصل مساحتها الى٩٧٣,٥٠٠ فدان إلى الري المستديم [٦] .

ب- اختيار الموقع ووضع التصاميم

ووفقا لما تقدم تحرك مجلس قيادة الثورة ، وقام بتشكيل المجلس الدائم للإنتاج [٧] ، في تشرين الأول ١٩٥٢ الذي أوكل اليه مهمة دراسة المشروع دراسة تفصيلية وتقديم تقريراً له

١-السيد السيد الحسيني،نهر النيل في مصر منحنياته وجزره دراسة جيومورفولوجية،جامعة القاهرة، القاهرة ،١٩٩١ ،ص٧٤ .

٢-محمد عادل الدين إبراهيم،الآثار الاقتصادية والبيئية لاستخدام مياه ذات نوعية منخفضة في الزراعة المصرية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الزراعة ،جامعة القاهرة ،٢٠٠٢ ، ص٣٩-٤٠.

٣-جريدة الطليعة البغدادية، العدد١٠٥، ١٨/تشرين الثاني/١٩٥٨.

٤-رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية التخصصية ١٩٧٤-١٩٩٢الإنتاج والشؤون الاقتصادية، مجلد ١٨، المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٩٤-٩٦.

٥-الأراضي الحياض: هي الأراضي التي تسقى بمياه الفيضان(أكتاف النهر)، وتمتاز تربتها بمناسبتها لزراعة اغلب المحاصيل لخلوها من الأملاح التي تغسل بمياه الفيضان بعد انحساره عنها، ويقّدر عمر هذا النوع من الزراعة ب٥٠٠٠ آلاف عام. لمزيد من التفاصيل ينظر:صلاح الدين الجيري، قراءات في الجغرافية التاريخية، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٢، ص٩٠.

٦-يوسف أبو الحجاج ، السد العالي والتنمية الاقتصادية ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦٤، ص٣٣.

٧-المجلس الدائم للإنتاج: مؤسسة حكومية متخصصة بدراسة المشاريع الإنتاجية شكلت بعد الثورة في تشرين الأول عام ١٩٥٢، وظيفتها تزويد الجهات الرسمية بالتقارير والدراسات التفصيلية عن جدوى كل مشروع . لمزيد من التفاصيل ينظر :توم ليتل ، جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ، تعريب: مجموعة من الأساتذة الجامعيين ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠١ ،ص٢٩٤؛ طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠.

بذلك ، قد انشأ أيضاً لجنة فرعية برئاسة جمال سالم في نفس العام مهمتها التواصل مع المجلس الدائم من جهة والشعب المصري لتعريفه بأهمية المشروع من خلال المحاضرات التي كان يلقيها أعضاء مجلس قيادة الثورة على أفراد الشعب[١].

ونتيجةً للدراسة التفصيلية، التي قام بها المجلس الدائم لكل جوانب السد العالي الايجابية والسلبية، أن قام بالتنسيق مع وزارة الأشغال المصرية بمنح امتياز تصميمه الى اتحاد شركتي هوخشيف دورتموند "Hochteaf Dortmund"[٢].

وعلى الرغم من ذلك فأن وزارة الأشغال المصرية، كانت ترى ان المشروع يتطلب اهتماماً اكبر من حجم هوخشيف دورتموند، ولذلك أوكلت الى مجموعة من خبراء الجيولوجيا مهمة، دراسة أرضية نهر النيل في منطقة المشروع التي لم تحدد آنذاك، بعد بل كانت ما بين حدود السودان مع مصر الى شمال أسوان هي المنطقة المرشحة لبنائه فيها ،وكان فريق العمل الجيولوجي مكون من خبراء مصريين وفرنسيين مجهزين بمركب أبحاث ومعدات فحص العينات وآلات الحفر وغيرها[٣].

كانت المهمة الأولى في بناء المشروع تتطلب اختيار الموقع والتصميم المناسبين، وفيما يخص الموقع فقد كانت هناك ثلاث مواقع مرشحة لبنائه وهي:

١-موقع كلابشة : ويقع أقصى جنوب أسوان على بعد ٦٤,٤كم عن سد أسوان القديم وهذا المكان ، يمتاز بسمة مهمة ومناسبة لبناء السد ، الا وهي ضيق جوانب النهر مما يسمح ببنائه دون توسيع للجدار الرئيس ،غير أن مايؤخذ على الموقع هي ان شواطئ النهر عنده منخفضة الارتفاع فعندما يبنى عليها السد سوف تفيض المياه وتلتف حول السد لترتبط بنهر النيل من جديد خلف السد، كما أن طبيعة كلابشة الجيولوجيا سيئة حيث تنتشر مظاهر الضعف والفوالق والفواصل في صخور المنطقة[٤].

ومن جانبهم فقد قدّر خبراء السدود المصريين والألمان أذا أريد أن يبنى في كلابشة فانه

١-سامي شرف،سنوات مع عبد الناصر،ج١، صحيفة الخليج الامارتية ،د.م،٢٠٠٣ ، ص١٠١.

٢-هوخشيف دورتموند : هما من أشهر شركات المقاولات والأعمال الهندسية في المانيا الغربية، التي أقامت مصنع" كيما "اكبر مجمع لصناعة الأسمدة في أسوان وقد وقع اختيار المجلس الدائم عليها في سعيه لوضع تصميم السد العالي. لمزيد من التفاصيل ينظر : طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص٥٩؛ أيغور بليبيايف وافغيني بريماكوف،مصر في عهد جمال عبد الناصر،تعريب:عبد الرحمن الخميسي،دار الطليعة ،بيروت ،١٩٧٥،ص٨٦ .

٣-توم ليتل،إخضاع النيل لإرادة الإنسان،ص٩٤.

٤-جمال حمدان ، مختارات ، ص٤١٣.

يجب أن يكون طول السد العالي (٢٠)كم ، حتى يكون فاعلاً ويحقق الأهداف المرجوة منه ويمثل هذا عنصر فشل له اذ ستكون تكلفة البناء عالية جداً[١].

٢-وأما المنطقة الثانية فهي ما بين شمال أسوان وحتى البحر المتوسط والتي يجري خلالها نهر النيل، الا ان مقومات النجاح غير متوافرة في هذا الموقع برغم سعتها لعدة أسباب ومنها:

- **أن الطبيعة الجيولوجية لهذه المنطقة لا يسمح بذلك، حيث يغلب عليها الطبقات الرسوبية وتبتعد الطبقات الصخرية النارية عن أرضية النهر كثيراً ، مما يكلف الحكومة كثيراً من الأموال في عملية بناء السد الرئيس اذ لا بد أن يستند على قاع صخري وألا سينهار.**
- **عدم توفر المواد الأولية المطلوبة لعملية البناء كالرمال والأحجار بقرب منطقة العمل[٢].**
- **أن بناء السد في وسط البلاد او شمالها لن يعود على كل البلاد بالنفع بخلاف الأمر لو حصل في جنوبها وهذه النقاط نفسها كانت المحرك للبريطانيين و الفرنسيين في بناء سد أسوان القديم في محافظة أسوان[٣] .**

٣-أما المنطقة الأخيرة ، فهي تقع أقصى جنوب البلاد وعلى مسافة ٦,٥ كيلو عن سد أسوان القديم اذ تتوفر فيها كل مقومات النجاح المذكورة انفاً التي لاتتوفر في سواها ،وعليه فقد رشح الخبراء المعنيين هذا الموقع لإنشاء السد العالي [٤].

وبعد انتهاء المهمة الأولى، المتمثلة في اختيار الموقع المناسب انتقلوا إلى مهمة اختيار التصميم المناسب له التي كانت من اختصاص اتحاد (هوخشيف- دورتموند) ،غير أن الحكومة المصرية لم تجمد مساعيها بل اتصلت بشركات أخرى، للحصول على التصميم الأفضل[٥] .

١-توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، ص٨٩.

٢-صلاح الشامي،المصدر السابق،٧٠ .

٣- احمد كمالي وعمرو إبراهيم،المصدر السابق،ص٢٢ .

٤- صلاح الشامي،المصدر السابق،ص٧٠-٧١ .

٥-لقد استعانت الحكومة المصرية بشركة سوليتانش " **Soltansh** " الفرنسية المتخصصة في الدراسات المائية، لدراسة أمكانية منع ترشح المياه من الطبقة الرملية في قاع النهر باستخدام أسلوب التكثيف، وكذلك معرفة الارتفاع المطلوب والمواد المناسبة لأقامته وغيرها من المسائل، حتى انه يوجد تصميم وضعته الشركة للسد العالي وقامت بتقديمه للحكومة المصرية، ومازال يوجد نسخة منه في مختبر الشركة في قرية جرينوبل "**Gerenopel**"الفرنسية. لمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد حمروش ، مجتمع جمال ، ج٢، ص٨٠ ؛ جورج فوشيه ،المصدر السابق،ص٢٧٦.

وفي آذار عام ١٩٥٣، أكمل اتحاد هوخشيف، تصميمه والذي يتكون من جبل من الركام والرمل بارتفاع بلغ١٠٠م وبطول ٥٠٠٠الاف متر منها ٥٥٠متر في عرض النهر والبقية موزعة على أجنحة السد، مع وضع سبعة أنفاق على الضفة الشرقية لتصريف مياه النيل من البحيرة لغرض الري والملاحة مع وضع أربع أنفاق على الضفة الغربية[١] ، لتوليد الطاقة الكهربائية من خلال ستة عشر توربين[٢] قوة كل واحدة ١٢٠الف حصان بطاقة كهربائية تقدرب٢مليون كيلوواط / ساعة[٣] مع وضع رياح[٤] ، على الضفة الغربية لتصريف مياه البحيرة في حال ارتفعت الى منسوب ١٨٢م وبتصرف يومي للرياح ١٠٠م٣[٥].

وبعد ان تسلم المصريون التصميم الألماني بدئوا بمناقشة النموذج مع الخبراء المصريين ودراسته دراسة وافية ولان الأمر خطير فلايمكن التساهل فيه، لذلك استدعوا أشهر الخبراء العالميين الى مصر للاستفادة من آرائهم [٦].

ولما وصل الخبراء الى مصر، سارعوا الى دراسة التصميم الألماني واشكلوا على بعض الجوانب فيه، اذ لم يكن صحيحاً ما تصوره الالمان من اقتراب الطبقة الصخرية من أرضيه قاع النهر، كما أنهم أوصوا بوضع طبقة أفقية من المواد غير المسامية أمام جدار السد الرئيس كمصد لمياه النيل ، ولتكون حائل دون ترشح المياه خلاله وتعرف بـ(الفرشاة) مع وضع طبقة غير نافذة للمياه تحت السد الرئيسي تمنع نفوذ المياه أسفله وتسمى ب (الستارة الرأسية)،

١–صلاح الشامي، المصدر السابق، ص,١٧٣

٢– موسى عرفه، المصدر السابق، ص,١١٤

٣– ايفان كومزين ، سد أسوان العالي ، تعريب عصمت عبد المجيد ، مراجعة مصطفى الشهابي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص,٢٨

٤– الرياح: وهي اكبر درجات الترع ، والتي تأخذ مياهها من النهر مباشرة دون واسطة ينظر: **Amr A.El- sayed , civileng . Dept, El-Minia univ , p.31.**

٥–صلاح الشامي ، المصدر السابق ، ١٧٣–١٧٥.

٦–الخبراء العالميون: وهم البروفسور كارل ترزاكي **"Pro.Carrel Terzaky"** ومستر ستيل**M. steel** " الأمريكان، وهما من أشهر خبراء السدود الأمريكان وكذلك اندريه كوين **André Coin**" الفرنسي الأصل ورئيس مؤتمر السدود العالمية، فضلاً عن العالم الفرنسي ريش" **Rush**"خبير أعمال الحقن والعالم الألماني ستراوب"**satraop**" خبير أعمال النحر والطمي، والهرمور"**AL Harmour**" الألماني خبير أعمال التثليج (تجميد التربة) ،وكان هؤلاء الخبراء من أشهر الخبراء العالميين في مجال هندسة السدود والأعمال الملحقة بها ومن المعسكر الغربي. لمزيد من التفاصيل ينظر : سماح ياسين ،المصدر السابق ، ص١١٣؛ صلاح الشامي ، المصدر السابق ، ص١٦٩–١٧٠.

كما انها تحمي جدار السد من خطر الضربات الجوية حيث انها سوف تشده من الأسفل وتمنع نفوذ المياه من الأعماق، فضلاً عن تحديد منطقة حفر القناة ما بين خوري "كوندي" وخور "خورما"لتسهيل الحفر وتقليل كلفته[١]، مع أنشاء سدين أمامي من الركام الصخري والرمال باستخدام مرشح معكوس ، ويصل ارتفاع هذا السد إلى ٥٠م، ووظيفته منع وصول المياه الى السد الأساسي أثناء العمل فيه، فضلاً عن وضع سد خلفي بارتفاع ٣٥م لمنع ارتداد المياه الى السد الرئيس من الخلف[٢] .

وقد نفذت هوخشيف، التوصيات المقدمة لها من الخبراء العالمين بإدخال التعديلات على التصميم ، وبذلك أكمل الخبراء أعمالهم لكنهم قبل مغادرتهم أوصوا المصريين بتعيين بيت هندسي استشاري لتنسيق العمل بينهم وبين المصريين[٣] ، فضلاً عن ذلك قدموا لهم تقرير مفصل في كانون الاول١٩٥٤ بخصوص بناء السد العالي من حيث فوائده الاقتصادية وإمكانية تنفيذه في غضون عشر سنين، وتكلفته المالية [٤].

ومن الجدير بالذكر، أن الحكومة المصرية كانت تدفع لكل خبير٣٥٠٠ جنيه سنوياً، ومجموع التكلفة الإجمالية للمرحلة التمهيدية وصلت إلى مليون وثلاثمائة ألف جنيه[٥].

بعد انتهاء المرحلة التمهيدية، تحرك المصريون باتجاه تمويل المشروع من المعسكر الغربي ألا أن رفض الغربيين لذلك، وسحبهم القرض المقدم لمصر وتعهد السوفيت بتمويله دفعهم لإعطاء المشروع اهتمامٍ اكبر يتناسب مع حجمه الدولي، لذا أوكل جمال عبد الناصر إلى المشير عبد الحكيم عامر بترأس "اللجنة العليا للسد العالي" ، التي كانت تتفرع عنها لجان ثانوية، كلجنة بناء السد العالي ولجنة الري والصرف ولجنة المواصلات ولجنة الخدمات وغيرها

١- صلاح الشامي، المصدر السابق، ص١٦٩-١٧٠.

٢-محمد حسني أمين، السد العالي ثورة شاملة، الدار القومية، القاهرة، د.ت، ص٤٣ .

٣- الكسندر جيب"Alexander Geb" : أشهر البيوت الهندسية الاستشارية البريطانية التي تعاقدت معها الحكومة المصرية، قبل انتهاء مهمة الخبراء في مصر في١٩/تشرين الأول/ ١٩٥٥ ، من أجل الأشراف على البحوث والدراسات الخاصة بالمشروع وأعداد رسوماته وتصميماته والتنسيق بين عمل الحكومة المصرية والبنك الدولي. لمزيد من التفاصيل ينظر: عادل حسين ، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية ١٩٧٤-١٩٧٩،دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١، ص٧٣؛ Prem/1282, Confidential From Jerusalem to Foreign Office ,Telegram No .378, October 18, 1955, p.522،نقلاً عن (www.Nasser.com).

٤-جريدة الجمهورية القاهرية، العدد١٦٩، ١١/حزيران/١٩٦٤.

٥- طاهر أبو الوفا، المصدر السابق ، ص٦٠.

، وكل لجنة مرتبطة بوزارة تتناسب معها، فمثلاً لجنة بناء السد العالي ولجنة الري والصرف كانت من اختصاص وزارة الأشغال العامة، ولجنة النقل من اختصاص وزارة النقل وهكذا[١].

لقد قرر الاتحاد السوفيتي، ان يستثمر الفرصة التي سنحت له، عندما سحب الغربيون قروضهم المالية لمصر وان يتفرد بعملية بنائه، من خلال جعل جميع عمليات بناء المشروع سوفيتية ابتداءً من اختيار تصميم السد وموقعه وانتهاءً بمحطته الكهربائية،غير أنهم وجدوا أنفسهم في تنافس مع الغربيين، الذين كانوا قد سبقوهم في تحديد موقع السد واختيار تصميمه ، ولاسيما ان المصريين قد استحسنوا التصميم الغربي، بعدما قام الخبراء العالميين بتعديله ، وذلك الأمر حرك السوفيت لإقناع المصريين بأخذ وجهة نظرهم في تصميمه وموقعه وترك التصميم الألماني ، وبما ان ذلك الأمر يتطلب الحديث معهم عن قرب فعمدوا على إرسال بيترنيكتين "Peter Necktien"[٢]، إلى مصر على رأس وفد من الخبراء المتخصصين في شؤون السدود التقوا بكبار المسؤولين المصريين في القاهرة ثم توجهوا الى مدينة أسوان وقاموا بمسح المنطقة القريبة من سد أسوان القديم والتعرف على طبيعتها من الناحية الجيولوجية ودراسة طبيعة النهر، ثم رجع الوفد الى القاهرة وقد لاقى تجاوباً مصرياً ملفتاً للنظر لتقبل التعديلات السوفيتية، وذلك الأمر دفعهم إلى توقيع اتفاقية تمويل السد العالي للمرحلة الأولى، وذلك في ٢٧ كانون الأول عام١٩٥٨ في القصر الجمهوري (القبة) مع المشير عبد الحكيم عامر[٣]. ولعل الإصرار السوفيتي الشديد على لبنائه عائد إلى رغبتهم في مشاهدة الدول العربية التفوق التقني للسوفيت الذيُ حجب عنهم بسبب العزلة السوفيتية في عهد ستالين ، وكذلك بفعل الأحلاف الغربية المعادية للشيوعية كحلف بغداد التي منعت انفتاح الاتحاد السوفيتي على العرب الذي حرم الشركات السوفيتية من الدخول الى الأسواق العربية وتوسيع استثماراتها .

وفي آذار عام١٩٥٩، زار وفد آخر من خبراء السدود السوفيت برئاسة (ايفان كومزين)

١- موسى عرفه ، المصدر السابق ، ص٥٤.

٢-بيتر نيكيتين: من أشهر الشخصيات السوفيتية الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي، وكان يتقلد منصب نائب رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتي ولخبرته الاقتصادية ، ولذلك قرروا أيكال مهمة توقيع اتفاقية السد العالي له. لمزيد من التفاصيل ينظر:موسى عرفه،المصدر السابق،ص٥٥.

٣- في الحقيقة أن اتفاقية تمويل السد العالي، وقعت في موسكو وفي القاهرة في نفس العام في صورة تعكس رغبة البلدين، في توطيد العلاقات السياسية بينهما. لمزيد من التفاصيل ينظر: فلم تسجيلي، اتفاقية السد العالي بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي:

www.Nasser.com

منطقة سد أسوان القديم والمناطق القريبة منه، ودرسوا جيولوجيا صخور المنطقة بالإضافة الى أرضية قاع النهر ثم رجع الوفد للاتحاد السوفيتي، بعد أن وجه دعوة قبل سفره للمصريين لزيارة بلادهم [١]، فاستجاب المصريين للدعوة وزار وفد منهم برئاسة وزير الأشغال المصري موسى عرفة و حسن زكي، رئيس لجنة بناء السد العالي فضلاً عن كبار مهندسي المشروع المصريين الاتحاد السوفيتي في٦ايارعام١٩٥٩، وشاهدوا وفق برنامج أعده لهم الخبراء السوفيت لإطلاع الوفد المصري على أهم السدود السوفيتية والمعاهد المتخصصة في شؤون السدود، فزاروا سد الدنيبر"Dnieper "وتفقدوا محطته الكهربائية، ثم زاروا سد كوبشيف "kopcheif" على نهر الفولكا "volka " ، ومحطته الكهربائية المسماة ب"مصنع لينين" ، وبعد ذلك زاروا المركز العلمي التابع لمعهد مشروعات الطاقة الكهربائية في ضاحية توتيسفو "Totispho" (أحدى ضواحي موسكو)، حيث اطلعوا هناك على تصاميم مقترحة لسد أسوان العالي، وبعدها رجع الوفد إلى مصر بعد أن تعرف على الخبرة السوفيتية عن كثب[٢].

كما أرسل السوفيت لوزارة الأشغال المصرية، عن طريق سفارتهم في القاهرة مجموعة من التعديلات السوفيتية على التصميم الغربي، لعل أبرزهما تعديلين الأول خاص بالأنفاق، والثاني متعلق بالمحطة الكهرومائية، وفيما يخص الأنفاق فقد اقترحوا تقليص طول الأنفاق في الضفة الشرقية من ١٥كم إلى ٢كم فقط ، من خلال استبدالها بقناة مفتوحة تتوسطها ٦انفاق ذات بوابات لتنظيم المياه؛ وأما بشأن محطة الكهرباء، فقد اقترحوا أنشاء محطة كهربائية بطاقة أجمالية تقدرب(٢,١)مليون كيلو واط / ساعة على الضفة الشرقية داخل قناة التحويل المكشوفة في نفس الضفة[٣] .

واستكمالاً لذلك، عاد كومزين من جديد إلى مصر في ٢٣أيارعام١٩٥٩يصحبه وفد مؤلف من خبراء السدود السوفيت لمناقشة المصريين حول تعديلاتهم المقترحة في وقت كانت وزارة الأشغال العامة، قد وجهت الدعوة للخبراء العالميين لزيارة مصر في محاولة منها لجمعهم بالسوفيت وجهاً لوجه، حتى يصل المصريون إلى الصورة النهائية للمشروع ، ألا أن كلا الخبراء العالميون والسوفيت كانوا يعدون الفكرة المصرية "غير صائبة" بحكم أن تقنية كل طرف مستقلة عن الأخرى، ولا يمكن الربط فيما بينها، ولكن الوزارة لم تيأس من ذلك واستمرت

١-موسى عرفة، المصدر السابق، ص٦٠-٦٢.

٢-ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٢٨-٣٠ .

٣-عادل حسين، المصدر السابق، ص٧٣.

في مساعيها حتى تحقق لها ذلك في حزيران عام ١٩٥٩،حيث تمكنت من جمع الخبراء العالميين والسوفيت، فضلاً عن خبراء من الهند وبلغ مجموعهم الكلي ثمانية خبراء انضم اليهم الخبراء المصريون، وكان عددهم ١٤خبير(١).

وفي ضوء ذلك الاجتماع الذي حدث في حزيران عام١٩٥٩، انتهت اغلب المسائل العالقة ولم يبق سوى بعض المسائل الجانبية المتعلقة بدراسة آثاره السلبية على هيدرولوجية "Hydrology " نهر النيل(٢) ، التي أكملها الجانب السوفيتي ليعرض التصميم النهائي على رئيس الجمهورية، لغرض المصادقة عليه والتي حصلت في ٢٨حزيران عام ١٩٥٩وبذلك أصبح التصميم جاهزاً للتنفيذ (٣).

ج-المباشرة بالعمل

أوعز جمال عبد الناصر للجهات الرسمية، بإكمال المرحلة التحضيرية(٤)، قبل بناء السد العالي وقد خصص لها مبلغ مليوني جنيه(٥) .

في ٩كانون الثاني عام ١٩٦٠، بدأت أعمال البناء بعد تفجير شحنه من الصخور في قناة التحويل عند الضفة اليمنى من نهر النيل، وكان ذلك بحضور رئيس الجمهورية الذي ضغط على زر التفجير(٦).

---

١ – فليم تسجيلي، اجتماع الخبراء العالميين في وزارة الأشغال العامة :

www.Nasser.com

٢-كانت آثار السد العالي على هيدرولوجية نهر النيل؛ تشمل النحت والتعرية في شواطئ النيل وعملية التبخر والتسرب في بحيرته وكذلك تأثيراته على الطمي ، وتولت مهمة القيام بها كل من مؤسسة هيدروبروجكت "Hydroprogect" ، ومؤسسة تكنوبروم اكسبرت "Techno Accepert" السوفيتيين . لمزيد من التفاصيل ينظر : موسى عرفه ، المصدر السابق ، ص١١١؛ سماح ياسين،المصدر السابق ، ص١١٣-١٤٧.

٣-موسى عرفه ، المصدر السابق ، ص٦٤؛ ولمزيد من التفاصيل حول التصاميم الغربية والشرقية والتصميم النهائي، ينظر ملحق رقم (١)، في قائمة الملاحق .

٤-المرحلة التحضيرية : هي عملية توفير متطلبات العمل من مساكن للعمال ومطاعم وورش صيانة الآلات والمعدات وإيصال الكهرباء لمنطقة المشروع ،وأماكن العبادة والمسارح وقاعات الاجتماعات والسينما وغيرها . لمزيد من التفاصيل، ينظر:مارسيل ماري، السدود ، تعريب : بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧١، ص٩٣.

٥- جريدة الزمان، العدد٦٣٧٨، ٢٨/تشرين الأول/١٩٥٨.

٦-ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٤٣.

كانت خطة العمل المقررة لإكمال المرحلة الأولى، تقوم على أساس البدء بحفر قناة مائية لحرف نهر النيل عن مجراه الأصلي إلى قناة التحويل على الضفة الشرقية للنهر بين "خور كوندي" كبداية لها، إلى "خور خورما " الذي جعل نقطة التقاء مياه القناة بالمجرى الأصلي خلف السد العالي وبطول ١٩٥٠م ، فضلاً عن ذلك يتم خلال تلك المرحلة انجاز عملية بناء السدين الأمامي والخلفي له ووضع حجر الأساس لمحطته الكهربائية [١] .

بعد أن بدأ العمل في القناة ، اخذ الفنيون والخبراء السوفيت برفقة زملائهم المصريين ، بعملية الحفر مستخدمين الآلات والمعدات السوفيتية، ولم يكن عدد الخبراء والفنيين السوفيت يزيد على٨٣ فرد، بينما لم يتجاوز عدد المصريين ٢٠٠٠عامل، فضلاً عن ١٢٠مهندس [٢].

إلا أن العمل في القناة ، قد واجه عقبات أثرت سلباً على سيره، فبدلاً من التحرك سريعاً لحفر ١٠مليون م٣ من الرمال والصخور في القناة فيها وقذفها في السدين الأمامي والخلفي قبل ١٤أيار عام ١٩٦٤(وهو الموعد المحدد لانتهاء المرحلة الأولى)، كان جل ما تم انجازه في المدة مابين عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ هو ٧٠٠ ألف م٣ تقريباً[٣].

في حقيقة الأمر ان ذلك التأخير نجم عن عدة أسباب ومنها:

١–أسباب سياسية[٤].

٢–عدم اكتمال المرحلة التحضيرية : فلم تصل الطاقة الكهربائية الى منطقة العمل مبكراً وظل المشروع يفتقد للكهرباء على الرغم من تشغيل محطة كهرباء سد أسوان القديم في عام ١٩٦٠.

٣–تأخر وصول المعدات السوفيتية من حفارات وقلابات وغيرها[٥].

٤–قلة كفاءة المعدات والآلات السوفيتية : فهي لا تتحمل قسوة الظروف الطبيعية لمنطقة المشروع اذ كانت أسنان الحفارات تتحطم أمام قوة الصخور الجرانيتية فيما كانت إطارات القلابات ذات الحمولة العالية تتثقب دواليبها أمام المسامير الصخرية [٦].

١–موسى عرفه، المصدر السابق، ص١١٣–١١٥.

٢– طاهر أبو الوفا ، المصدر السابق ، ص١٤٨–١٤٩.

٣– توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، ص١٢٦.

٤–تم الأشاره أليها في الفصل الثاني ، المبحث الرابع ، ص ٧٣–٧٥.

٥– توم ليتل ، المصدر السابق ، ص١١٣–١١٨ .

٦–المصدر نفسه، ص١٢٠–١٢١.

٥ –قلة العمالة الماهرة :كان السوفيت مضطرين الى الاعتماد على خبرائهم وفنييهم في منطقة المشروع ، لذا وقع على عاتقهم العبء الأكبر ، فكان الفنيين والمهندسين السوفيت يقومون بأعمال الحفر وتفجير الصخور وقيادة القلابات حمولة ٢٥طن، حيث كان العمال المصريين يجهلون تلك المهام، لأن تلك التجربة جديدة عليهم ولم يمارسوا مثيلاً لها سابقاً[١].

٦–حرارة الجو العالية في فصل الصيف، والتي تصل في منطقة الظل (داخل منطقة العمل) إلى(٥٠)درجة مئوية، فكيف يكون حال المنطقة الواقعة تحت أشعة الشمس مباشرة التي كان العمال يعملون تحتها عندما كانوا يحفرون قناة التحويل؟[٢].

٧–الاختلاف في اللغة والعادات : فقد كان طاقم العمل السوفيتي والمصري لا يتقاربون في لغة واحدة تمكنهم من التحدث سوية وتحقيق التجانس في العمل، وان كانت تلك المسألة ممكن التغلب عليها من خلال الاستعانة بالمترجمين، غير أن الاختلاف في العادات كان واضحاً ، وخصوصاً بين كبار المسؤولين من الجانبين فكان كل طرف منطوي على نفسه ولا ينفتح على الطرف الآخر، ولاسيما السوفيت الذين يشعرون بأنهم ينتمون لدولة كبرى ويعملون في دولة صغيرة[٣].

حاولت الحكومة المصرية ، أن تعالج تلك المشاكل الكثيرة مع السوفيت للخروج بحلول عملية، كي لا تتحول إلى فرصة مناسبة للغرب لتأكيد مزاعمه بأن المصريين عاجزين عن أكمال المرحلة الأولى في موعدها المقرر، فتستغله صحافته كمادة إعلامية ضدهم ، وذلك ما تحقق فعلاً عندما ذكرت صحيفة الصنداي تايمز"Sandy Times" البريطانية مانصه " ...والمشكلة الان هل سيصدق ميعاد ١٥مايو المقبل ميعاد تحويل مجرى نهر النيل إلى القناة الصناعية وأنفاقها الستة أم لا...وعدم أتمام هذه العملية في الموعد المحدد سوف يكون كارثة قومية.."[٤]، وذلك الأمر دفع المصريين إلى معالجة تلك العقبات ابتداءً بمشكلة تغذية السد العالي بالكهرباء من محطة كهرباء سد أسوان القديم، وذلك باستخدام أسلاك كهربائية طولها (١٢)كم مع حلول شهر نيسان عام١٩٦١ [٥].

١–ايفان كومزين،المصدر السابق،ص٣٢.

٢– توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، ص١٢٠–١٢١.

٣–المصدر نفسه ، ص١١٩ .

٤– نقلاً عن عبد الغني العريسي، عشرون يوما في السد العالي ،الدار القومية،د.ت،ص٣٥.

٥– موسى عرفه، المصدر السابق، ص٩١–٩٢.

ومن اجل الإسراع في العمل ، حضت مسألة العمالة المصرية اهتماماً بالغاً لغرض التعجيل بانجاز السد في الوقت المقرر له وهو ما تطلب أيدي خبيرة ، ونظراً لعدم توفر تلك الأيادي قررت الحكومة المصرية كأجراء سريع الاستعانة برجال الجيش، فتم إرسال وحدات عسكرية للمشروع متألفة من ضباط مهندسين لتعزيز القوى العاملة في المشروع وجنود لسياقة عربات الماز "MAZ 205" حمولة٢٥ طن وجنود من الهندسة العسكرية لتنظيم المرور في المشروع وضباط من قسم المساحة العسكرية لوضع خرائط تفصيلية عن العمل وبالتالي تحول السد العالي إلى مشروع قومي يمس امن الدولة وهيبتها [١].

الواقع ان مسألة العمالة لايمكن التساهل فيها لخطورتها وأهميتها، وفي هذا الشأن يذكر ايفان كومزين "ان النجاح في بناء هذا المشروع الضخم (مصنع لينين لتوليد الطاقة الكهرومائية)على نهر الفولكا كان مرجعه إلى حد كبير إلى ان٧٢%من العمال قد تم تدريبهم في الوقت المناسب"[٢] ، والجدير بالذكر ان توفير العمالة ليس بالأمر الصعب في حد ذاته، فذلك الأمر يمكن لمصر ان تحققه في فترة وجيزة من خلال استيراد الأيدي العاملة الخبيرة من الخارج لكن ذلك يكلفها مبالغ طائلة لم تكن تستطيع تحملها، فهي كانت تسعى إلى تقليل نفقاته قدر الإمكان والتي بلغت في المدة مابين عام١٩٥٩-١٩٦١ ماقيمته ٢٥,٣٤مليون جنيه [٣]، وذلك المبلغ يعد كبيراً جداً بالنسبة لإمكانيات مصر المالية لاسيما ان المشروع لن يؤتِ ثماره الاقتصادية لمصر قبل اكتمال مرحلته الأولى وإنما يكون عملية استنزاف لمالية مصر ،ولذلك رفضت الحكومة المصرية أي محاولة لاستيراد عمالة خارجية ماهرة أو إرسال العمال المصريين الى الاتحاد السوفيتي لتدريبهم لسد العجز كما طلب السوفيت، ونتيجةً لذلك قرر الجانبين المصري والسوفيتي اللجوء الى حل وسط يقوم على فتح مراكز مهنية لتدريب العمال المصريين في مصر توزعت مسؤولية التدريب فيها بين السوفيت والمصريين لعل أبرزها مركز أسوان لتدريب العمالة المصرية وضم٣٠٠٠ آلاف متدرب، كان السوفيت هم المسؤولين عنه حيث قاموا بتعليمهم مختلف المهارات والمهن كقيادة سيارات القلاب نوع ماز حمولة ٢٥طن وصيانة الآلات السوفيتية وعمليات اللحام والبناء وسياقة الحفارات الضخمة وغيرها ،وعزز السوفيت مركزهم بوفد تدريب جديد وصل من الاتحاد السوفيتي إلى مصر في عام ١٩٦١، يضم خبراء وفنيين لتدريب المصريين على كيفية قيادة سيارات الماز حمولة

١- عبد الغني العريسي،المصدر السابق،ص١٥.

٢- ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٣٢ .

٣-محمود عبد الفضيل،الاقتصاد المصري بين التخطيط المركزي والانفتاح الاقتصادي، معهد الإنماء العربي، بيروت،١٩٨٠،ص٦٢.

٢٥طن، وتعليمهم كيفية التعامل مع الآلات السوفيتية من حفارات وكراكات، بالإضافة إلى تمكينهم من معرفة كيفية تسيير الحركة المرورية داخل منطقة العمل ، بينما كان مركز تدريب القاهرة يدار من قبل لجنة بناء السد العالي الذي يخرج ٦٠٠عامل كل ثمانية أشهر(١).

أما مايتعلق بمسألة توريد المعدات والآلات السوفيتية، فقد عالجها الجانبين بمزيد من الموضوعية، حيث وافق السوفيت على إرسال شحنات المعدات والآلات السوفيتية بشكل مستمر لمنطقة العمل، ولذلك ارتفع عدد السفن السوفيتية القادمة لمصر عبر البحر الأسود إلى ١٠٠سفينة محملة بما يحتاجه المشروع، و كانت الشحنات تفرغ في ميناء الإسكندرية الذي خصص لذلك لتنقل بعدها بالقطار لأسوان(٢).

وفيما يخص مشكلة قلة كفاءة المعدات السوفيتية، فقد حاول السوفيت معالجتها من خلال ربط المصانع السوفيتية بمنطقة المعمل ، فكانت مصانعهم تصنع الآلات والمعدات الضخمة وفقا لطبيعة التي كانت تمتاز بأنها حارة جداً ووعرة في محاولة لتلافي العيوب التي أخرت العمل، فضلاً عن قيام أصحاب المصانع بإرسال وفود فنية إلى منطقة العمل لتقييم عمل الآلات عن قرب، فمثلاً أرسل مصنع مانسك "Mansik"الذي كان يورد القلابات حمولة ٥و١٠و٢٥طن للمشروع موفده نيكولاي كودريا تسيف "Nicolay Kodreatseif " الوكيل الفني للمصنع للأطلاع على كيفية عمل قلابات الماز، فضلاً عن ذلك قام المصنع بأجراء تعديلات على عمل القلاب، من خلال تحسين جهاز تبريد المحرك وأجراء تغييرات في جهاز تعشيق التروس لتستطيع تحمل الحرارة العالية ووعورة الطريق ، وقد أمضى كودرياتسيف عاما كاملا في المشروع ومن هنالك كان يرسل التعديلات إلى المصنع ، كما أرسل مصنع اورال" Oral" للآلات موفده فلاديمير كوباتشيك "Filadmir .Cobatshek " ،الذي كان ابرز خبراء حفارات الاورال في الاتحاد السوفيتي ومن الخبرات النادرة وكان يدير عمل حفارت الاورال في محطة كهرباء سد كوبشيف قبل وصوله إلى مصر في حزيران ١٩٦١ ، فقد قام بدراسة عمل حفارات اولانشيف "Olanchef" ومعرفة عيوبها ، وعلى ضوء مقترحاته، قام

١- ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٣٢ .

٢-كانت شحنات السفن مختلفة الأحجام بحسب حاجة المشروع، ففي عام ١٩٦٣، وصلت السفينة السوفيتية جوليو كوري" Julio Cory " الى الإسكندرية، محمله بـ ٣,٥٠٠ طن تضم مختلف الأجهزة كهربائية ومعدات مخصصة للحفر وأجهزة خاصة بخلط الاسمنت. لمزيد من التفاصيل ينظر: جريدة الأهرام، العدد ٢٧٩١٠، ١١/ أيار/ ١٩٦٣.

المصنع بصناعة حفارات ذات رؤوس لا تتآكل أسنانها بسرعة[١].

غير أن الحكومة المصرية لم تكن راضية عن سير العمل، على الرغم من الجهود السوفيتية المبذولة، فهي رأت أن ذلك لا يصب في مصلحتها وعليهم الاستعجال في أكمال حفر القناة المفتوحة، ولذلك قررت أيكال عمليات الحفر وتبطين الأنفاق إلى الشركات المصرية، فأعطت امتياز حفر قناة التحويل الى الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العامة"المقاولين العرب عثمان احمد عثمان وشركائه"[٢]، بالإضافة إلى أعطاء امتياز تبطين الأنفاق وتسليح خراسانيات أبراج الشبكة الكهربائية لمشروع السد العالي الى شركة مصر لأعمال الاسمنت المسلح وذلك في صيف عام١٩٦١[٣]، بعدما كانت(لجنة بناء السد العالي)بمساعدة السوفيت هي المسئولة عن ذلك، فلما أعطي الامتياز لهما انتقلت وظيفتها الى الأشراف على عمل الشركتين [٤].

باشرت الشركة الهندسية أعمالها بحفر القناة المفتوحة وفق البرنامج الذي وضعته الحكومة المصرية لها والذي يلزمها بانجاز المشروع قبل ١٥أيارعام١٩٦٤، وبما أن ذلك غير ممكن مع قلة كفاءة المعدات السوفيتية، فقررت الحكومة المصرية السماح لها باستيراد ٢٠ شاحنة من حمولة ٢٥طن من شركة فلينيج بارفورد " Flange Barford " البريطانية في عام ١٩٦٢، فضلاً عن ما استوردته وزارة السد العالي من مكابس وحفارات صخور مطلية بالمطاط من شركة أطلس كويكو" Atlas Coyco"السويدية بقيمة٣٠٠الف جنية، كما تعاقدت مع شركة دانلوب"Dunlop"البريطانية لصناعة إطارات السيارات التي تمتاز إطاراتها بكونها

١-ايفان كومزين ،المصدر السابق،ص٨٠-٨١ .

٢-المقاولين العرب عثمان احمد عثمان وشركائه:هذه التسمية هي الشائعة والأقدم لهذه الشركة، الا ان وصول الضباط الأحرار للحكم وأقدامهم على تأميم كل الشركات والمؤسسات الخاصة في تموز عام ١٩٦١دفعهم الى تغيير هذه التسمية، لأنها تدل على بقاء الشركة تحت هيمنة القطاع الخاص فغيروها الى ماسبق ذكره واستمر العمل بالتسمية الجديدة حتى وفاة جمال عبد الناصر في ايلول عام ١٩٧٠، اذ أعيدت التسمية القديمة مع تولي أنور السادات الحكم وانتهاجه النهج الرأسمالي ، وللشركة تاريخ طويل من الانجازات المهمة في تاريخ الهندسة المعمارية أبرزها حفر قناة التحويل في مشروع السد العالي ونصب قواعد أطلاق الصواريخ في قناة السويس في حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ . لمزيد من التفاصيل ينظر: مصطفى كامل السيد ، التحولات السياسية الحديثة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، القاهرة ١٩٨٩، ص١٧٦.

٣-سامي شرف،المصدر السابق،ج١،ص١١٩ .

٤- موسى عرفه ، المصدر السابق ، ص٩٢.

مغطاة بالمطاط بخلاف السوفيتية كانت مغطاة بالخيوط القطنية من أجل حل مشكلة كثرة الإطارات المثقبة لسيارات المشروع ، وهذا التصرف أثار انزعاج السوفيت، فهم كانوا رافضين فكرة مشاركة الغربيين في بناء السد وان يقتصر عليهم فقط، لكن جمال عبد الناصر تمكن من أقناعهم بضرورة ذلك الأمر لتعجيل بناء المرحلة الأولى فاقتنعوا بذلك ، ولم يبدوا معارضة ضده [1].

الجدير بالذكر أن الغربيين ، كانوا غير جادين في تقديم المساعدة الفنية لمصر،فهم حاولوا الإيقاع بالمصريين كما حصل في أزمة التمويل سابقاً ثم كررُوها مجدداً،في عام١٩٦٣عندما امتنعت بريطانيا عن إرسال قطع غيار المعدات التي استوردوها منهم في عام ١٩٦٢التي كان المشروع بأمس الحاجة اليها لانجاز المرحلة الأولى ،فتلافى السوفيت حراجة الموقف وقاموا بتوريدها من معاملهم [2]. وهكذا يظهر، أن ذلك التصرف السلبي للموقف البريطاني لايختلف عن الموقف الأمريكي في ١٩تموز١٩٥٦، فيما كان الموقف الايجابي للاتحاد السوفيتي في عام ١٩٥٦ حدث نفسه في عام١٩٦٣ ، بوقوفهم الى جانب المصريين مجدداً. ولهذا المعنى يشير خروشوف في خطابه الذي القاه في اجتماع الحزب الشيوعي السوفيتي بقوله" ان عالم الاشتراكية يثبت لشعوب الدنيا امتيازه الذي لاينكر على عالم الرأسمالية البالي القديم وألوف مؤلفة من الأمثلة تدل على مزايا الاشتراكية للشعوب"[3].

وعلى الرغم من تلك الصعوبات، ألا أن العمل استمر حيث قامت الشركة الهندسية بعملية حفر القناة بطول ١٩٥٠م وبمتوسط عمق ٨٠م لتحويل مجرى النهر عن موضعه القديم كي تمهد للمرحلة الثانية المتعلقة ببناء جسم السد العالي ، وجدير بالذكر ان القناة المفتوحة تنقسم الى ثلاثة أجزاء هي:

١-الجزء الأمامي من القناة :ويبدأ من منطقة اتصال القناة بالنهر عند خور كوندي حتى الجزء الأوسط من القناة بطول ١١٥٠م.

٢-الجزء الأوسط :هو الجزء الذي يقع وسط القناة تخترقه ستة أنفاق قطرها ١٥م بطول٣٥١م تعلوها كتلة من الصخر أشبه بالجبل المجوف من وسطه تنصب عليها محطة كهرباء المشروع .

١- توم ليتل ، إخضاع النيل لإرادة الإنسان ، ص ٣٣.

٢-اليكسي فاسيليف ،المصدر السابق، ص٤٠ .

٣-خطاب خروشوف في الاجتماع الشامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في٢١حزيران ١٩٦١،مطابع العالم العربي،القاهرة،١٩٦٣، ص١١ .

٣-الجزء الخلفي:يبدأ من خلف المحطة الكهربائية حتى خور خورما شمال نهر النيل بطول ٤٨٥م[١] .

وقد بدأت الشركة عملها بإنشاء سدود رملية، عند بداية القناة ونهايتها كي تضمن عدم غرق القناة أثناء العمل نتيجة فيضان نهر النيل ،ومن ثم شرعت بعملية الحفر بشكل متقطع حيث تم حفر الأنفاق بمعزل عن حفر بقية أجزاء القناة بما سرع العمل فيها، واستخدمت في ذلك عدد من الآلات، منها : ١٢حفارة كراكة كبيرة و٦حفارات كراكة صغيرة و١٥٥لوري قلاب حمولة ٣٠طن و٣٠لوري حمولة ٥طن، بالإضافة إلى ٦٤ماكنة تخريم الصخور (أي تثقيب الصخور) ، وقد كانت عملية حفر الصخور تتم بلغمها بالمتفجرات ومن ثم أزاحتها من القناة بعد تفجرها ، ووصلت كمية المتفجرات المستخدمة في حفر القناة حوالي(٥٠٠٠) طن من بارود الدينوريت بجهد بشري وصل إلى ١٧ ألف عامل [٢].

الواقع أن أكثر ماعرقل عمل الشركة، هو حفر الأنفاق حيث تطلب مهنية عالية جداً ودقة في العمل بحكم تقيُّد خبراء الحفر بلزوم الإبقاء على الجبل الصخري وسط القناة كي تبنى عليه محطة الكهرباء، وكذلك امتداد جناح السد العالي الأيمن في المرحلة الثانية ، ولهذا كانت عمليات التفجير والحفر تتم بشكل أنفاق داخل الجبل بظروف مناخية قاسية جداً، فحرارة الجو العالية في الخارج، فضلاً عن الرطوبة داخل الأنفاق عالية جداً ، ما جعل العمل متعباً ومرهقاً ، هذا عدا حالات الانهيار في جدرانها المتكررة والتي دفعت الحكومة المصرية الى جعل الحفر في الأنفاق مشترك مع عملية تبطين جدرانها بالاسمنت المسلح بما يضمن عدم انهيار أي نفق على عماله أثناء العمل ويمكن القول أن اشد مراحل بناء السد العالي صعوبة هي مرحلة الأنفاق حتى أن كثير من مهندسي وعمال حفر الأنفاق السوفيت والمصريين كانت آثار السواد واضحة على عيونهم لمدة طويلة ، نتيجة الظروف الصعبة التي كانوا يعملون تحتها [٣].

وكانت عملية حفر الأنفاق الستة تتم على شكلين، علوية دائمية تقع عند منسوب ١٢٣م وتكون بشكل مائل إلى الأسفل انظر الشكل رقم (١) الذي يوضح هذا جلياً [٤]، وأنفاق سفلية بنيت بشكل مؤقت حتى تمتلئ البحيرة بالمياه ويرتفع مستواها إلى ١٢٣ م فتغلق عندها الأنفاق السفلية بواسطة الخرسانة المسلحة، وتتفرع الأنفاق إلى أثنى عشر نفقُ ركِّبَ في

1-Dr. Rasha El Gohary, Selected Topics in Water Resources CT309 Lecture (3), p12-13.

٢-حسن زكي، السد العالي هندسته واقتصادياته، د.ن، القاهرة، د.ت، ص٤٦ .

٣- صنع الله إبراهيم وآخرون ،إنسان السد العالي،دار الكاتب العربي ،القاهرة ،١٩٦٧ ، ص٣٢.

٤- ينظر الملحق الوثائقي ،ملحق رقم (٤).

نهاية كل نفق توربين فيكون مجموعها أثنى عشر توربين لتوليد الطاقة الكهرومائية ،اعتمد في بنائها قدرتها على تحمل قوة ضغط المياه المتدفقة من قناة التحويل على جدرانها لاسيما في وقت الفيضان ، فهي بإمكانها تصريف ١١الف م٣/الثانية من المياه دون أي مشاكل [١].

وقد تمكنت الشركة الهندسية"المقاولين العرب" في المدة مابين عام ١٩٦١-١٩٦٣من حفر ٦مليون م٣ في القناة مابين صخور ورمال، وتم ألقاء ١٨٠الف م٣ من الصخور في السد الأمامي للسد العالي[٢].

وفيما يخص بناء السدين الأمامي والخلفي، فقد بدأت منذ عام ١٩٦٣ أذا اقترح السوفيت أن يستند جسم السدين على طبقة من الرمال المضغوطة بمكائن خاصة على عمق ٢٥م تحت الماء وليس على الصخور التي كان الخبراء العالميين قد اقترحوها في التصميم الألماني، فاندهشوا من المقترح السوفيتي لكونه يبتكر فن جديد في بناء السدود يقوم على أمكانية استناد الحاجز الصخري للسدين على طبقة رملية وليس على قاع صخري فعد من قبلهم نجاحاً يضاف للمدرسة السوفيتية، ما شأنه التقليل من تكلفة البناء وتسريع مدة انجاز المشروع [٣].

وقد استخدم السوفيت في تكوين تلك الطبقة الرملية الارتكازية، طريقة "تكثيف الرمال" باستخدام مكائن ضخمة تقوم بتحريك الرمل داخل المياه حتى يصل إلى مرحلة التلابس الشديد فيثقل وزنه ولا يتحرك عندما يستند عليه جسم السدين ، وبما ان الرمال غير متوفرة بالكميات والمواصفات المطلوبة في منطقة العمل بل تبعد مسافات متفاوتة بين عشرات الأمتار وبين عدة كيلوات، لذلك استخدم السوفيت طرق مختلفة لجلب الرمال؛ فأما للاماكن البعيدة فيتم جلبها بواسطة القطار وتكون رمال خشنة، وأما القريبة منها فتجلب من خلال طريقة "التجريف الهيدروليكي"[٤]، وقد بلغ مجموع ما تم نقله بالقطار نحو(١,٣٩١) مليون م٣، وبالتجريف

١-محمد عبد السلام عاشور، التجربة المصرية في تخزين المياه والسدود دراسة السد العالي، جامعة أسيوط، د.ت ، ص٤ .

٢-جريدة الأهرام ،العدد ٢١٥٣، ٢٢/شباط / ١٩٦٣.

٣- عادل حسين ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

٤- التجريف الهيدروليكي : يقصد بها خلط الماء بالرمل ثم سحبها بواسطة أنابيب يبلغ قطرها ٨٠سم وبضغط ٦جو، لتقذف الرمال قرب السدين حيث يترسب ثم ينقل بالقلابات والصنادل إلى المنطقة المخصصة لتوضع فيها ، وتعتبر هذه الطريقة من أسرار الاتحاد السوفيتي العلمية في وقت الحرب الباردة، والتي كانت محظورة خارجه محافظة على سريتها ، ولم تستخدم ألا في مصر. لمزيد من التفاصيل ينظر: صنع الله إبراهيم وآخرون ، المصدر السابق، ص٢٨؛ حسن زكي ، المصدر السابق، ص٢٦.

الهيدروليكي (٥، ٩٤٨) مليون م٣[١] .

ولم يكن العمل سهلاً ومريحاً ، فكان يتطلب جهداً كبيراً ومزاجاً هادئً فحاولت الحكومة المصرية التخفيف عن عمال السد بتوفير الخدمات الأساسية من غرف نوم مريحة ومكيفة بعد تجهيزها بالكهرباء ، والتي لم تكن موجودة في المنطقة مع توفير الطعام الجيد وسائل التسلية والترويح كالتلفزيون وما شابه ذلك، فضلاً عن الرواتب والحوافز المقدمة والاحترام المتميز لهم من قبل أجهزة الدولة باعتبارهم بناة السد العالي رمز صمود المصريين في تحديهم للغرب ، وذلك ماجعل الكثير من العمال المصريين في دول الخليج وغيرها من الدول العربية، يتركون أعمالهم في تلك الدول ويعملون في المشروع[٢].

وفي كانون الثاني عام ١٩٦٣ ، وضع جمال عبد الناصر حجر الأساس لمحطة كهرباء المشروع ، فكان ذلك ايذاناً لشركة مصر لأعمال الاسمنت المسلح للشروع في تسليح أساسات المحطة وإكمال تسليح الأنفاق السفلية بالخرسانة المسلحة ووصلت كميات الاسمنت المستخدمة قرابة(٥٠٠)ألف م٣، جهزت شركة مصر منها نحو ٣٥٠الف م٣[٣]، وتدخلت الحكومة المصرية لتجهيز باقي الكمية ، عندما عجزت الشركة عن توفيرها من شركات الاسمنت في البلد[٤].

كان العمل في القناة وبقية أجزاء المشروع الأخرى، شاقاً ومرهقاً ويمتد على مدى٢٦ساعة في ثلاث نوبات[٥]، من اجل تدارك الوقت الضائع في السنين الأولى للمشروع ما زاد من الضغوط على العمال، الذين صاروا يتعرضون لظروف قاسية نتيجة العمل المستمر، حيث تنخفض درجات الحرارة ليلاً إلى ٦% ، ما يجعل العاملين في تحدي شديد مع البيئة [٦].

ونتيجةً لتلك الجهود المضنية، أكملت الشركتين أعمالهما قبل١٥أيارعام ١٩٦٤ بحفر ١٠مليون م٣ من الرمال والصخور في قناة التحويل، وإلقاء الصخور والرمال في مجرى النهر لتكوين السدين الأمامي والخلفي، مستخدمة في حفرها ٣مليون متفجر وجهد بشري وصل إلى

١- حسن زكي ، المصدر السابق، ص٢٦.

٢-ايفان كومزين ، المصدر السابق ، ص٧٢.

٣- جريدة الأهرام، العدد ٢٨١٥٣، ٩/كانون الثاني /١٩٦٤ .

٤- موسى عرفه، المصدر السابق، ص١٢٥.

٥- كانت نوبة العمل الرسمية ٨ ساعات ، وأما مازاد عليها فهو عمل أضافي يحسب للعامل فيه اجر متفاوت اقله ساعة بالعمل الرسمي. لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الأهرام، العدد٢٧٩٥٣، ٢٣/ حزيران/١٩٦٣.

٦-جريدة الأهرام، العدد٢٨١٨١، ٦/شباط/١٩٦٤.

٣٤ ألف عامل ومهندس وفني، فضلاً عن تسليح الأنفاق ولم يتبق سوى كتلتين من السدود الرملية التي أقيمت عند مدخل ومخرج القناة التي تم تفجيرها بحضور دولي وإقليمي للإعلان عن انتهاء المرحلة الأولى في ١٥ أيارعام١٩٦٤[١].

وبانتهاء العمل في المرحلة الأولى، بدأ السوفيت والمصريين بإنشاء الستارة الرأسية التي تتكون من طبقات رسوبية طينية حقنت بخليط من الاسمنت المحلول والسليكا لمنع تسرب المياه من خلالها، وتقع هذه الستارة تحت أسفل جسم السد الرئيسي مباشرة حتى عمق ٢٠٠م بطول يصل إلى نصف كيلو تقريباً ، فيما كان عرضها متفاوت بحكم شكلها المخروطي فمن الأعلى بلغ ٤٠م والذي يمثل قاعدتها ومن الأسفل وهو قمتها فبلغت ٥م [٢] ، فهو كالمسمار عندما يغرز في الأرض فرأسه عريض ونهايته حادة صغيرة لضمان قوة الستارة وقدرتها على شد جسم السد من الأسفل ومنع ترشح المياه من خلاله، عندما يتعرض السد إلى ضربة جوية او زلزل قوي [٣].

أما مايخص جسم السد الذي يقع فوق سطح الأرض، فقد بني بشكل هرمي بارتفاع بلغ ١١١م فوق سطح البحر وبعرض يتراوح مابين ٩٥٠م عند قاعدته و٤٠ م عند قمته، فضلاً عن طوله البالغ ٣٦٠٠م ،تتخلله نواة صماء يبلغ عرض قاعدتها ٦٠م ، فيما يبلغ عرض قمتها ١٠م تتكون من الطين المدكوك تتخللها ثلاثة ممرات خراسانية لغرض صيانة الستارة الرأسية، كما ركبت فيها أجهزة لرصد الزلازل التي قد تصيب المنطقة، فضلاً عن ذلك، ان النواة الصماء تم تقويتها بطبقة أفقية (الفرشاة) من الطين المدكوك كدرع واقي لها من التيارات النهرية ، فيما ملئت القطعة مابين جسم السد الرئيس والفرشاة بالرمال الكثبانية والصخور بأحجام متفاوتة ،ونفس الشيء قد حصل مابين جسم السد الرئيس و السد الخلفي، إلى جانب ذلك غطيت النواة الصماء بطبقة من الركام الصخري حقنت بمحلول من الاسمنت ومواد كيميائية لضمان تماسك جسم السد العالي ومرونته ، كي لا يتحطم أثناء حدوث

١- ابرز المدعوون الرئيس العراقي عبد السلام عارف والرئيس اليمني عبد الله السلال ورئيس الوزراء السوفيتي خروشوف، فضلاً عن رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر. لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الأهرام، العدد٢٨٢٧٩ ، ١٤/أيار/١٩٦٤؛ العدد ٢٨١٨٠، ١٥/أيار/ ١٩٦٤.

٢-موسى عرفة، المصدر السابق،ص ١١٧ .

٣- تحولت هذه الستارة الى ابرز انجازات السوفيت الهندسية التي ليس لها مثيل في العالم من حيث ضخامتها ، حتى أن رئيس هيئة السد العالي، " إبراهيم أبو زيد " ، قد وصفها بأنها تفوقت على جميع الستارات الرأسية في العالم مما مكن السد العالي من تحمل زلزال قوته ٨درجة على مقياس رختر، بالاعتماد على الستارة للمزيد، ينظر: موقع مصلحة الاستعلامات،الاحتفال باليوبيل الذهبي للسد العالي:
www.sis.gov.eg/ar/story.aspx?sid=327.

الزلازل ، كما تم توسيع أجنحة السد العالي بمسافة ٣٦٠٠م منها ٥٢٠م داخل مجرى النهر و٢٣٢٥م على الضفة الشرقية من النهر و٧٥٥م على الضفة الغربية، ثم ادمج السدين الأمامي والخلفي بالسد الرئيسي ليظهر كسد واحد بشكل هرمي ، كما قام الخبراء بجعل واجهة المشروع باتجاه البحيرة محدب بحيثُ يرى وكأنه قوس لكي لا يتأثر السد بقوة ارتطام المياه به عندما تصله التيارات المائية [١]، وقد تطلب بناء السد ٤٣مليون م٣من الاسمنت والأحجار والرمال بمختلف أحجامها بما يفوق هرم خوفو[٢] ب١٧ مرة ، كما زودت بحيرته بمفيض عند منطقة توشكي جنوب السد العالي لتصريف المياه فوق مستوى ١٨٢م٣ فأكثر ، من البحيرة في أوقات الفيضانات العالية كي لا تشكل خطراً على بوابات الأنفاق ، وبلغ معدل تصريفها اليومي نحو ٢٠٠مليون م ٣ [٣].

لقد تطلبت هذه المرحلة، من السوفيت ، مضاعفة عددهم لسد احتياجات المشروع من الكوادر المتخصصة في مجال الهندسة الكهربائية لانجاز أضخم محطة كهربائية في الشرق الأوسط ب(١٠٠) خبير وفني[٤] ليصبح عددهم الكلي ٤٠٠ خبير وفني وعامل[٥]،وكانت مهمات السوفيت تنحصر في تركيب التوربينات وتجهيز محطات تحويل الطاقة الكهرومائية بما تحتاجه من قطع غيار ومحولات، فضلا عن مد خطين لنقل الطاقة الكهربائية من محطة السد العالي الى القاهرة والمساهمة في بناء جسم المشروع [٦] .

كانت شركة مصر لأعمال الاسمنت، قد تولت مهمة بناء محطات الكهرباء والأبراج وذلك لتوصيل الخطوط الناقلة من السد العالي إلى جميع محافظات مصر ، التي يبلغ عددها ثلاثة

١-نجاح عمر، السد العالي يتحرك ، مجلة العربي،العدد٣٢٣، الكويت، تشرين الاول١٩٨٥ ؛ ويمكن مشاهدة ذلك واضحا في ملحق رقم(٥)،في الملحق الوثائقي.

٢-هرم خوفو :هو أشهر الأهرامات المصرية وأقدمها بناه الملك خوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة ليدفن فيه بعد مماته استغرق بناءه عشرون عاماً ، ويعد هذا من مفاخر العمارة المصرية ويبلغ ارتفاعه ١٣٧م وبطول ٢٢٧م فيما يبلغ عرضه٢٢٧م وبني الهرم من كتل من الحجارة وصل عددها إلى ٢,٥مليون صخرة. لمزيد من التفاصيل ينظر:سمير أديب،أهم المعالم الأثرية في منطقة الجيزة، د.م، ١٩٩٧، ص٥ ص٢٥ .

٣- أنور حجازي، في رحاب النيل، الدار القومية، القاهرة، د.ت ، ص ٩٥ .

٤- جريدة الأهرام، المصدر السابق، ١٥/كانون الثاني / ١٩٦٤.

5- Dr. Rasha El Gohary,OP-CIT,p.10.

٦-الأمم المتحدة- مجموعة المعاهدات /٥٧٣٣، اتفاقية المرحلة الثانية بشأن تقديم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية المساعدة الاقتصادية والفنية للجمهورية العربية المتحدة، تعريب: تراد كشن، نيويورك ، ١٩٦١، ص١-٥.

خطوط اثنان منهما بجهد(٥٠٠) كيلو فولت ، وبطول١٦٠٠كم ، وقد خصص لها ثلاثة محطات تحويلية رئيسية في ثلاث مناطق وهي : تجمع حمادي وسمالوط وأسوان ، والخط الثالث من محطة السد العالي إلى محافظات الوجه القبلي بجهد ٢٢٠كيلو فولت وبطول ٧٠٠كم [١]، وزود بست محطات تحويلية فرعية ، بينما هناك خط رابع لا يتصل بالسد العالي مباشرة يغذي محافظة الإسكندرية بالكهرباء من خلال ربطها بخط القاهرة–السد العالي بجهد ٢٢٠/١٣٢ كيلو فولت وبطول ٢٤٠كم ، وقد زود هذا الخط بخمس محطات تحويلية فرعية فيكون مجموع المحطات التحويلية ١٤محطة بطول(٢٥٤٠)كم ، وبذلك كانت هناك شبكه مركزية جديدة وحديثة لمصر بأكملها [٢].

اخذ السوفيت والمصريون، بتركيب التوربينات بشكل تدريجي حتى وصل عدد التوربينات المركبة ١٢توربين التي كانت توضع في مخرج كل نفق من أنفاق القناة الاثنى عشر قوة الواحدة منها ١٧٥الف كيلو واط ،وهي بذلك تفوق في قوتها الكهربائية اكبر محطات الكهرباء في الولايات المتحدة التي لا تتعدى قوة التوربين الواحد فيها١٢٥الف كيلو واط[٣]، تقوم بتوليد الكهرباء من خلال تحريك مياه النيل المتدفقة من الأنفاق التوربينات بسرعة فائقة فيتولد عنها الكهرباء [٤] ، وباكتمال تركيب أول ثلاث توربينات في محطة السد في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ شغلت المحطة الكهربائية التي وصل حجم ماولدته من طاقة كهربائية في المدة مابين نهاية عام ٦٧–١٩٦٨نحو (١١٢٣)مليار كيلو واط /ساعة، وكان اختيار هذا التوقيت متعمداً لرفع معنويات الشعب المصري الذي جرحت مشاعره وتحطمت معنوياته بالهجوم الإسرائيلي على بلدهم، فجاء ذلك الانجاز لتأكيد قوة وصلابة المصريين وقدرتهم على تخطي المواقف الصعبة [٥] ، واستمر الجانبين بتركيب التوربينات حتى اكتملت كلها في عام ١٩٧٠[٦]، فظهرت كأكبر محطة كهرومائية في أفريقيا بطاقة أجمالية أقصاها ١٠مليار كيلو واط بما يعادل ٢١٠٠ميكاواط متفوقة على محطة كهرباء سد أسوان القديم الألمانية الصنع

١–احمد حمروش ، السد العالي شركة مصر لأعمال الاسمنت المسلح ، مجلة روز اليوسف ، العدد ١٩٢٧ ، القاهرة ،اب ١٩٦٥ ، ص٦٧ .

٢– جريدة المساء، العدد ٣٧٠٧، ٩/كانون الثاني/١٩٦٧.

٣- لي دافيد هاملتون،تعال معي الى السد،مراجعة وتقديم :محمود حافظ ، تعريب: محمد توفيق محمود، مؤسسة فرانكلين،القاهرة،١٩٦٦،ص٢٣.

4- http://www.sabraeng.com/finish.gif.

٥– أيغور بليبايف وافغيني بريماكوف،المصدر السابق،ص٣٠٠.

6-http://www.moee.gov.eg/Arabic/ar-takrir2004-2005/21.htm.

ب٦مرات تقريباً ،والتي لاتزيد قدرتها على ٣٤٥ميكاواط[١].

ويمكن القول ان محطة كهرباء السد العالي، عكست مدى تفوق السوفيت في تقنية توليد الكهرباء من المساقط المائية،وبتكلفةٍ ماليةٍ منخفضة قياساً بالمقترحات الغربية المكلفة [٢]، ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل ان السوفيت قد حققوا قفزات قوية في تلك التقنية على الصعيد الدولي [٣].

وبعدأن اكتملت المحطة وكذلك جسم السد، تم الاحتفال بها في ١٥كانون الثاني عام١٩٧١ حضره رئيس الجمهورية أنور السادات بعد وفاة جمال عبد الناصر في أيلول عام ١٩٧٠ ،ونيقولا بودجوني" Nikola Bodogeony " رئيس مكتب رئاسة السوفيت الأعلى وحشد من الخبراء السوفيت والمصريين و الشخصيات السياسية المختلفة [٤]. فكان ذلك نصراً كبيراً تحقق للمصريين [٥] . فانعكس اثره الايجابي على مصر، اذ وفر لهم الرصيد المائي الذي كانوا بأمس الحاجة اليه للنهوض بواقع الزراعة فيها.

١- عبد العزيز محمد حبيب، مصادر الطاقة في أفريقيا، مركز البحوث و المعلومات، بغداد ١٩٨٢، ص١٦٦.

٢- لمزيد من التفاصيل، ينظر ملحق رقم(١)، في الملحق الوثائقي.

٣- كان السوفيت حتى ثلاثينيات القرن العشرين يفتقدون لتقنية توليد الكهرباء من المساقط المائية ،بخلاف الأمريكان الذين كانوا يتقدمون عليهم فيها، حيث استطاعوا أنتاج طاقة كهرومائية وصلت قدرتها الى حوالي ٤ملياركيلوواط /ساعة في السنة ، غير أن السوفيت وبفعل الحرب الباردة المحتدمة بينهم وبين المعسكر الغربي تمكنوا من تجاوز ذلك، والنهوض بأنفسهم حتى فاقوا الأمريكان ، فبلغ مجموع ماانتجه السوفيت في الخمسينات من سدودهم الكبرى على نهري الدنيبر وكوبشيف حوالي ١٢ مليار كيلو واط /ساعة سنويا ، وبذلك احتل الاتحاد السوفيتي المرتبة الأولى في تلك التقنية.لمزيد من التفاصيل ينظر: **Abram Bergson, Soviet Economic Growth ,Row Peterson company , New York , 1953, P.175.**

٤- فليب جلاب ، هل تهدم السد العالي ، ط٦ ،جريدة الأهالي، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١١٥ .

٥- لقد قُيّم المشروع من قبل "الهيئة الدولية للسدود والشركات الكبرى" في عام ٢٠٠٥ بأنه "أعظم انجاز هندسي في القرن العشرين"، وانه يتفوق على ١٢٢مشروعاً عملاقاً في العالم بضمنها نفق المانش"**Manish**" بين بريطانيا وفرنسا ومطار هونج كونج"**Hong conk**" وغيرها ، وعللوا ذلك ليس إلى ضخامته بل لما قدمه للمجتمع الإنساني من خدمة كبيرة حيث وفر لمصر رصيداً استراتيجياً من مياه النيل وخصوصاً أن كميات هائلة منها، كانت تذهب هدراً في وقت الفيضان، ما عدا القليل منها يحتفظ به في سد أسوان القديم . لمزيد من التفاصيل ينظر: محمود محمد عزت بعد الوارث ، تقرير عن أهم ١٠ميزات في مصر وخطة الاستخدام الأمثل في تنمية مصر، كلية الهندسة ،جامعة جنوب الوادي ، د.ت ، ص١٥، احمد عادل عشره ، السد العالي:

www.knol.google.com.

ثانياً//تزايد الإيرادات المائية

أدى بناء السد العالي في جنوب البلاد ، إلى ظهور بحيرة عملاقة غطت مساحات واسعة من مصر والسودان تقدر ب٥٠٠٠كم^{2} وبطول بلغ ٥٠٠كم منه ٣٥٠ كم داخل حدود مصر و١٥٠ كم في حدود السودان بمتوسط عرض يصل الى ١٠كم، وبذلك تكون بحيرة السد العالي قد فاقت في حجمها البالغ ١٥٧مليارم^{3}بحيرة سد أسوان القديم (٥مليارم^{3}) ب٢٦مرة [(١)] ولقد قسمها مهندسوا الري وفق وظيفتها إلى ثلاث أقسام هي :

١-السعة الميتة :ويقصد بها تلك السعة الخزنية من البحيرة غير المخصصة للاستهلاك البشري وإنما جعلت كي تكون مكاناً لترسب الطمي فيها ،وتقع عند منسوب ١٤٧ م فما دون ويقدر خبراء الري أنها سوف تمتلئ بعد خمسمائة عام وتصبح عبارة عن طبقات من الطمي فقط ،وتبلغ سعتها ٣٠مليارم^{3}.

٢-السعة الحية أو التخزين الأساسي:وهي السعة المخصصة للاستهلاك البشري من ري الأراضي الزراعية وتسيير الملاحة النهرية وتوليد الطاقة الكهرومائية وتقع عند منسوب (١٤٧ م-١٧٥م)وتبلغ سعتها ٩٠مليارم^{3}.

٣-السعة اللازمة للوقاية من خطر الفيضانات :وهي مخصصة لوقاية مصر من أخطار الفيضانات العالية المدمرة، وتقع عند منسوب ١٧٥فما فوق وسعتها ٣٧مليارم^{3} [(٢)]. وقد قدر خبراء الري الأمريكان في عام ١٩٦٧ أنها تتفوق في سعتها الخزنية على ١٩٥خزاناً مائياً في الولايات المتحدة الأمريكية[(٣)] .

مما ساهم في التأثير على الإيرادات المائية لمصر والسودان، حيث شهدت زيادة في حصصها المائية ، فبعدما كانت حصة الدولتين من نهر النيل قبل بناء السد العالي لا تتجاوز ٥٢ مليار م٣ منها ٤٨مليارم٣ لمصر و٤مليار للسودان وفق اتفاقية عام ١٩٢٩، فأصبحت بعد بنائه ٧٤مليار م٣ منها ٥٥,٥ مليار م٣ لمصر بزيادة تقدر بـ ٧,٥مليارم٣ في حين ارتفعت حصة السودان كثيراً حتى وصلت إلى(١٨,٥)بزيادة تقدر ب (١٤,٥)مليار م٣[(٤)].

إلى جانب ذلك، سارعت الحكومة المصرية إلى التخلي عن سد جبل الأولياء في السودان

١-جمال حمدان،مختارات،ص٤٣٢-٤٣٤ .

٢-محمد حسني أمين،السد العالي ثورة شاملة ،الدار القومية ،القاهرة،د.ت،ص٤٠-٤١ .

٣-جريدة الجمهورية القاهرية، العدد٤٩٢٨، ٢٠/حزيران/١٩٦٧.

٤-محمد السيد عبد السلام، التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي ،عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢،ص١٢٩-١٣٠.

بعد بنائه مكتفية عوض عن ذلك، بخصم حصته المائية (٢,٥)مليار م٣ من السودان وأضافتها إلى مصر، حيث صار سد جبل الأولياء يكلف مصر أموالاً كثيرة في عمليات صيانته وكري بحيرته[١].

وهكذا فقد بدأت عمليه التحكم في نهر النيل منذ عام ١٩٦٤ عندما تم تحويل مجراه وهو العام الذي كانت فيه مناسيب النهر عالية ولولا اكتمال المرحلة الأولى لكانت عواقب الفيضان في تلك السنة خطيرة ، والتي استمرت بالارتفاع طيلة الأعوام التالية : ٦٤، ٦٧ [٢].

ولقد قدره المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية [٣] حجم الفوائد التي يقدمها السد العالي لمصر، من وقايته لها من خطر الفيضانات العالية، ماقيمته ٤٧,٢٥مليون جنيه [٤].

فضلاً عن وظيفته الأخرى، المتمثلة بحمايتها من الجفاف الذي كان يضربها بشكل متكرر في العصور التاريخية، وما يسببه لها من كوارث طبيعية فما أن يحل الجفاف بمصر حتى تظهر المجاعة وأعمال السرقة ومختلف أنواع الجرائم [٥] ،فيما تغير الحال بعد بنائه كثيراً فالجفاف الذي حل بمصر في السنوات اللاحقة[٦]، كان شديد التأثير على شعوب أفريقيا حيث

١- جمال حمدان ، مختارات ، ص٤١٩.

٢- شيرين مراد، تجديد شباب السد العالي،مجلة اقتصاد مصر،العدد ٢٦،كانون الثاني٢٠١٠:
http://ik.ahram.org.eg/IK/ahram/2010/1/25/BUSS1.HTM.

٣-المجلس القومي للانتاج والشؤون الاقتصادية: هو أهم المؤسسات الحكومية البحثية التي شكلت بموجب المادة ١٦٤ من دستور أيلول عام ١٩٧١، بهدف معاونة الحكومة في رسم السياسة العامة للدولة . لمزيد من التفاصيل ينظر:مجلس الشورى المصري ،الدساتير المصرية والوثائق المتعلقة بها١٨٢٤-٢٠٠٧، مركز المعلومات ،القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص٤٥٥ .

٤- في الحقيقة ان المجلس القومي اعتمد في تقديره فوائد السد العالي على مصر، على آلية خاصة تقوم على أساس حجم الخزان بسعاته الثلاث الميتة ،والحية، والوقائية، قياساً بتكاليف بناء السد البالغة ١٣٥مليون جنيه التي تشمل بناء جسم السد العالي وتعويض المتضررين من بنائه ، فجعل قيمة السعة الحية التي تقع مابين منسوب ١٤٧-١٧٥ حوالي ٨٧,٧٥ مليون جنيه ، وهكذا مع السعة الوقائية التي تقع مابين ١٧٥-١٨٢ المشار اليها في المتن. لمزيد من التفاصيل ينظر: رئاسة الجمهورية ، موسوعة المجالس القومية الإنتاج والشؤون الاقتصادية ، مجلد ١٨،المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية ، القاهرة،١٩٩٢، ص٩٦ .

٥- احمد النجار ، خمسينية اتفاقية السد العالي :
http://www.al-araby.com/docs/article2142178790.html.

٦- حل الجفاف بمصر في نهاية عام ١٩٧٨واستمر حتى أواسط عام ١٩٨٥.لمزيد من التفاصيل ينظر: رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص ٣٩٦.

أصاب عشرين دولة افريقية ولم تنجو منه حتى أثيوبيا ابرز دول منابع النيل[1]، بينما كان الوضع فيها يختلف، فعلى الرغم من انخفاض مناسيب النيل إلى ٣٤مليارم٣،غير أن ذلك الحجم الذي عده خبراء الري المصريين كافي لتعطيل الملاحة وتوليد الكهرباء وجفاف الأراضي الزراعية في مصر، لكن ذلك كله لم يتحقق بفعل الخزين الهائل من المياه في بحيرة السد التي جنبت البلاد من شر اخطر سنين الجفاف في النصف الثاني من القرن العشرين [2].

على الرغم من هذه الايجابيات، فأنه لم يخلو من سلبيات وجهت اليه لعل من أبرزها :

١-تغير نوعيه مياه النيل المخزنة في بحيرة السد العالي[3].

٢-قلة الطمي الذي كانت تستفد منه الأراضي الزراعية بالذات .

٣-تآكل شوطىء النيل والقناطر المقامة عليه وتقلص مساحة الشواطئ الساحلية لمصر.

٤-ارتفاع مستوى المياه الجوفية وآثارها على الزراعة المصرية

٥-انتشار الحشائش في مياه النيل وبحيرة السد العالي التي تضر بالملاحة وعملية الزراعة في مصر.

٦-التسرب والتبخر في بحيرة السد العالي [4].

وهكذا سبب هذا المشروع الضخم، آثاراً سلبيه على مصر بحكم ضخامته ومن بين هذه الآثار الجانبية، كانت مسألة تزايد نسب الملوحة في نهر النيل وتغيير طبيعة نوعيه مياهه نتيجة عملية الخزن فازدادت كميات الأملاح فيه، ووصلت في دراسة رسمية قام بها المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، الى مابين (١٧٥-٢١٠) جزء من المليون وكانت نسبة الملوحة في مدينة القاهرة تتراوح ما بين (٢٠٠-٢١٠)جزء من المليون ، غير ان الدراسة نفسها أشارت الى عدم خروجها عن النسبة المقبولة التي يمكن أن تضر بصحة الإنسان وأنها

١- الجدير بالذكر ان ذلك الجفاف انعكس ايجابياً على سمعة المشروع الذي تعرض للطعن والانتقاد الشديد له ولمن بناه من قبل المناوئين للفكر القومي والتعاون مع السوفيت، مستغلين وصول أنور السادات للحكم وذلك في أيلول عام ١٩٧٠ وأتباعه سياسة مخالفة لسلفه ، الا ان حلول الجفاف وشعور الشعب المصريين بعظم فائدته ،أخذت دعاياتهم تأفل وصار بعضهم يدافع عنه.لمزيد من التفاصيل ينظر: فليب جلاب ، المصدر السابق ، ص١٩؛ Jim Simpson , Aswan High Dam impacts ; fossil ground Waters in North Africa, Updated January 14, 2007,P.2.

٢- رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص ٣٩٦.

٣- المصدر نفسه، مجلد١، ص٣٩٨-٣٩٩.

٤-جمال حمدان ، مختارات ، ص٤٨٢-٤٩٠.

مازالت تحت السيطرة[١].

والجدير بالذكر ان مسألة تزايد نسب الملوحة، لا يمكن أدراجها كلها ضمن تأثيرات السد الجانبية، بل ان عمليات البزل الصحي والزراعي والصناعي كان لها الدور الأكبر في تلويثه وتغيير طعم المياه فما نسبته ٦مليارم٣منها تفرغ في مياه النيل [٢].

وأما مسألة الطمي التي بدأت تظهر بعد بناء السد العالي، حيث حرمت الأراضي الزراعية وكثير من معامل الطابوق ، وكانت الأخيرة عمدت إلى استبداله بالطابوق الأحمر وبذلك استغنت عنه، ألا أن الزراعة تضررت من فقدانه فكان يمثل مخصب كيميائي متكامل بالعناصر المعدنية بالنسبة لها [٣].الواقع أن ما خسرته مصر من الطمي بعد بناء السد العالي، لم يكن كبيراً جداً فكل ما فقدته لايتجاوز ٥%فقط وكما يقول د.ويزلي "Wizly" رئيس جمعية المهندسين الأمريكيين ورئيس قسم الهندسة الكهربائية الذي زار مشروع السد العالي، بعدما اكتمل بنائه، والذي قيم خسارة الأراضي الزراعية منه بأنها قليلة، ومن الممكن تعويضها باستخدام (١٣٠٠) طن من سماد نترات الكالسيوم سنوياً [٤].

وفيما يخص النحت في شواطئ النيل وسواحل مصر الشمالية، فلم تكن كبيره فأكثر عملية تعرية حدثت فيها كانت مابين أسوان ونجع حمادي في محافظة قنا وتبلغ ٣سم وهذه النسبة ليست سنوية وتتطلب سنين طويلة جداً لينحرف النيل عن مجراهُ الطبيعي وفق أسوء التصورات[٥] .

وأما حالة التآكل في شواطئ البحر المتوسط، فهي ليست واضحة وان الوسائل الكفيلة لمنعها هي سهلة، وذلك باستخدام حواجز صخرية لمنع النحت في السواحل الشمالية المصرية [٦].

في حين أن مسألة ارتفاع مناسيب المياه الجوفية في الأراضي الزراعية، فهي مشكلة ناتجة

١-رئاسة الجمهورية، الزراعة والري، مجلد ١، ص ٣٩٦.

٢-منذر صالح العبدي ،التنمية و المشكلات البيئية دراسة جغرافية تطبيقية أشارة لمصر وبعض دول شمال أفريقيا ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣، ص٧٩ .

3-S .SHALASH, The Effect of The High Aswan Dam on the Hydrological Regi-me of the River Nile, Research Institute of High Dam Side Effects, Cairo , June 1980, p.248.

٤-فليب جلاب ، المصدر السابق ، ص,١٣٩

٥-جمال حمدان ، مختارات ، ص٤٤٧ .

٦-محمد عبد الرقيب ، مشروع السد العالي بين ضخامة عوائده ، وشكوك أعدائه ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٧٣ ، مطبعه الرواد ، بغداد ، حزيران – تموز ١٩٧٥ ، ص١٣٧.

عن سوء تدبير من جانب الحكومة فتحويل مناطق الري الحوضي للري الدائم دون أكمال بناء المصارف(البزول) ترك أثره على الزراعة، فارتفع منسوب المياه الجوفية نتيجة تشبع الأراضي بالمياه ومن ثم تسربها إلى باطن الأرض مما انعكس على خصوبة الأراضي الزراعية، ولو ان الحكومة المصرية أكملت مشروع "الثلاثين عاماً، كما كان مخططاً له والذي يبدأ في الخمسينات وينتهي بحلول الثمانينات ويتضمن أنشاء مصارف زراعية في عموم أنحاء البلاد ولاسيما أراضي الوجه القبلي ، لما حدث ما حدث لكن اهتمام النظام المصري بمسائل أخرى (كالأنفاق العسكري) على حساب الزراعة ومشاريعها ترك أثرُهُ السلبي عليها[١].

فضلاً عن ذلك، فقد ساهمت حالة الاستقرار في حركة النيل عند دخوله بحيرة السد العالي وتباطىء تياراته النهرية في ظهور الحشائش النيلية فيها، وكذلك في مجرى نهر النيل بعد خروجه من المشروع، فأصبحت تعيق الاستفادة من مياه النيل لأغراض الشرب والري بالإضافة إلى الملاحة النهرية ، وتحول الى صورة مشابهه لمنطقة السدود عند جنوب السودان حيث تقل سرعة الأنهار وتكثر الحشائش ، وذلك ماساعد على انتشار الحشائش الضارة بكثرة وخصوصاً في مجرى الترع والمصارف مما شكل عائقاً خطيراً أمام توسع الأراضي الزراعة لكونه يشكل سدود نباتية تقلل سرعة المياه، وبالتالي تتبخر تحت أشعة الشمس العالية فلا يصل الماء الى الأراضي البعيدة عن النهر ألا بكميات قليلة، مما يتطلب من الحكومة القيام بعملية كري ترع ورياح النيل سنوياً، وجدير بالذكر ان وزارة الأشغال العامة منذ تحويل مجرى نهر النيل قامت بمكافحتها، لكنها لم تستطع القضاء عليها بشكل تام لان طبيعة بحيرة السد العالي وكذلك مياه النيل تساعد على نموها [٢].

أما مايخص عمليتي التسرب والتبخر في بحيرته التي عدها المهندس المصري عبد العزيز احمد [٣]، من سلبياته ، وذلك في دراسة له عن المشروع تصور فيها أن بحيرته لن تمتلئ

١-ماريون كلوسون وآخرون،المصدر السابق،ص٥٣ .

2-Ibrahim.A.El-shinnawyet, et al. , Impact of Aswan High Dam on the Aquatic weed Ecosystem , ICEHM 2000, Cairo university , September 2000, P.534-.541.

٣- عبد العزيز احمد: مهندس مصري متخصص في الكهرباء عرف بموقفه المعارض لبناء السد العالي وجاءت شهرته من دراسة قدمها لأحدى الجامعات البريطانية قبل حرب السويس بفترة وجيزة ، فصارت دراسته مادة صحفية للأعلام الغربي آنذاك المعادي لمصر، ومن المؤاخذات التي حسبت عليه هو تدخله في مسائل غير متخصص بها، فهذه من اختصاصات خبراء الري وليس الكهرباء .لمزيد من التفاصيل ينظر: فليب جلاب ، المصدر السابق ،ص٦٨.

حسب الحجم المقرر لها وهو ١٥٧مليارم٣ ، نتيجة التبخر الشديد وتسرب المياه من أرضية البحيرة – فهو اعتقد بأنها ما دامت رملية فهي نفاذة للمياه – وبذلك عد بناء السد العالي عملية غير مجدية ، غير ان ذلك التصور سرعان ما دحض عندما امتلأت البحيرة حتى الحد المقرر لها (١) .

والجدير بالذكر، أن المهندس عبد العزيز تغافل آراء الخبراء العالميين والسوفيت والمصريين الذين اتفقوا اجمعهم على نجاح عملية التخزين في السد العالي، فضلاً عن ذلك ان تصوره بأن أرضية البحيرة نفاذة للمياه لم يكن صحيح فآلية الخزن المعتمدة فيها، تقوم على أساس تراكم الطمي في السعة الميتة والتي بلغت حجمها منذ المدة التي حول فيها نهر النيل حتى أواخر عام ١٩٦٤حوالي٥,٢مليارطن، علماً أن تلك النسبة كانت تزداد باستمرار(٢). ومن ذلك نستنتج ان تصور المهندس عبد العزيز كان مجانب للدقة والعلمية .

أما مشكلة التبخر، فضلت مشكلة خطرة لم تستطع الحكومة المصرية ولا السوفيتية معالجتها بحكم طبيعة أسوان المناخية فهي منطقة حارة جداً وليس من الممكن أيجاد علاجاً لذلك ولكنهم اعتبروا كمية ١٠مليارم٣ تتبخر من السد سنوياً نسبة منطقية ، لكن أذا زاد على ذلك فهو خطر يهدد فائدة المشروع، وجدير بالذكر أن التبخر طيلة مدة بنائه لم يزد على النسبة المقررة وظل تحت السيطرة(٣).

ويمكن القول، ان مشروع السد العالي كأي مشروع صناعي له ايجابياته وسلبياته غير ان ايجابياته فاقت السلبيات، وكما قيَّم البروفسور وليم . هيوز"PRO .W. Hiuoz " أستاذ الهندسة الكهربائية في جامعة أوكلاهوما الامريكية ، مشروع السد العالي "ان صحافتنا الأمريكية كانت تجنح بصفة عامة الى وصف مشروع السد العالي بأسوان بعبارات بها روح التعالي أو تقلل من شأنه ٠٠٠ان السد العالي في أسوان هو بلا شك احد العجائب الهندسية الحديثة في عصرنا" ، فضلاً عن ذلك كان ويزلي الذي زار المشروع وصفه بانه "من عجائب

١-رشدي سعيد ، المصدر السابق، ص٣٣٩ .

2-Hossam El-Sesawy, DEVELOPMENT OF DECISION SUPPORT SYSTEM FOR HIGH ASWAN DAM RESERVOIR SEDIMENTATION, Nile Research Institute, National Water Research Center, Ministry of Water Resources and Irrigation, Egypt , p.240-249.

3-Ministry of water Resources and Irrigation, Adopted Measures to face major challenges in the Egyptian water sector, September 2002, p.9-12.

الهندسة الحديثة والاهم من ذلك انه يلبي احتياجات الشعب ...ولاشك انه لا يوجد مشروع هندسي آخر غير السد العالي أعطى كثيراً لعدد وفير من الناس كانوا في اشد الحاجة إلى التشجيع والمعاونة من الشعوب المتطورة في العالم وانه من الأفضل للذين يقللون من شأن هذا المشروع الكبير أن ينظروا إليه من الناحية الصحيحة والتركيز الصحيح"[١]. وهكذا يبدو ان مشروع السد العالي أهم المشاريع الإستراتيجية التي أقدمت على تنفيذها حكومة الثورة على الرغم من حملات التسقيط التي واجهت بنائه والتي وصفها هيوز ،لكنها لم تغير الحقيقة التي ظهرت في أقوال المنصفين من رجال الجامعات الأمريكية الذين نظروا أليه نظرة موضوعية مجردة عن التحيز لحكومتهم، بخلاف" بعض المصريين الذين تأثروا بالدعاية الغربية وصاروا يطالبون بتهديمه بحجة وقاية مصر من مخاطره المستقبلية" [٢].

ثالثاً// التنمية في قطاع الزراعة

استمرت الزراعة، كقاعدة أساسية للاقتصاد المصري ، كما كانت في العصور القديمة باعتبارها العمود الفقري والرافد الأساسي له ، لما لها من ارتباط بالسكان اذ أن ٦٢%من العمالة المصرية ،هي عمالة زراعية، علاوةً على ذلك أنها تزود الدخل القومي بما نسبته٣٥%، فضلاً عن أنها تدر على الاقتصاد العملات الصعبة من خلال عملية التصدير للمحاصيل الزراعية ولاسيما محصول القطن[٣].

لقد ساهم السد العالي، بتطوير الزراعة كثيراً بفعل ما قدمه لمصر من مصدر مائي مضمون يقدر بـ(٥٥)مليار م٣ سنوياً، بعدما كانت لا تزيد عن ٤٨مليار م٣ ، فهي تعد اكثر مصادر الاقتصاد المصري تأثراً به ، فهو قد وفر الأرضية المناسبة لتحقيق التنمية الزراعية فيها ، من خلال عمليتي التوسع الأفقي والعمودي ؛ فأما التوسع الأفقي: فهو عملية استصلاح الأراضي البور والصحراوية بالاعتماد على مياه السد العالي، التي بدأت منذ عام ١٩٥٢[٤]، وكانت تديرها الهيئات الحكومية المتخصصة [٥].

١-فليب جلاب ،المصدر السابق،ص٩٨ص١٠٩ .

٢-جريدة الأهرام، العدد٣٢٢٢٦، ٥ /آذار/١٩٧٥.

٣- محمود فهمي الكاتب، المصدر السابق، ص١٨.

٤- عبد العظيم أبو العطا وآخرون،المصدر السابق،ص٦٤-٦٧.

٥-أشهر واهم هذه الهيئات هي "الهيئة العامة لاستصلاح الأراضي" ، التي أنشئت بعد ثورة تموز عام ١٩٥٢ . لمزيد من التفاصيل ينظر: رئاسة الجمهورية، الري والزراعة ، مجلد ١ ، ص١٧.

بلغت مساحة الأراضي المستصلحة (٩١٢) ألف فدان[١]، منها ٧٥٥ ألف فدان على مياه السد العالي وتقع معظمها في شمال الدلتا[٢].

ومن بين هذا الأراضي المستصلحة:

١-سهل جنوب بورسعيد وصحراء الصالحية وبمساحة تقدر بـ٤٧٥الف فدان [٣].

٢-المزرعة الآلية: وتقع شرق الطريق الصحراوي ما بين القاهرة والإسكندرية بمساحة تقدر بـ١٠ ١الاف فدان[٤].

٣-مشروع العامرية ومريوط :ويقع جنوب محافظة الإسكندرية بمساحة تقدر بـ(١٨٠) ألف فدان [٥].

وقد تميزت هذه الأراضي المستصلحة، بان نسبة كبيره منها أما رملية أو طينية، وعليه فأنها لم تكن تربة جيدة ، ولذلك تطلبت أيجاد طرق جديدة في أروائها، فلا يمكن استخدام طريقة الغمر(السيح)، لما لها من آثار سلبية فهي تضّيع الكثير من المياه العذبة إلى باطن الأرض وخصوصاً في الأرض الرملية، مما تطلب من الحكومة المصرية استعمال طرق بديلة كالري بالرش أو التنقيط[٦] ،اللتان شاع استخدامهما بعد السد العالي ، حيث دفعت عملية استصلاح الأراضي البور والصحراوية إلى التوسع خارج وادي النيل ،وبما أن طبيعة هذه الأراضي الجديدة تخالف في حالها تربة وادي النيل الخصبة والقريبة من المياه، فاستخدمت

١-رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص١٧-١٩.

٢-جمال حمدان ، مختارات، ص٤٧٨ .

٣-مصلحة الاستعلامات، الثورة في ١٢عاماً، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤، ص٧٣.

٤-سميت بذلك، نظراً لاستخدام المكائن الزراعية فيها بكثرة . لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد الوهابي الدهيري وآخرون، تجارب استصلاح الأراضي الزراعية في الوطن العربي ، مطبعة الفليح ، الكويت ، ١٩٨٤، ص٦٨ .

٥- يوجية يونان ، المصدر السابق، ص٧٧.

٦- تتألف عملية الرش من خزان مائي يضاف اليه المخصبات ، تربط به أنابيب توصل بين الخزان وبين رؤوس مثقبة تحول المياه الى رذاذاً كما في الرش ،بينما التنقيط فهي لاتختلف في شكلها عن طريقة الرش الا في شيء واحد هو أنها لاتنتهي أنابيبها برؤوس مثقبة، وإنما تكون الأنابيب مثقبة نفسها، وجدير بالذكر ان كلا الطريقتين لا تصلح مع كل المحاصيل الزراعية لانها تتسبب في حرق أوراقها او لا تسد حاجتها من المياه كما في الأرز . لمزيد من التفاصيل ينظر : رئاسة الجمهورية ، الزراعة والري ، المجلد ١ ، ص٦٣.

هاتين الطريقتين في ري الأراضي الزراعية الجديدة وتسميدها [١] .

كانت طريقة الري بالرش، أكثر استخداماً من التنقيط، التي انحصرت في مزارع الفواكه والخضر ، بينما كانت الأخرى شملت مناطق واسعة في الوجه القبلي ، بلغت حوالي ٤٩الف فدان منها ٤٤ ألف فدان أراضي زراعية رملية و٥٠٠٠فدان أراضي طينية ، بالإضافة إلى أراضي شرق الدلتا ، فأخذت صحراء الصالحية الحجم الأكبر منها بحكم طبيعة تربتها الرملية التي تستهلك كميات كبيرة من المياه فاعتمدت فيها هذه الطريقة ، ووصلت مساحة الأرض المروية بهذه الطريقة ١٨٠الف فدان[٢].

في الواقع ، أن عملية استصلاح الأراضي البور والصحراوية كلفت الدولة المصرية ما قيمته (٢٦٥)مليون جنيه المقتطعة من ضمن تكلفة السد الإجمالية المقدرة بنحو (٤٠٠) مليون جنيه، فارتفعت بفعل ذلك مساحة الأرض المزروعة [٣].

والجدير بالذكر، أن عملية التوسع الأفقي، لم تؤت ثمارها بشكل كامل فمن مجموع المساحة المستصلحة والبالغة (٩١٢)ألف فدان لم يصل إلى مرحلة الاستزراع (أي قابلة للزراعة) الا حوالي٥٤٣ ألف فدان فقط[٤]، إذ أن ما مساحته ٥٧٠الف فدان أخذت تستقطع من الأرض الزراعية المنتجة لأجل أقامة مساكن عليها أو أنشاء معامل، ولعل أكثرها أضراراً كان عملية جرف الأرض الزراعية لصناعة الطابوق الأحمر من تربتها كحل بديل لجأت أليه مصانع الطابوق، بعدما حرمها السد العالي من الطمي النيلي [٥].

ولعل ما دفع الحكومة المصرية للتركيز على التوسع الرأسي الذي يقصد منه زيادة إنتاجية الأرض الزراعية بتطوير أساليب الزراعة وتسميد الأرض، هو فشل التوسع الأفقي في زيادة الإنتاج الزراعي لمصر[٦].

١-جمهورية مصر العربية، ورقة عمل مصرية حول وسائل ترشيد استخدام مياه الري في الزراعة المصرية، وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي، د.ت، ص٥٠ .

٢- محمود فهمي الكاتب، المصدر السابق، ص٣١.

٣-اذ ارتفعت المساحة المنزرعة من٩١٨، ٥مليون فدان عام ١٩٦٠ إلى ٦,٢ مليون فدان عام ١٩٧٥. لمزيد من التفاصيل ينظر: جمال حمدان،شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان،ج٤، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص١٩١ .

٤-محاضرالاتحاد الاشتراكي، الجلسة الخامسة عشر، ١٩/شباط/١٩٦٩،نقلا عن (www.Nasser.com).

٥- لمزيد من التفصيل، ينظر:محمد السيد عبد السلام، الأمن الغذائي للوطن العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص١٣٧.

٦-جمال عبد الناصر، وثائق الوحدة العربية، ص٤٧.

وهكذا اثر السد العالي في عملية التوسع الرأسي، حيث تحولت معظم أراضي الحياض التي كانت تعتمد في ريها على مياه الفيضان النيلي، إلى الري المستديم بمساحة تصل الى ٩٧٣ ألف فدان منها ٧٠٠ ألف فدان بالوجه القبلي[١].

ان تعميم الري المستديم على أراضي مصر، ساهم في تعدد المواسم الزراعية الثلاثة[٢] ، وتفوق الموسم الصيفي على الموسم النيلي الذي كانت تتنافس عليه المحاصيل الزراعية كالقطن و الأرز والذرة فقد كانت مساحة المحاصيل النيلية عام١٩٦٠ بلغت ١,٨٩٨ مليون فدان فيما انخفضت عام ١٩٧٠ إلى ٦١٨الف فدان، بينما المحاصيل الصيفية وصلت عام ١٩٦٠ الى ٣,٥٣٣مليون فدان لترتفع عام ١٩٧٠الى ٥,٠٥٣ مليون فدان، وهذه الزيادة ، جاءت نتيجة تحول كثير من المحاصيل من الموسم النيلي إلى الصيفي، فيما لم يشهد الموسم الشتوي زيادة كبيرة في مساحته المزروعة حيث كانت حتى عام ١٩٦٠ مساحتها المحصولية ٤,٨٠٨مليون فدان، غير أنها بعد اكتمال السد العالي عام١٩٧٠ وصلت إلى ٤,٨٣٥مليون فدان[٣].

علاوة على ذلك تم استخدام الآلة في زراعة المحاصيل والخضر والفواكه، بكثافة بعد توليد الطاقة الكهربائية من السد العالي عام٦٧-١٩٦٨ ، ولاسيما الجرارات التي تمثل الآلة المؤثرة في عملية الزراعة اذ وصل عددها إلى (١,٩٧٢)ألف جرار عام ١٩٥٠م ، بينما وصلت عام ١٩٦٩الى (١٥,١٧٠)ألف جرار[٤].

ونتيجة لذلك، انخفضت تكاليف عملية الزراعة ، فمثلاً عملية زراعة فدان واحد من القطن

١-محاضرالاتحادالاشتراكي،المصدرالسابق،١٩/شباط/١٩٦٩، ص٢٥،نقلا عن(www.Nasser.com).

٢- الموسم الشتوي ويمتد من شهر تشرين الأول إلى كانون الثاني، وأما الموسم الصيفي فيمتد من شباط إلى حزيران، فيما يمتد الموسم النيلي من شهر تموز إلى أيلول. لمزيد من التفاصيل ينظر:ماريون كلوسون وآخرون، المصدر السابق،ص٥٣.

٣-محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

٤-فتحي عبد الفتاح ، الناصرية وتجربة الثورة من أعلى المسألة الزراعية ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، د.ت، ص٧٦.

بالماكنة تصل إلى (٥)جنية، بينما الزراعة اليدوية تبلغ (١٠,٥٠)جنيه فضلاً عن سرعة العمل فالآلة تستطيع أكمال عمليتا حرث وبذار الأرض في وقت لا يزيد على ١,٤٠ساعة ، بينما العمل اليدوي يستغرق (٣٢)ساعة، ومع ذلك فأن محاسن استخدام الآلة اقتصرت على مناطق محددة أهمها: منطقة إيتاي البارود في محافظة البحيرة و منطقة سخا في محافظة كفر الشيخ ومناطق مختلفة في محافظة المنوفية وسوهاج والمنيا[١]، ويعود هذا التحديد في الاستخدام إلى رغبة الحكومة المصرية في تجنب الأضرار بمصدر رزقهم ، وخصوصاً أنها تُشغل غالبية العمال في البلد وان أي عملية توسع في الماكنة الزراعية سينعكس أثره السلبي عليها ، في تسريح العديد من العمال المصريين منها، علاوة على ذلك أن عملية تفتيت الملكية الفردية التي قامت بها الحكومة المصرية للقضاء على الاقطاع ساهمت في جعلها غير عملية، فلا يتمكن الفلاحين من تحمل أعبائها المالية من حيث توفير مواد احتياطية للآلات ووقود لتشغيلها والصيانة المستمرة مما يكلف الفلاحين كثيراً من الأموال، وبالتالي صاروا لا يحبذون تملكها واقتصرت على ميسوري الحال في الريف[٢].

إما مايخص استخدام الأسمدة في مصر فقد ارتفعت الكميات المستخدمة منها بعد السد العالي، حيث خسرت التربة المصرية الطمي المحمل بالمواد العضوية والمعدنية من بوتاسيوم وازوت وفسفور ومنغنيز وزنك ونحاس،التي كانت مادة طبيعية متكاملة بالمخصبات الكيميائية والعضوية[٣]. ولذلك ازدادت كمية الأسمدة المستخدمة في الزراعة في مناطق الوجه القبلي وغيرها فبعدما كان مجموع ما يستهلك من الأسمدة النتروجينية مابين عام ١٩٦١-١٩٦٣ الى ٢٢٠ ألف طن ومن الأسمدة الفوسفاتية ٣٥الف طن [٤]، فازدادت بعد عام ١٩٧٠إلى ٣٣٠الف طن من الأسمدة النتروجينية و(٥٠) ألف طن من الفوسفاتية ، فيما ظهر استهلاك ملحوظ في استخدام الأسمدة البوتاسية التي كانت منتفية الحاجة أليها قبل السد العالي، فأغلب الأراضي المزروعة لم تكن رملية فلا تستلزم أراضيها استعمال البوتاسيوم عكس ما

١-رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص١١٠.

٢-إسماعيل صبري وآخرون، إستراتيجية التنمية في مصر:أبحاث ومناقشات المؤتمر العلمي السنوي الثاني للاقتصاديين المصريين ٢٤-٢٦مارس١٩٧٧ ،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٥٥.

3-Hossam El-Sersawy, SEDIMENT DEPOSITION MAPPING IN ASWAN HIGH DAM RESERVOIR USING GEOGRAPHIC INFO RMATION SYSTEM, Ninth International Water ,Technology Conference, Sharma El-Sheikh, Egypt, 2005,p.240-245. ؛رشدي سعيد،المصدر السابق،ص٣٥٤

٤- ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق ، ص٧٠.

حدث بعده ، فقد بلغ حجم المستخدم منه ألف طن وأربعمائة كيلو جرام عام ١٩٧٠[١].

في الحقيقة أن استخدام الأسمدة لم يكن بالسهل المتاح ، نظراً لارتفاع تكاليفها الباهظة الثمن اذ بلغت قيمتها نحو٣٦الف جنيه[٢]، فلم تكن جميع شرائح المجتمع المصري لاسيما أصحاب الدخل المحدود قادرين على توفير هذا المبلغ ، فعندها تدخلت الحكومة المصرية وقامت ببيع الأسمدة على الفلاحين بأثمان مدعومة من خلال الجمعيات التعاونية[٣]، حتى بلغت أسعارها المدعومة حكومياً ٤٠,٦١٠الف جنيه[٤].

وبما ان صغار الفلاحين، كانوا يمتازون بدخولهم المحدودة وعدم قدرتهم على دفع تكاليف الأسمدة على الرغم من تخفيض أسعارها، فضلاً عن شراء البذور واستئجار آلات الحراثة والحصاد وغيرها، كل ذلك دفع الحكومة المصرية لإنشاء ١٠٠بنك زراعي في الريف المصري يقدم السلف والقروض للفلاحين فبلغ مجموع ما قدمته المصارف الزراعية نحو ٨٠,٨٦٨ مليون جنيه عام ١٩٧٠[٥]، بعدما كانت المصارف الموجودة لا تزيد قروضها على ٦١,٥مليون جنيه حتى عام ١٩٦٣[٦].

وقد انعكست آثار التنمية الزراعية على المحاصيل الزراعية،كما حدث مع محصول الأرز حيث ارتفعت مساحته المحصولية من ٣٧٣,٦٠٩ فدان عام ١٩٥٢ الى ١,٠٩٤,٩٨٦ فدان عام١٩٧٠ [٧]، والذي شكل قفزة بين المحاصيل الزراعية فاقت التقديرات المتوقعة والتي قدّرته

١- رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص٢٢٣.

٢- محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

٣- الجمعيات التعاونية: هي مؤسسات حكومية أوجدت منذ العهد الملكي في مصر، واستمرت بعد ثورة تموز كانت مهمتها تزويد الفلاحين بالبذور والأسمدة وتسويق المحاصيل. لمزيد من التفاصيل ينظر : ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق، ص١٨١ .

٤- محمد حسين حجازي، التسميد في طرق الري الحديثة، الدار العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٦.

٥- فتحي عبد الفتاح ، الناصرية وتجربة الثورة ، ص٦٦ .

٦- جريدة الأهرام، العدد ٢٧٩٧٢، ١٢/تموز /١٩٦٣.

٧-جمال حمدان،خريطة الأرض الزراعية ،دار الشروق،القاهرة،١٩٨٤ ص٢٣.

ب٧٠٠الف فدان[١] ، و تلك الزيادة تعود الى أسباب كثيرة، لعل من أهمها:

١-انه محصول مزدوج المنفعة فهو يصلح في التجارة الخارجية كمحصول تصديري ، كما انه يعد مادة غذائية للإنسان وعلف للحيوانات باستخدام سيقانه، لذلك تعددت مواسم زراعته في مصر فصار يزرع في موسمين هما الصيفي والنيلي [٢].

٢-قدرته على تحمل الملوحة الزائدة والظروف الطبيعية الصعبة، جعلت الحكومة المصرية تشجع على زراعته في الأراضي المستصلحة الجديدة كالصحراوية منها أو البور ، كأداة لغسل التربة الملحية والقلوية، وذلك ماجعل الأرز ينافس القطن في مساحاته التقليدية في الدلتا فساهم ذلك في تخفيض مساحة القطن كثيراً[٣].

على الرغم من فوائد هذا المحصول الاقتصادية على مصر، ألا ان حاجته الملحة للمياه وبكميات كبيرة تسببت في حرمان الكثير من المحاصيل من حصتها المائية، وبالتالي تغيير الرقعة الجغرافية لزراعتها التي كانت تزرع فيها قبل بناء المشروع ، ولذلك عمدت الحكومة المصرية على منع زراعته في الوجه القبلي وبعض المناطق الجافة، فيما شجعت زراعته في الوجه البحري والدلتا لمنع وصول المياه العذبة بالمالحة، لقربها من البحر من خلال المياه الجوفية ، مما ساهم في تملح تلك الأراضي بفعل نسبة الأملاح العالية فيها التي تصل إلى (٤٠٠) جزء من المليون، فيكون الأرز كوقاية للأراضي من التملح ، ومن ابرز محافظات زراعته هي السويس وبور سعيد والقاهرة [٤].

وأما المحصول الآخر الذي تأثر كثيراً ببناء السد العالي، فهو محصول الذرة حيث تحولت عملية زراعتها من الموسم النيلي الى الموسم الصيفي في نوعيها الرفيعة والشامية ،غير أن الأولى كانت أكثر إنتاجية من الشامية[٥].

وجاء ذلك التحول نتيجة جهود وزارة الزراعة المصرية نحو تصييف الذرة ،لما في ذلك من فائدة كبيرة على مصر، فهي من المحاصيل التي تدخل كمادة أساسية في صناعة الخبز، فضلاً عن دخولها في تزويد الأغنام والمواشي وغيرها من الحيوانات، التي تدخل في غذاء

١- صلاح الشامي ، المصدر السابق ، ص١٨٢.

٢- محمود فهمي الكاتب ، المصدر السابق، ص٥٠.

٣- جمال حمدان ، خريطة الأرض الزراعية ، ص٨٢.

٤- وزارة الموارد المائية والري ، مشكلة الأرز في مصر، جهاز التوعية والإرشاد،د.م ، د.ت ، ص٥

٥-جمال حمدان،مختارات ،ص٢٠٥.

الإنسان ، بالعلف النباتي المغذي، وبما أن الوزارة كانت تعلم بان الموسم النيلي لا يصلح لزراعة الذرة وأن اغلب المحاصيل المزروعة فيه تكون قليلة الجودة، فقررت السعي نحو تعميم زراعتها في الموسم الصيفي على عموم مصر ، وهذا ما ساهم في زيادة مساحتها المحصولية إلى ١,٠١٩,٠٠٠ فدان فيما كانت مساحتها في الموسم النيلي بلغت ٣٥٠,٠٠٠ فدان بعد السد العالي (١) وكما مبين في الجدول رقم(١)

التصنيف		الذرة الشامية	الذرة الرفيعة
مرحلة ما قبل السد العالي	الموسم الصيفي	%٢,٥	%٨٨
	الموسم النيلي	%٩٧,٥	%١٢
	منطقة الصعيد	%٢٠,٢٨	١٠٠
	منطقة الدلتا	%٨٠-٧٢	صفر
مرحلة ما بعد السد العالي	الموسم الصيفي	٧٧,٩	%٩٥,٨
	الموسم النيلي	%٢٢,١	%٤,٢
	منطقة الصعيد	٤٠,٧	%١٠٠,٠
	منطقة الدلتا	٥٩,٣	صفر

جدول رقم (١) مقارنه بين الذرة الشامية و الرفيعة(٢)

وبالنظر للجدول رقم (١) يلاحظ ازدياد إنتاجية كلا النوعيين وخصوصاً الذرة الرفيعة بعد تحول أراضي مصر للري الدائم ولكن المثير للاهتمام هو انتقال زراعة الذرة للصعيد وتقلص زراعتها في الدلتا التي حل القطن محلها بحكم تناسب جوها لظروف القطن المناخية (٣).

وبعيداً عن المحاصيل الغذائية التي تدخل في طعام الإنسان ، فقد ظهر البرسيم كمحصول زراعي ذو قيمة اقتصادية فهو يزود النباتات بالأسمدة الطبيعية مجاناً، فقنطار واحد من البرسيم يساوي ٦قنطار من الأسمدة الازوتية ، فضلاً عن كونه مادة علفية مغذية للثروة الحيوانية وقد ازدادت مساحته كثيراً بعد تعميم الري الدائم في مصر من ٢,٢٠٢ مليون فدان عام١٩٥٢ إلى(٢,٧٤٨) مليون فدان عام١٩٧٠(٣).

١- احمد حمروش وآخرون،الأرض ،مجلة روزا ليوسف،العدد١٩٤٣،مطابع روزا ليوسف، القاهرة،أيلول ١٩٦٥،ص١٩.

٢-جمال حمدان،خريطة الزراعة المصرية ،ص٥٦-٥٧ .

٣-المصدر نفسه ، ص٣٠.

لقد تجلت قيمة الري الدائم في المحاصيل البستانية (الخضروات والفواكه) التي تتأثر زراعتها بمناسيب المياه كثيراً زيادةً أو نقصاناً ، وكان هذا هو السبب وراء ازدياد المساحة المحصولية لها، فبعد ان كانت لا تزيد على (٥٠٠)ألف فدان بالنسبة للخضروات و(١٦٠) ألف فدان للفواكه للمدة مابين عامي١٩٦٠-١٩٦٣، فيما ارتفعت بعد أكمال السد العالي في عام١٩٧٠ كثيراً حتى وصلت مساحة الخضروات إلى(١,٠٢٩,٠٠٠)مليون فدان ، وكذلك الأمر مع الفواكه حيث ازدادت مساحتها الى (٣٤,٠٠٠)ألف فدان، وترجع هذه الزيادة في مساحة الخضروات الى أن الفلاحين المصريين كانوا يزرعوها في كل المواسم، لكونها لا تتأثر بالفصول المناخية ولا تحتاج إلى مساحات واسعة لزراعتها[٢].

الواقع ان تلك الزيادة في بعض المحاصيل كالأرز والذرة وغيرها، تركت أثرها الكبير على بعض المحاصيل الأخرى سلبياً حيث انتزعت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة القطن والقمح والبصل وجردتها منها كما مبين في الجدول رقم (٢):

السنة	القطن	القمح	البصل
١٩٦٠	١,٨٧٣,٠٠٠	١,٤٥٦,٠٠٠	١٦٣,٠٠٠
١٩٦٥	١,٩٠٠,٦٠٠	١,١٤٤,٤٠٧	١٧٨,٠٠٠
السنوات اللاحقة[٣]	١,٦٢٧,٤٢٧	١,٣٠٤,٤٣٠	١٤١,٠٠٠

جدول رقم (٢) يوضح المساحة المزروعة لمحصول القطن والقمح والبصل[٤]

يلاحظ من الجدول أن اغلب المحاصيل شهدت بعد تحويل النيل زيادة في الإنتاج الزراعي ولكن تلك الزيادة تراجعت نتيجة المنافسة القوية للمحاصيل المليونية الإنتاج كالأرز والذرة فهذه المحاصيل أصبحت تتوسع بسرعة مستفيدة من تعدد فوائدها فهي ماده أساسية تدخل في التصدير وفي الغذاء وحتى كعلف حيواني، كما أن طبيعة الأراضي الجديدة ساهمت في انتشارها قياساً بالمحاصيل التقليدية القديمة سابقة الذكر ، فيما اختلف الأمر مع إنتاجية

١- جمال حمدان ،خريطة الأرض الزراعية،ص٦٢.

٢-المصدر نفسه،ص١٤٤ .

٣-يقصد به المدة الواقعة مابين عام ١٩٧٠-,١٩٧٥

٤-جمال حمدان،شخصيه مصر،ج٢،ص٧٢؛ جمال حمدان،خريطة الأرض الزراعية ، ص٢٣ ص١٠٨-١١٣.

المحاصيل بفعل تحول الأراضي الى الري الدائم واستخدام المخصبات الكيميائية الأمر الذي ساهم في ارتفاع الإنتاج الزراعي للمحاصيل فمثلاً كان متوسط إنتاجية الفدان الواحد من محصول القمح في المدة مابين عام ٥٦-١٩٦٢ كانت نحو٦,٧٥كغم ، فيما ارتفع في السنين اللاحقة[١]،حتى وصل الى ٩,٠١كغم ، وكذلك الحال مع محصول القطن فمتوسط إنتاجية الفدان الواحد منه في عام ٥٦-١٩٦٢بلغت٤,٦١ قنطار فيما أزادت في السنوات اللاحقة الى٦,٢٥قنطار، والشيء نفسه حصل مع محصول البصل حيث وصل متوسط إنتاجية الفدان الواحد خلال المدة ٥٦-١٩٦٢ الى ٥,٧٣ طن، بينما ارتفع في السنوات اللاحقة إلى ٨,١٥ طن [٢]. وقد نتج عن تلك التغيرات في الزراعة المصرية أن تزايد الدخل الزراعي لمصر من ٢٦٩ مليون جنيه في عام ١٩٥٢ ، إلى ٧٧٥,٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ م [٣]، كما ازدادت حصة الزراعة من الدخل القومي بفعل التوسع الرأسي الأفقي الى ١٠٠ مليون جنيه [٤].

رابعاً//تنمية الثروة الحيوانية

تأثرت الثروة الحيوانية في مصر، بزيادة الإنتاج الزراعي، مما ساهم في توفير الأعلاف الجافة كمخلفات القمح والشعير والقطن أو الخضراء كالبرسيم[٥]. ما أسهم في ازدياد الإنتاج الحيواني كثيراً ، فبعد أن كانت أعداد الماشية قبل السد العالي لا تتجاوز ١,٣٥٦ مليون رأس، ارتفعت أعدادها لتصل إلى ١,٦٣٠مليون رأس بعده ،وكذلك الأمر مع الأغنام حيث كانت عدد رؤوس الأغنام لا يزيد على ١,٢٥٤ مليون رأس ازدادت بعد السد العالي الى ١,٩٤٧ مليون رأس [٦].

١- المقصود بالسنوات اللاحقة هي المدة الواقعة مابين عام٧٠-١٩٧٦.
٢- لمزيد من التفاصيل، ينظر: سعد هجرس،السد العالي وتحديات الحاضر وشبهات الماضي ومخاوف المستقبل، مجلة المنار ،العدد٢٠، باريس،آذار-اب١٩٨٦،ص١٠٥ .
٣- فتحي عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٩٧.
٤- سعد هجرس،المصدر السابق،ص١٠٠.
٥-محمود فهمي الكاتب، المصدر السابق، ص٥٤.
٦-ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق ، ص٤١٨-٤٢٠.

وأما يخص تربية الدواجن، فأنها استفادت كثيراً من كهرباء السد العالي الرخيصة الثمن في تقليل تكاليف الإنتاج الحيواني من الطيور الداجنة ، فمثلاً أن تفقيس(١٠٠) كتكوت تحتاج

الى ١٠ اكيلو واط / ساعة التي كانت تكلفتها قبل السد العالي بلغت مابين ٣٠-٤٠ قرش بينما انخفضت تكلفتها الى خمسة قروش بعده ، وكذا الحال مع عملية تدفئة الكتاكيت بعد انتهاء التفقيس انخفضت تكلفتها من ١٠-١٢% الى ٥,٣%[١].

كما ازدادت إنتاجية الألبان بعد قيام السد العالي، من (١,١٧٠)مليون طن قبل السد العالي في عام ١٩٦١ [٢] إلى (١,٦٢٩,٣٢) طن من الحليب بعده في عام ١٩٧٠[٣]، وتلك الزيادة جاءت كانعكاس للتغيّرات التي شهدتها الحيوانات الحلوبة، فالكثير منها يستخدم في عملية الحراثة والحصاد، وبالتالي تستهلك معظم طاقتها مما يؤثر على إنتاجيتها من اللبن ، إلا أن دخول الميكنة في الزراعة ساهم في رفع إنتاجية الحيوانات اللبنية الى ٢٠ الف طن سنوياً وفق تقديرات الخبراء الزراعيين[٤].

لكن الإنتاج الحيواني، لم يرتفع كثيرا ، على الرغم من ارتفاع الإنتاج الزراعي، وذلك لأن استخدام الماكنة لم تنتشر في كل أراضي مصر الزراعية ، الى جانب اهتمام الحكومة برفع إنتاجية الأرض الزراعية من المحاصيل الأساسية كالقمح والقطن والأرز من خلال تعدد المواسم الزراعية ، وعليه فلم تخصص المراعي الكافية لأجل النهوض بالثروة الحيوانية ، ولاسيما أن مصر بلد يعاني من انفجار سكاني يجعل ذلك غير ممكناً[٥].

خامساً//الثروة السمكية

تعد مصر من الدول ذات الكثافة السكانية العالية، إذ بلغ عدد سكانها ٢٦مليون نسمة طبقاً لتعداد عام ١٩٦٠ [٦]، وقد شكل ذلك عنصر ضغطٍ على اقتصادها ،ما دفع المعنيين الى البحث عن مصادر جديدة لتوفير الغذاء ، وذلك من خلال الاهتمام بالثروة السمكية التي كانت هامشية قبل أنشاء السد العالي ولا تحتل حيزاً كبيراً من المصادر الغذائية الأساسية ، حيث

١-محمود فهمي الكاتب، المصدر السابق، ص٥٥.
٢-ماريون كلوسون وآخرون،المصدر السابق،ص١٢٨.
٣- رئاسة الجمهورية، الري والزراعة، مجلد ١، ص ٢٨٨.
٤- إسماعيل صبري وآخرون ، المصدر السابق، ص١٦٤.
٥- ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق، ص١٣١.
٦- جمال حمدان ، شخصية مصر ، ج٤، ص١٩٩.

كانت إنتاجيته منها تأتي فقط، من المصائد الخارجية كالبحر المتوسط والأحمر ومصائد داخلية كبحيرة قارون وغيرها ، وجل ما وصل اليه الإنتاج السمكي في مطلع الستينيات هو (١٢٩)

ألف طن [١]، بينما شهد الإنتاج السمكي بعد السد العالي قفزة نوعية بعد ان ظهرت مصائد جديدة لصيد الأسماك لم تكن موجودة سابقاً لعل من أهمها:

١- بحيرة السد العالي: مثلت بحيرة السد الأثر البارز للمشروع في أقصى جنوب مصر حيث تحولت إلى موطن مناسب لعيش الأسماك ،ولقد اثبت المجلس القومي للإنتاج في دراساته عن البحيرة ، أنها من أهم مصادر الثروة السمكية في مصر حيث تتوفر فيها كل ما تحتاجه الأسماك من مواد غذائية من العلائق النباتية بكميات كافية، بالإضافة إلى وجود غاز الأوكسجين المذاب بكثرة في البحيرة معظم أيام السنة ما عدا أوقات ارتفاع الحرارة في شهر تموز – أيلول حيث ينخفض مستواه في أعماق البحيرة، علاوة على توفر العناصر المعدنية فيها بوفرة ولاسيما في وقات الفيضان [٢] ، كما أن الطبيعة النهرية للنيل عند بحيرة السد العالي مختلف حيث تقل سرعته كثيراً ليفرغ كل محتواه فيها من الغرين المحمل بكل العناصر اللازمة لانتعاش الحياة النباتية في البحيرة المصدر الأساسي للغذاء السمكي، وهذه الأسباب مجتمعة وصلت بالإنتاج السمكي فيها إلى ٣٤,٥٣١ ألف طن سنوياً[٣].

٢- مزارع الأسماك:وقد ظهرت بعد أنشاء السد العالي حيث لم تكن معروفه قبله، وكانت تلك المزارع منتشرة في مناطق متعددة من مصر لاسيما مناطق زراعة الأرز، فهي أكثر الأماكن التي ازدادت فيها عمليات الاستزراع السمكي بالاعتماد على مياه النيل العذبة ، وكان أجمالي أنتاج المزارع السمكية بعد السد العالي حوالي ١٨٨ ألف طن [٤] .

٣-مصائد النيل والترع:وبلغت إنتاجيتها في عام ١٩٧٥ماقدره ٢٠ألف طن من الأسماك، بفعل مايترسب فيها من بقايا البزل الزراعي المحمل بالمواد الغذائية للأسماك[٥] ، وهكذا يظهر أن

١- ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق، ص٤٥٠.
٢- رئاسة الجمهورية، الزراعة والري، مجلد١، ص٥٨.
٣- المصدر نفسه، مجلد ١، ص٣٩٤.
٤-. ينظر:محمد منصور عبد الفتاح وآخرون ، الزراعة والغذاء في مصر ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص١٣٩.
٥- المصدر نفسه، ص١٣٩.

إنتاجية مصر من الثروة السمكية قد ارتفعت كثيراً بعد السد العالي حتى وصلت إلى ٢٣٤,٥٣١ ألف طن سنوياً ، مما وفر مصدراً غذائياً مكملاً للإنتاج الحيواني الذي لايمكن ان يسد الحاجة المحلية لمصر ، كما انه مصدراً مالياً مربحاً فدخل الفلاح من زراعة السمك في

أراضيه يفوق٤٠٠جنيه، بينما دخل الفلاح من زراعة الأرض بالمحاصيل الزراعية لايتعدى ١٥٠ جنيه[١].

ومع ذلك، فان للسد العالي آثاراً جانبية انعكست على الثروة السمكية، لاسيما في بعض المناطق المصرية، وأهمها منطقة سواحل البحر المتوسط التي كانت تعد آنذاك من أهم مصائد الأسماك البحرية، نتيجة ما يترسب على شواطئها من الطمي وما يخلفه هذا من ظهور الكائنات النباتية والحيوانية التي يتغذى عليها السمك ، حتى ذكر احد علماء البيولوجيا في الجامعة الأمريكية في بيروت ذلك الأمر بقوله "ان بناء السد العالي كان السبب الرئيسي في شحة الأسماك عند سواحل البحر المتوسط وهذا ترك اثره على لبنان حيث اتجهت لاستيراد السمك المستورد بكثرة على حساب سمك البحر المتوسط "[٢]. ويتضح من هذا مدى الأثر الكبير والمهم لانقطاع الطمي على الثروة السمكية في سواحل البحر المتوسط ، حتى ان سواحل مصر حرمت من اسماك السردين التي بلغت كمياتها ١٨الف طن سنوياً قبل بناء السد العالي التي كانت تكثر في سواحلها وهاجرت إلى شواطئ أخرى بعده، وعلى الرغم من تلك المشكلة الا ان ما قدمه السد العالي كان كبيراً ، اذ قام بنقل الثروة السمكية من خارج مصر الى داخلها[٣].

غير ان المشكلة التي واجهت مسألة الانتفاع الكامل من صيد الأسماك، هي تخلف الوسائل المستخدمة في الصيد اذ كانت تقليدية قديمة، فضلاً عن عدم توافر أماكن مناسبة لمكوث الصيادين فكانت هناك ١٥٠معسكر غير مجهز بما يحتاجه الصيادون وفق التقنية الحديثة مع عدم توفر وسائل النقل المتطورة لنقل الأسماك الطازجة ، وتلك المشكلة كانت تواجه صيادي البحيرة بشكل أساس[٤] ، لذا اتجهت الحكومة المصرية نحو أنشاء مصانع حديثة تقوم بصيد

١-محمد فريد فتحي، المصدر السابق، ص ٣٦٩ .

٢-نقلاً عن جريدة الحياة اللبنانية، العدد ٧٥٢٩، ٥ / آب /١٩٧٠.

3-J .V. Sutcliffc , OP.CIT,p.155.

4-Unpublished manuscript, The Aswan high dames, section one, tiscudder , 2003 , P1-5.

الأسماك وتعليبها ومن ثم تسوقها إلى أنحاء مصر، كما هو الحال مع شركة "مصر- أسوان لصيد وتصنيع الأسماك"[١].

ويمكن القول أن السد العالي على الرغم من سلبياته، فان الايجابيات التي قدمها لمصر كانت كبيرة ولم تقتصر على زيادة إيراداتها المائية والزراعية، فضلاً عن تأثيراته على الثروة الحيوانية والسمكية فقط ، وإنما تعدت ذلك الى تأثيراته على الصناعة وما أحدثه فيها من تطورات فعلية .

١- شركة مصر أسوان لصيد وتصنيع الأسماك : هي من الشركات التي أنشئت بعد السد العالي، بطاقة إنتاجية تصل الى ٢٠٠٨ طن / سنة سمك و ٤٤,٢٠٦ بلاطة ثلج (نوع من السمك) و ٧٦ طن مسحوق سمك وبجهد بشري يبلغ ٣٠٨ عامل. لمزيد من التفاصيل ينظر : محافظة أسوان ، تقرير عن التوصيف البيئي لمحافظة أسوان ، مكتب شؤون البيئة ، أسوان ، سبتمبر ٢٠٠٣ ، ص٣٢.

المبحث الثاني: كهرباء السد العالي وأثرها في تطور الصناعة في مصر.

مثلت الصناعة، أحدى التحولات الاقتصادية المهمة التي شهدتها مصر، بعد ثورة تموز عام ١٩٥٢، حيث انتهت مرحلة الاقتصاد الزراعي الذي حاولت بريطانيا بكل جهودها المحافظة عليه لتحويل مصر الى مستعمرة زراعية ، تورد أليها منتجاتها الصناعية وتستورد منها القطن [١].

لقد شهد الواقع الاقتصادي، لاسيما الصناعي،تطوراً ملحوظاً بعد سحب الدول الغربية قروضها لبناء السد العالي وما تلاها، من اندلاع حرب السويس، فاندفعت الحكومة المصرية لتحريره من التبعية الأجنبية وذلك بتمصير٦٥ شركة بريطانية وفرنسية، بالإضافة إلى ٣٧ بنك فرنسي وبريطاني، وصل رأسمالهاإلى١٣٥مليون جنيه، سرعان مأوكلت أدارتها إلى المؤسسة الاقتصادية [٢].

أرادت الحكومة المصرية، تفعيل عملية التصنيع قبل المباشرة ببناء السد العالي ، اذ انه يستنفذ كل الإمكانيات المالية للدولة عند بنائه، وبذلك تصبح الحكومة عاجزة عن أقامة المشاريع الاقتصادية وهذا ما قلل من فوائده الاقتصادية، فلا يمكن الاستفادة من حجم الطاقة الكهربائية التي سيولدها أذا لم تكن هناك مشاريع صناعية تتلائم مع ضخامتها [٣]، وهذا ما دفع الحكومة المصرية للمسارعة في تأسيس "وزارة الصناعة" في عام ١٩٥٦، التي قدمت خطتها الوزارية لإنعاش الصناعة المصرية فيما، عرف ب"البرنامج الصناعي الأول "في عام ١٩٥٨ ، والذي تضمن زيادة الاستثمارات الصناعية في غضون ثلاث سنين فقط [٤]، إلى٥٠٢

١-اخترنا لك، خطب جمال عبد الناصر، ج٢، مطابع مجلس الخدمات، القاهرة، د.ت،ص٢٥٦.

٢-المؤسسة الاقتصادية : هي مؤسسة حكومية أنشأت في عام ١٩٥٦لادارة الشركات والبنوك الممصرة، برئاسة حسن إبراهيم(احد الضباط الأحرار)، ومن ثم توسعت اختصاصاتها الى أدارة الاستثمارات الحكومية في المصارف وشركات الثروة المعدنية والغزل والنسيج وغيرها ، مما اوجد تضارب بين وزارة الصناعة والمؤسسة انتهى بضمها إليها . لمزيد من التفاصيل ينظر:محمود عبد الفضيل، المصدر السابق ، ص٨٧؛ احمد حمروش،البحث عن الاشتراكية ، ج٤، دار الموقف العربي،القاهرة،١٩٨٣،ص٦٩-٧١ .

٣- د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، السفارة الملكية العراقية في القاهرة،رقم الملفة ٢٦٨١ / ٣١١، ١٠ / ٣ / ١٩٥٨، رقم الوثيقة ٥٧، ص١٤٤.

٤- مصلحة الاستعلامات، المصدر السابق، ص٥٩-٦٠.

٣٣٠ مشروع بتكلفة تصل إلى مليون جنيه، ولكن ما تحقق منها لم يزد على ١٠٥مشروع فقط نظراً لقلة الخبرة الصناعية [١].

وامتازت هذه المرحلة الممتدة مابين عام (١٩٥٦-١٩٦٠)، بسيادة القطاع الخاص على النشاط الصناعي ، وقد أدى دوراً كبيراً في تحريك رأس المال بشكل فوضوي غير مدروس بحثاً عن الربح الكثير و السريع ، حتى انه تمكن من زيادة أرباحه بشكل كبير وصل إلى نحو ٩٤,٧ مليون جنيه، بعد ان كانت لاتزيد على ٣٤،٥مليون جنيه قبل حرب السويس وتركز هذا الربح في صناعات محددة وهي:الصناعات النسيجية وكانت حصتها ١٤%والصناعات الغذائية، وبلغت حصتها مايزيد على ٣٧% وأعمال العقارات ٣٠ % وتلك الأعمال كان يفضلها مستثمري القطاع الخاص نظراً لأرباحها الكثيرة ضمن مدة قصيرة[٢].

وعلى الرغم من مساعي الحكومة المصرية، نحو جذب تجار القطاع الخاص نحو الاستثمار في مشروع بناء السد العالي –المشروع الإستراتيجي للحكومة المصرية– بشكل اختياري، دون أجبار، بحكم ان القطاع الخاص يملك الأموال الطائلة التي تمكنه من الخوض في مثل هكذا مشاريع تصب في خدمة المصلحة العامة للشعب المصري في حال مساهمته في بنائه أو شراء السندات الداخلية التي طرحتها من البنوك المصرية[٣]، التي بلغت قيمتها ٩٠ مليون جنيه لسد احتياجات السد العالي المالية ، مما يخفف من أعباء المشروع المالية على الحكومة المصرية

١–محمد خميس الزوكة، التخطيط الإقليمي وأبعاده الجغرافية، ط٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص٣٧٣.

٢–ايغور بيليايف وافغيني بريماكوف ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

٣–الجدير بالذكر ان الحكومة المصرية قد وضعت يدها على حركة الأموال في البنوك منذ عام ١٩٥٥ضمن مساعيها لتوفير الأموال اللازمة لتغطية نفقات بناء السد العالي، عدا تلك التي تعهد البنك الدولي والدول الغربية بتمويلها ، وذلك ماجعل البنوك المصرية لاتستطيع التحرك بسهولة في تعاملاتها الخارجية،نظراً لارتباطها بسياسة الحكومة المصرية، مما ساهم في عدم قدرته على تجنب العجز الاقتصادي الذي وقعت فيه الحكومة في النصف الثاني من الستينيات. لمزيد من التفاصيل ينظر:د.ك.و،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة،رقم الملفة ٣١١/٢٦٧٧، ٣٠ /اذار/١٩٥٥،رقم الوثيقة٣٤،ص٧٥ ؛ علي احمد البلبل وآخرون، التطور والهيكل المالي والنمو الاقتصادي:حالة مصر ١٩٧٤-٢٠٠٢، معهد السياسات الاقتصادية،أبو ظبي،٢٠٠٤،ص٩.

عاتق الحكومة [١]، غير أن كل تلك المساعي فشلت وأصر الرأسماليون المصريون على رفض المساهمة في مشاريع الحكومة وعدم تقديم أيَّ عوناً لها[٢]، ولعل هذا السبب كان وراء قرار الحكومة المصرية ،تأميم الاقتصاد المصري، ومن ضمنها الصناعة في تموز عام ١٩٦١بماعرف ب"قوانين تموز" [٣]، ليشهد بعدها السد العالي دخول الشركات المختلطة (التي تتوزع ملكيتها بين الحكومة والقطاع الخاص)في بناء السد ومحطته الكهربائية بعد ان كان مستثمريه يمتنعون عن ذلك[٤] .

وبفعل قرار الحكومة، بتأميم الصناعة المصرية، أخذت الأخيرة بالتطور وبدأت آثار ذلك التطور تظهر، على الإنتاج الصناعي اذ بلغت قيمة الانتاج الصناعي حتى عام١٩٦٣، حوالي ٩٥٢,٦ مليون جنيه بعد ان كان لايزيد على ٣١٣,٨ مليون جنيه في عام ١٩٥٢ وشمل هذا التوسع جميع الصناعات التعدينية والكهربائية والاستهلاكية وغيرها [٥] ، فضلاً عن مشاركة بعض الشركات في مصر، في تلبية حاجاته من تلك المادة، كما هو الحال في شركات الاسمنت التي غطت حاجاته من الاسمنت بما يزيد على٥٠٠ ألف طن لاسيما في مرحلته الأولى [٦] .

١-الأمم المتحدة،التطورات الاقتصادية في الشرق الأوسط ١٩٥٨-١٩٥٩،نيويورك ،١٩٥٩،ص,٥٧

٢-سعد الدين إبراهيم وآخرون ، المصدر السابق ، ٣١٦ .

٣-قوانين تموز:هي مجموعة من القوانين التي أصدرتها الحكومة المصرية في تموز عام ١٩٦١تحولت بموجبها مصر إلى الاشتراكية، وأصبح القطاع العام مسئولاً عن تنفيذ ٩٠%من الاستثمارات الصناعية وغير الصناعية ؛ وهذه القوانين هي :القانون رقم١١٧الذي يتضمن تأميم١٤٩شركة تشمل جميع المصارف وشركات التأمين ،والقانون١١٨ الذي يعطي القطاع العام حق الشراكة في ١٩شركة بنسبة٥٠%من رأسمال،والقانون ١١٩الخاص بتحديد الملكية للأفراد الطبيعيين والمعنويين في ١٥٩شركة ، وبما لايتجاوز قيمته السوقية عن ١٠الاف جنيه من الأسهم والباقي من الأسهم يعود للدولة . لمزيد من التفاصيل ينظر:هزاع داوود سلمان، السياسة المالية ودورها في الإصلاح الاقتصادي مصر حالة دراسية،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد،٢٠٠٩، ص,١٢٢

٤-كما حصل مع شركتي المقاولين العرب وشركة مصر لأعمال الاسمنت . لمزيد من التفاصيل ينظر: توم ليتل، إخضاع النيل،ص١٢٣؛ أيغور بيليابيف وافغيني بريماكوف، المصدر السابق، ص١٠٣ .

٥-مصلحة الاستعلامات، المصدر السابق، ص٦١.

٦-موسى عرفة ، المصدر السابق ، ص١٦٠.

وينطبق نفس هذا الحال على شركات الحديد والصلب في أسوان وحلوان، اذ وفرت للسد كل ما يلزمه من قضبان وألواح حديدية،فقد تطلبت عملية كهربة السد ومد الشبكات الكهربائية اليه ما يعادل ٧٢ ألف طن ،كما استلزم بناء جسم السد العالي٨٥٠٠طن من الحديد، وهذا الأمر كان سبباً رئيسياً دفع الحكومة المصرية نحو الاهتمام بصناعة الحديد والصلب وإعطائها الأولوية في عملية التصنيع[١].

غير أن كثير من المصانع، كانت تعاني من أزمة قلة الكهرباء وعدم قدرتها على تلبية حاجة الصناعة اليها حتى أوشكت على التوقف عن العمل عام١٩٦٣، نتيجة لقلة الكهرباء لولا تدخل الحكومة المصرية وتزويدها اياها بمولدات كهربائية تعمل بالنفط ، مما عقد عمل المصانع ورفع تكاليف الإنتاج فصارت عملية التصنيع غير مجدية، أذا لم يتم معالجة مشكلة الكهرباء فأصبح مصير الصناعة متوقف على توليد الطاقة الكهرومائية الرخيصة من السد العالي[٢].

ومنذ شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٧، وصل أول تيار كهربائي من محطة السد الى محافظة أسوان ، ومن ثم إلى بقية أنحاء الجمهورية بطاقة إنتاجية تراوحت بين ٤,٣ مليار كيلوواط / ساعة سنوياً عام ١٩٦٨ إلى ٦,٥ مليار في السنين اللاحقة[٣]،وذلك التفاوت مرجعه إلى تأثر الطاقة الكهرومائية بمناسيب المياه داخل البحيرة [٤] .

ما انعكس على حجم الوقود المستعمل في المحطات الحرارية المخصص لتوليد الطاقة الكهربائية ،حيث انخفض مستوى استهلاكه بما يعادل ٧,٤ مليون طن، فأسهم ذلك في زيادة دخل الدولة من قطاع الكهرباء بعد عام ١٩٦٧الى ما يقارب(١١١) مليون جنيه[٥].

١-جريدة الأهرام ، العدد ٢٨١٥٣ ، ٩ /كانون الثاني / ١٩٦٤ .

٢-جريدة الأهرام ، العدد،٢٧٩٨٣، ٢٣/أيلول /١٩٦٣ .

٣- يقصد به عام ١٩٧٥ (السنة التي امتلأت فيها البحيرة).

٤-محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق، ص٥٠ .

٥-اتجهت الحكومة المصرية منذ بناء السد العالي ونجاح هذه التجربة، إلى التخلي عن بناء المحطات الحرارية واستبدالها بالمحطات الكهرومائية، لقلة تكاليفها من جهة وزيادة الإنتاج النفطي بعد توليد الطاقة الكهربائية، كل ذلك أسهم في زيادة إنتاجية البلاد منه، ما وفر للدولة استخدامه في التصدير وللنقل . لمزيد من التفاصيل ينظر: حسام جاد الرب ، جغرافية افريقيا وحوض النيل ، ص ٢٠٢- ٢٠٧ ؛ فليب جلاب ، المصدر السابق ، ص١١١ ؛ محمد فريد فتحي،المصدر السابق،ص٤٦٠.

وسرعان ما تأثرت الصناعة المصرية بهذا التغير الجديد، فأخذت تتوسع وتتطور اثر الزيادة الكبيرة في الإنتاج الكهربائي حتى وصلت قيمة المشاريع المستثمرة في قطاع الصناعة الى ٥٠٧,٣ مليون جنيه عام١٩٧٠، بينما كانت لا تزيد على ١٠٥ مليون جنيه عام ١٩٥٩ وتركزت معظم هذه المشاريع الجديدة في الصناعات الثقيلة[١]، والكيميائية وصناعة الآلات والمكائن الزراعية كالجرارات والمضخات المائية وغيرها، فضلاً عن الصناعات المعدنية التي ازدادت وتوسعت إنتاجيتها ، كما هو الحال مع مصنع "كيما" لصناعة الأسمدة في أسوان الذي كان ينتج بين عامي ١٩٦٢-١٩٦٣ ما قيمته٨,١٢ مليون جنيه ازداد الى٣٧,٦١ مليون جنيه بعد عام ١٩٦٧ [٢] .

كما شهدت الصناعات الاستهلاكية، تطوراً وفي مقدمتها الصناعات الغذائية فقد احتلت صناعة السكر من نبات قصب السكر الدرجة الأولى اذ أنشئت الحكومة المصرية أربع مصانع لقصب السكر في محافظات الوجه القبلي ومحافظة أسوان من جهة ووسعت خطوط الإنتاج في مصانع قصب السكر القديمة كمصنع السكر في مدينتي ادفو وكوم امبو في محافظة أسوان[٣]، مستفيدة من توفر الطاقة الكهربائية التي ساهمت في زيادة إنتاجيته إلى ٨١٠ ألف طن، بعدما كانت لاتزيد على ٤٥٠ ألف طن في الخمسينيات [٤] .

ومن بين المصانع التي ظهرت بعد توليد الكهرباء من السد العالي:

١- شركة النصر لتعبئة الزجاجات (الكوكولا) التي وصلت إنتاجيتها٢٠٠,٠٠٠ م٢ / سنة في مدينة أسوان .

٢- شركة النصر للتعدين، والمخصصة لإنتاج الفوسفات المركز والعالي الجودة وبطاقة إنتاجية

١-الصناعات الثقيلة :هي الصناعات ، التي تتميز بأن أنتاجها يخصص لغرض الاستثمار وليس للاستهلاك، و لذلك تسمى أيضا بالصناعات الاستثمارية، وتشمل الصناعات التعدينية والصناعات المعدنية ماعدا(النفط) والماكينات الكهربائية وغير الكهربائية وآلالات غير الكهربائية ووسائل النقل.لمزيد من التفاصيل ينظر:إسماعيل صبري وآخرون ،المصدر السابق ، ص٢٠٠-٢٠٧ .

٢-فيليب جلاب ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

٣-محمد خميس الزركة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥-٣٧٦.

٤-رئاسة الجمهورية ، الزراعة والري ، مجلة ١ ، ص ٣٨٧ .

تصل إلى (٧٠٠٠٠٠) ألف طن في مدينة ادفو .

٣- شركة مصر لصيد وتصنيع الأسماك التي تقوم بصيد وتعليب الأسماك [١] .

٤- مجمع تكرير النفط بالعامرية .

٥- أنشاء وحدة تقطير جديدة بشركة الإسكندرية للنفط [٢] .

والملفت للنظر أن الصناعات المعدنية أخذت بالتوسع مستفيدةً من رخص الطاقة الكهربائية ،لاسيما أن اغلب هذه المصانع أقيمت قرب محطات الكهرباء كما هو الحال مع شركة نصر ومجمع التكرير في العامرية وحتى المناطق البعيدة عن خطوط الكهرباء استفادت من الربط الكهربائي الذي قامت به الحكومة المصرية لجميع أنحاء الجمهورية، كما حصل في مجمع حديد البحرية الذي يقوم باستخراج الحديد الخام معتمدا على خط كهرباء السد العالي المار بمنطقة سمالوط في الوجه القبلي التي أقيمت عندها محطة رفع للخط الكهربائي (٥٠٠) كيلو واط / ساعة الذاهب من السد العالي إلى القاهرة ، وكذا الحال مع مشروع أبو طرطور في الوادي الجديد لاستخراج الفوسفات بطاقة إنتاجية تقدر ب (١٠)مليون طن بالاعتماد على خط عالي الضغط من السد العالي عند مدينة نجع حمادي [٣] .

وكان من ثمار السد العالي ازدياد الاهتمام الحكومي بالصناعات الثقيلة، نظراً لضخامة عوائدها على الاقتصاد المصري التي قدرت ب (٢٠٢) مليون جنيه فضلا عن قدرتها على تشغيل مالا يقل عن ٤٥,٨٠٠ ألف عامل ،كما أنها تزود الدخل القومي بما قيمته ١٣٨ مليون جنيه وذلك ماجعل الحكومة المصرية تسعى الى تنشيط تلك الصناعات [٤]. الا أنها كانت تتطلب كميات كبيرة من الكهرباء لم تكن مصر تمتلكها قبل بناء السد العالي التي كانت إنتاجيتها من الكهرباء لا تتعدى المليار كيلو واط / ساعة في السنة عام ١٩٥٢ ،فهي لم تكن تسد احتياجات الصناعات التقليدية من الكهرباء ، فلذلك تأخر الاهتمام الحكومي بها حتى اكتمال توليد الطاقة

١-محافظة أسوان،المصدر السابق، ص٣٠-٣٣,.

٢-محمد خميس الزوكة ،المصدر السابق، ص٣٧٧-٣٧٨,.

٣-جمال حمدان،المصدر السابق، ص٣٧٩،٣٨٣.

٤-عادل الحسيني، الصناعات الثقيلة توفر ٢٠٢ مليون جنيه من العملات الأجنبية ،مجلة روزاليوسف، العدد ١٩٢٧، مطابع روزاليوسف،القاهرة، ايار١٩٦٥ ، ص٥ -١٠ .

الكهربائية من السد العالي[١] .

وقد كانت الصناعات الزراعية من بين الصناعات الثقيلة التي تأثرت بتوفر الكهرباء ،اذ تزايد الاهتمام بها بعد توفر المياه العذبة في وادي النيل وانعكاسه على أبناء الريف، حيث قامت الحكومة المصرية بتوزيع الأراضي الزراعية عليهم، والذي خلف أثره الايجابي على الدخل الزراعي لهم لاسيما أغنياء الريف (ممن تزيد ملكيتهم عن ٢٠ فدان)، مما مكنهم من شراء المكائن والآلات الزراعية[٢].

وقد وصل حجم الإنتاج الصناعي من المكائن والجرارات الزراعية من (٥٠٠٠) ماكنة زراعيةعام١٩٥٢إلى١٣ألف ماكنة زراعية في عام ١٩٧٥ [٣] ، كما ارتفع عدد المضخات المائية المصنعة من ٢٠٠ مضخةعام١٩٥٢ إلى ١٢٤٧مضخة بعد عام ١٩٦٧[٤].

وتعد الصناعات التعدينية أكثر الصناعات الثقيلة استفادة من كهرباء السد العالي وذلك لحاجتها الضخمة منها ، فقد وجدت الحكومة المصرية ان استخدام كهرباء السد العالي سيوفر عليهم أموالاً كبيرة في كلفة الإنتاج أذا استخدمت في تشغيل أفران المصانع بدلاً من الفحم الحجري ماتصل قيمته إلى نصف مليون جنيه، وهذا يعد ربحاً كبيراً لمصر التي كانت تفتقد الى الإمكانيات المالية اذ شغلت أكثر أموالها في المشاريع الكبرى كالسد العالي، وهذا مادفعها للاستعاضة عن الفحم الحجري المستخدم في تشغيل أفران مجمع الحديد والصلب في مدينة حلوان بمحافظة القاهرة بالكهرباء[٥]، ولا يشمل هذا كل أفران المجمع بل يقتصر على الفرنين الجديدين منه اللذان كانا عاليا الإنتاجية وبأحدث تقنية ، بينما الأفران القديمة لا يتوفر فيها ذلك

١-جمال عبد الناصر،على طريق الاشتراكية، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤،ص٣٨ .

٢-محمود عبد الفضيل،المصدر السابق، ص,٧٦

٣-إسماعيل صبري وآخرون، المصدر السابق ، ص١٥٩ .

٤-جمال حمدان ،شخصية مصر،ج٣، ص٨٧١.

٥-عادل حسين ،المصدر السابق،ص٥٤.

مما حرمهما من استخدام الكهرباء [١] .

لذلك اتفق المصريين مع حلفائهم السوفيت، على تركيب الوحدتين بحكم خبرتهم الواسعة في هذا المجال، وبتكلفة تصل إلى نحو ٢٠٧ مليون جنيه، منها ٧١,٧مليون جنية كقرض سوفيتي للحكومة المصرية ، فأصبحت رمزاً للتقنية السوفيتية حيث استخدم فيها احدث أنواع التقنية المتوفرة آنذاك إذ زود الفرنان بعقل الكتروني يشغلهما دون الحاجة لمشغلين يدويين ووصلت طاقته الإنتاجية إلى ٢،٥مليون طن سنويا[٢] .

ان تلك التطورات التي طرأت على صناعة الحديد والصلب رفعت من حجم الإنتاج الصناعي منه بشكل كبير حيث بلغ حجم الزيادة بفعل السد العالي من ٢٤٥الف طن إلى ١,١مليون طن بعد بناء السد العالي [٣] وهكذا يظهر حجم التغيرات الكبيرة التي تركها المشروع على صناعة الحديد ضمن مدة وجيزة لاتتعدى العشر سنين.

ومثل مصنع الألمنيوم في نجع حمادي في محافظة قنا[٤] ، نقله نوعية في تاريخ الصناعة

١-محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ،ص٥٦ .

٢- أرسل السوفيت أفضل خبرائهم في هذا المجال وهو المهندس سيتسكو" Setsco " ، الذي كان رئيساً لمؤسسة أنشاء الصناعات في وزارة "الصناعة الثقيلة في الاتحاد السوفيتي" و حاصل على وسام "بطل العمل الاشتراكي" وعضو أكاديمية "الإنشاء "في الاتحاد السوفيتي، وقد كان هناك وجه شبه كبير بينه وبين السد العالي من حيث إرسال السوفيت لأفضل خبرائهم، فضلاً عن قيام السوفيت بتنصيبهما لذلك كان المصريين يطلقون عليه سد حلوان العالي. لمزيد من التفاصيل ينظر: عادل حسين ، المصدر السابق ،ص٥١ .

٣- محمد فريد فتحي ،المصدر السابق،ص٤٥٦.

٤-كان اختيار منطقة نجع حمادي عائد لدواعي أمنية إستراتيجية حيث فضلت على مدينة أسوان ،على الرغم من قربها من مصدر الكهرباء وعلى منطقة الإسكندرية والسويس الواقعتين على البحر ؛لان أسوان كانت بعيدة عن مناطق الاستيراد ، وبما ان المصنع يحتاج الى كميات كبيرة من اليورانيوم الخام في عملية الإنتاج فلذلك تخلى الخبراء المصريين والسوفيت عنها ، وأما السويس التي كانت تتميز بقربها من مناطق التصدير والاستيراد بحكم وقوعها على البحر الأحمر، لكنها كثيراً ما تعرضت لضربات جوية وعمليات برية عسكرية من قبل الإسرائيليين ، تسببت في توقف مصانعها فقرروا عدم بناء المصنع فيها وبالنسبة الى الاسكندرية التي كانت بعيدة عن الخطر الإسرائيلي ، وتعد من ابرز خطوط الملاحة العالمية، لكن بنائه فيها سيتسبب في أرباك عمل موانئها من جهة، كما انه يؤثر على الأراضي الزراعية التي يمكن تتعرض محاصيلها للتلوث الكيميائي منه ، بخلاف الوضع في نجع حمادي ، حيث خصص له منطقة صحراوية بعيدة عن الأراضي الزراعية وقريب من خط التصدير والاستيراد في ميناء سفاجة على البحر الأحمر. لمزيد من التفاصيل ينظر:محمد فريد فتحي،المصدر السابق،ص٤٣٣-٤٣٤.

المصرية حيث بدأت ولأول مرة تشهد البلاد ظهور مثل تلك الصناعة التي لا تنشا ألا في الدول الكبرى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وفرنسا وغيرها، التي تمتلك طاقات كهربائية ضخمة حيث أخذت مصر ببنائه في مطلع السبعينيات بعد توقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفييتي بقيمة ٢٦,١مليون جنيه في عام ١٩٦٤ ، وقد تأخر العمل به بسبب المعارضة الداخلية (في مصر) التي لاقاها المشروع حول جدواه الفنية والاقتصادية، وبلغت إنتاجيته من الألمنيوم حوالي (١٦٦) ألف طن بطاقة كهربائية تصل الى (٢٥٠٠) مليون كيلو واط / ساعة (أي ثلث كهرباء السد العالي) [١] .

وأما مايخص التركيب الحجمي للمنشات الصناعية وقدرتها على استيعاب العمالة المصرية فقد ارتفعت كثيراً فبعدما كانت المصانع الصغيرة الحجم في مصر التي يتراوح حجمها مابين (١٠-٤٩)عامل لايزيد عددها على (٢٧٣٤) مصنع ارتفعت إلى٤١٣٠ مصنع بعد عام١٩٦٧بينما المنشات الكبيرة التي يصل عدد عمالها الى ٥٠٠ عامل فأكثر ٧٨ مصنع عام ١٩٥٢ ارتفعت بعد عام ١٩٦٧ إلى ٢٠٢ مصنع كبير الحجم ،وتلك الزيادة في عدد المصانع الكبيرة تعود الى التوجه الحكومي نحو الإكثار منها لمعالجة مشكلة البطالة [٢] ، والى جانب ذلك ازداد عدد المصانع صغيرة الحجم بفعل وصول التيار الكهربائي إلى أنحاء مصر لاسيما الريف ، ماساهم في ظهور مزيد من الصناعات الصغيرة كورش تصليح التلفزيونات والثلاجات والآلات الكهربائية وورش الخياطة وغيرها [٣] ،علاوةً على ذلك أن الحكومة كانت تشجع قيام هذا النوع من الصناعات لما لها من فائدة في تخفيض معدلات البطالة في البلد[٤].

وفي ضوء ذلك، ارتفعت الصادرات الصناعية المصرية من ١٤٨,٨ مليون جنيه عام ١٩٥٢ الى ٣٥٥,٤ مليون جنيه في عام ١٩٧٠ ، ما يؤكد أن الصناعة بدأت تؤتي ثمارها على مصر

١-عادل حسين، المصدر السابق، ص٥٧ص ٧٥ .

٢- لم يكتمل العمل به ألا في عام ١٩٧٥. لمزيد من التفاصيل ينظر:محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

٣-عبد الفتاح عبد النبي، مستقبل القرية المصرية فعاليات بناء الاتصال في القرية المصرية الواقع والتصور المستقبلي، المركز الثقافي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٨٦.

٤-مصطفى السعيد،الاقتصاد المصري وتحديات الأوضاع الراهنة :مظاهر الضعف ،الأسباب ،العلاج،دار الشروق ،القاهرة،٢٠٠٢،ص٧٥.

فيما استمرت الواردات بالارتفاع حتى وصلت في عام ١٩٧٠ الى ماقيمته ٥١٧,٨ مليون جنيه ، فيما كانت عام ١٩٥٢ حوالي ٢١٣,٩ مليون جنيه [١] ، وتلك الزيادة فيها ،جاءت نتيجة الأضرار الكبيرة التي تعرضت لها بعض مصانع مصر لاسيما مصانع محافظة السويس في حزيران عام١٩٦٧[٢]، على الرغم من أصلاحها فيما بعد ولكنها تركت آثارها السلبية على الصناعة [٣] ، فضلاً عن دخول الصناعة معترك التصنيع العسكري حيث أخذت بمد الدولة بما تحتاجه من مكائن وآلات وسلع وبضائع عدا أعباء تسليح الجيش المصري [٤].

غير ان تلك العقبات التي واجهتها، لم توقف حركة التصنيع المدنية او تعطلها بل استمرت وذلك كله يعود الى سياسة الحكومة المصرية، التي كانت تتجنب إيقاف حركة التصنيع المدنية لما في ذلك من أضرار مستقبلية عليها، فضلاً عن تطور الخبرة الصناعية لدى المصريين فصارت مصدرًا اقتصاديًا مهما يرفد الدخل القومي للبلد بعوائد مالية ضخمة، فمثلا عام ١٩٥٢كان الدخل القومي منها لايتجاوز ٢٥٦,٣ مليون جنيه تضاعف كثيراً في السنوات اللاحقة الى مليار جنيه [٥].

وفي الحقيقة ان السد العالي لم يقتصر تأثيره على الصناعة المصرية بل تعدى ذلك ليشمل بقية القطاعات الأخرى من النقل النهري وقطاع السياحة والتجارة الخارجية والداخلية.

١-رئاسة الجمهورية، الإنتاج والشؤون الاقتصادية،مجلد ١٨،ص١٣ .

٢-سببت الغارات الجوية لسلاح الطيران الإسرائيلي في تدمير اغلب مصانع السويس لاسيما معامل تكرير النفط كما دمر القصف البنى التحتية الخدمية فيها ولقد بلغت إحصائية القتلى في تلك الغارات ٣٧قتيل و١٣٤ جريح مصري اغلبهم من الكوادر الفنية العاملة في مصانع السويس وجدير بالذكر أن حجم الخسائر التي تكبدتها محافظة السويس وصل الى٢٠٠مليون جنيه آنذاك. لمزيد من التفاصيل ينظر:حسين العشى،خفايا حصار السويس،دار الحرية،القاهرة،١٩٩٠،ص٢٧-٣٧.

٣- يوسف أبو الحجاج، كتابات مصرية، دار الفكر الجديد، ١٩٧٥، ص٩٧.

٤- إذ بلغت ميزانية التسليح نحو ١٠٠مليون جنيه ذلك فقط لعامي ٦٩-١٩٧٠. لمزيد من التفاصيل ينظر: محاضر الاتحاد الاشتراكي، الجلسة الحادية عشر، ٢١/ نيسان/١٩٧٠،نقلا عن(www.Nasser.com).

٥- المقصود بالسنوات اللاحقة،ايّ المدة الواقعة مابين عام ١٩٧٠-١٩٧٥. لمزيد من التفاصيل ينظر: جمال حمدان ، مختارات ،ص٢٢٢ .

المبحث الثالث:أثره في تحسن الملاحة النهرية وتطور السياحة والتجارة في مصر

أولاً:الملاحة النهرية

ساهم السد العالي في زيادة الموارد المائية لمصر من نهر النيل ، وهذا الوضع انعكس مباشرة على قطاع الملاحة النهرية التي كانت تعاني من تدهور مستمر قبل بنائه حسب تذبذب مناسيب النيل ارتفاعاً وانخفاضاً فلا تستطيع السفن وخصوصاً الكبيرة الحجم الإبحار فيه عندما تنخفض كثيراً ، كما حصل في عام ١٩١٣عندما وصلت مناسيب النيل إلى ٤٥ مليار م٣ [١]. وذلك الوضع قد تغير بفعل الخزين المائي الذي يحتفظ به في بحيرته ما يؤمن لها الوقاية من التذبذب في مناسيب النيل وسد النقص الحاصل في مخزونها، وهذا ماسمح ولأول مرة باستمرار الملاحة النهرية طوال السنة دون انقطاع حتى في وقت السدة الشتوية [٢]، التي قامت الحكومة المصرية بتقليل مدتها من ٤٥ يوم إلى٢٠ يوم فقط وزيادة حجم الكميات المطلوقة من السد العالي في النهر إلى"١١٠ مليون م٣ /يوميًا بعدما كانت لاتزيد على٨٠مليون م٣/يوميًا "، الذي انعكس ايجابياً على الملاحة في النيل فأصبحت مستمرة حتى في ذلك الوقت من السنة[٣] .

وفي ضوء ذلك تحولت بحيرة السد العالي الى خط ملاحي داخلي لنقل البضائع والسلع، فضلاً عن استخدامه لنقل السواح والركاب ويصل طول الخط (٥٠٠) كم ويمتد من مدينة أسوان إلى وادي حلفا في شمال السودان [٤] .

كما شهدت الخطوط الملاحية في مصر تطورا بعد السد العالي، ومن أهم هذه الخطوط:

١-خط الإسكندرية- النوبارية-النيل : هو ترعة شقت من نهر النيل ألا انه سرعان ما تحسنت

١-ماريون كلوسون وآخرون ، المصدر السابق، ص٣٠٤ -٣٠٥ .

٢-السدة الشتوية:هي الفترة السنوية التي تحبس المياه فيها عن الرياح والترع والمجاري المائية وظهرت تلك الطريقة منذ القرن التاسع عشر وفائدتها تخفيض المياه الأرضية في التربة التي تتزايد أثناء موسم الري والتي تتسبب في تملح الأرض الزراعية أذا استمرت وكذلك أعطاء وزارة الأشغال العامة فرصة مناسبة لتطهير مجاري الترع والبزول من الطمي. لمزيد من التفاصيل ينظر: رئاسة الجمهورية، الزراعة والري،مجلد١،ص٦١-٦٢٣ .

٣-المصدر نفسه ، مجلد ١،ص٣٩٦ -٣٩٧ .

٤-نجاح عمر، المصدر السابق،ص١٠٠ .

أحواله بفعل السد العالي حيث عملت الحكومة على توسعتها وتطويرها حتى تحولت الى خط ملاحي من الدرجة الأولى بتكلفة بلغت ٢,٤ مليون جنيه ، من اجل تسهيل عملية نقل الفحم الحجري إلى مصانع الإسكندرية حيث يتوفر مجمع الحديد والصلب هناك [١] .

٢ -خط القاهرة-أسوان : هو أهم الخطوط الملاحية في مصر، ويبلغ طوله ٩٦٠ كم ، ويستخدم لنقل البضائع والسلع والركاب والسياحة النهرية ، كما انه يربط شمال مصر بجنوبها وتعتمد عليه اغلب محافظات مصر في الوجه القبلي والدلتا .

٣ -خط القاهرة-الإسكندرية : ويبلغ طوله ٢٢٠ كم ، ويستخدم لنقل الحاويات والحمولات الكبيرة باعتباره خط تجاري بالدرجة الأولى.

٤- خط القاهرة -دمياط : ويبلغ طوله ٢٤٠ كم ويستخدم لنقل الحاويات والبضائع .

وقد تطورت الخطوط الملاحية الثلاثة الأولى بالإضافة إلى خط أسوان-حلفا ، وأصبحت خطوط ملاحية من الدرجة الأولى والتي تسمح بعبور سفن كبيرة الحجم بغاطس مائي يصل إلى متران ونصف، بالإضافة إلى الملاحة فيها باتجاهين متعاكسين [٢] .

بينما تدهور الخط الأخير، وساءت الملاحة فيه، نتيجة تزايد عمليات الإرساب النهري وظهور الالتواءات والثنيات التي لم تكن موجودة فيه من قبل ،علاوة على كثرة التجاوزات من قبل السكان على شواطئه ، مما أربك الملاحة فيه وجعلها سيئة [٣] .

وقد أوكلت الحكومة المصرية إلى المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلي، التي تأسست بعد صدور القرار الجمهوري رقم ١٦١٤ لسنة ١٩٦٢ [٤] ، بمهمة أدارة النقل النهري الذي توسعت وحداته النهرية حتى بلغت ٢٧ باخرة و٢٩٦ مركب صغير، كما ارتفعت سعة النقل المائي إلى ٦ ملايين طن من البضائع والركاب[٥].

١- محاضر الاتحاد الاشتراكي، الجلسة الحادية عشر، ٢١ /نيسان /١٩٧٠، نقلا عن(www.Nasser.com)

٢- جهاز حماية المنافسة، دراسة بشان شركة نهر النيل العامة للنقل النهري : WWW.Niletrans.COM.

٣-محمد مجدي تراب،مقالات في تأثير بناء السد العالي على جيومورفولجية فرع دمياط، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥،ص ١٦٩-١٧١.

٤- مصلحة الاستعلامات ، المصدر السابق، ص١٣٥ .

٥- سمير سرحان ، موسوعة مصر الحديثة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٦ ،ص١٦١ .

لقد خلفت تلك التحسينات في قطاع النقل المائي مردوداً ايجابياً ، أسهم في ارتفاع الدخل القومي إلى حوالي (٥) ملايين جنيه سنويا ، إلى جانب ازدياد الدخل الحكومي من الملاحة النهرية إلى (٢) مليون جنيه سنوياً[١] .

ثانياً: السياحة

تعد السياحة موردا اقتصاديا مهما في زيادة الدخل القومي لمصر، نتيجة ما تقدمه من عوائد مالية متعددة كعائدات الفنادق السياحية والنقل بشتى أنواعه وعوائد المنتجعات السياحية وغيرها ، فضلا عن مساهمتها في امتصاص بعض الأيدي العاملة العاطلة من البلد ، وعلى الرغم من تميز مصر بتوفر مختلف أنواع السياحات فيها ؛ الاثارية والطبيعية والثقافية وغيرها، لكنها تفتقد إلى عنصر مهم جدًا وهو البنى التحتية السياحية والمتمثلة بالفنادق الممتازة والمواصلات ومكاتب البريد والخدمات الطبية وما شابه ذلك ، وهي أمور تسهل حركة السائح داخل البلد المضيف وتشعره بالاطمئنان والراحة [٢]، و لهذا بقت السياحة متدنية تعاني من قلة الرواج السياحي حتى أن من بين سكان مصر البالغ عددهم ٢١ مليون نسمة عام ١٩٥٢ لم يزد سواحها على ٧٥ ألف نسمة فقط بين محلية ، وهذا عكس صورة التدهور الكبير فيها [٣].

ولم يستمر الأمر على تلك الشاكلة بل حدث تحول فعلي في الواقع السياحي منذ بناء السد العالي الذي اوجد انقلابًا كبيرًا في تاريخ مصر، عندما تم ولأول مرة في تاريخ النيل أن تم التحكم في تدفقات النيل حتى تحول إلى نهر داخلي تتحكم الحكومة المصرية بكميات المياه المطلقة منه [٤] .

كما أن معركة تحويل المشروع وما لحقها من تداعيات سياسية ، حولته الى رمز يمثل السيادة المصرية ورفض الاستعمار ، فلم يتحقق لمشروع اقتصادي بعداً سياسياً مثلما حدث له وهذا ما جلب أليه الأنظار من كل مكان في العالم حتى تحول الى منطقة جذب سياحي للسياح الأجانب من مختلف الجنسيات [٥] ، لاسيما ان الحكومة المصرية كانت آنذاك لا تعرقل زيارة

١- سعد هجرس ،المصدر السابق، ص٩٩.

٢- إسماعيل صبري وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ -٣٢٩ .

٣- مصلحة الاستعلامات ، المصدر السابق،ص١٠٤ .

٤- الجمهورية العربية المتحدة،السد العالي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،١٩٧٠،ص٢٨.

٥- اليكسي فاسيلييف، المصدر السابق،ص٣٢.

السواح إلى منطقة العمل ومشاهدة السد العالي عن قرب ، وحتى طرح الأسئلة على مهندسي وعمال المشروع، حول المراحل التي مر بها وكيفية بناءه وغيرها من الأسئلة، وكان الأخيرين يجيبونهم [١].

كما تحولت بحيرته إلى منتجع سياحي، يقصدها السياح للتمتع بجماليتها وروعتها حيث تمتد لمسافة طويلة مخترقة الحدود المصرية لتدخل في حدود السودان، مكونة وحدة جغرافية بين البلدين بمسافة ٥٠٠ كم ضمت مختلف أنواع الحياة النباتية والحيوانية ، ووفق التقديرات الرسمية أن عدد أنواع الأسماك فيها يتجاوز(٥٠) نوع ، مما يشكل ما يعرف "بسياحة الصيد" حيث يرغب اغلب السياح بركوب السفن وارتياد البحيرة لاصطياد الأسماك [٢] .

وقد تأثرت سياحة الآثار، بشكل كبير بأنشاء السد العالي ، حيث عمدت الحكومة المصرية بالتعاون مع المنظمات الدولية ،لإنقاذ الآثار النوبية من الغرق، فتحولت هذه الحملة الى دعاية سياحية جذبت السواح من مختلف دول العالم لزيارة تلك الآثار المهددة بالغرق ورؤيتها عن قرب ، وجدير بالذكر أن هذا النوع من السياحة أكثر رواجاً فنسبة سواح المعالم الاثارية قياسًا بالأنواع الأخرى من السياحة على صعيد مصر حوالي ٩٠%[٣].

وفي ضوء ذلك ، شجعت الحكومة المصرية هذا النوع من السياحة بإدخال برنامج "الصوت والصورة " ، والذي يمثل عرض سينمائي داخل المنطقة الاثارية يوضح للسياح مراحل التطور الحضاري للمصريين وما مروا به من منعطفات خلال المراحل التاريخية، و شمل هذا البرنامج

١-عبد الغني العريسي ،المصدر السابق،ص١٧.

٢- منير نصيف، بحيرة السد العالي أو بحيرة ناصر أمل مصر الجديدة، مجلة العربي، العدد١٩٠، الكويت، أيلول ١٩٧٤، ص٩٠.

٣- لقد اختلفت جنسيات السواح الذين توافدوا على أسوان ، من أجانب ومصريين وعرب، وان كان الأجانب هم النسبةً الغالبة ولاسيما سواح دول المعسكر الغربي، الذي كان يستهويهم مشروع السد العالي وآثار النوبة وبلغت نسبتهم ٧٩% ، فيما بلغت السياحة المحلية ٢٠% بينما العربية وصلت نسبتها الى ٢٩%. لمزيد من التفاصيل ينظر: شوهدي الخواجة ، التنمية السياحية في محافظة أسوان دراسة جغرافية، الجغرافيون العرب،د.م،د.ت ، ص٥٩.

جميع المعالم الاثارية المهمة وفي مقدمتها موقع أبو سمبل في النوبة وأهرام الجيزة في مدينة الجيزة [١].

ومن جانبها أخذت أسوان تتأثر بالسد العالي كثيراً ، فتحولت إلى منطقة سياحية يرتادها الكثير من السياح ، مستفيدين من الخدمات التي بدأت الحكومة المصرية بتوفيرها لمدينته لتتلاءم مع ضخامة بناء المشروع فيها ، ولان السياحة لا تتحقق دون الاهتمام بمستلزماتها [٢] ، لهذا عمدت الحكومة المصرية على زيادة عدد الفنادق السياحية فيها إلى ٢٩ فندقاً بطاقة تصل إلى ٢,٥٢٥ سرير [٣] ، بعد أن كانت لاتزيد عن فندق او فندقين مؤهلين للسياحة ، فضلا ًعن الفنادق العائمة كفندق جزيرة الفانتين في وسط النيل وفندق جزيرة آمون في جنوب السد العالي في محافظة أسوان، وبنجاح تجربة الفنادق العائمة قررت الحكومة المصرية ان تعمم تلك التجربة على عموم الجمهورية فتوزعت الفنادق العائمة في عدة مناطق أهمها: هيلتون وشبرد وسمير أميس ومينا هاوس في القاهرة وكتراكت في أسوان وونتربلاس في الأقصر، التي قدرت قيمة مساهمتها في الدخل القومي المصري بحوالي٢٠ مليون جنيه [٤].

كما ساهمت المواصلات، في زيادة عوائد مصر السياحية وخصوصاً النقل بالسكة الحديدية التي توفر للسياح وسائل الراحة من الأكل والمنام وغيرها ،لاسيما انه ينقل السياح من أقصى الشمال إلى الجنوب ، كما هو الحال مع سكة حديد أسوان–القاهرة التي تسير بمحاذاة النيل فتمنح سواحها جمالية النظر ورخص الثمن اذ لايتعدى تكلفة السفر بها ١٨٠ قرش فقط [٥] ، وهكذا تحولت عملية النقل بالقطار، الى مقصد للسواح بلغ عدد مرتاديه حتى عام ١٩٦٣ حوالي ٤٠٤,١٠٩ سائح بلغت عوائدها المالية ٧,٢٧٣ مليون جنيه، مايعكس مدى منفعته على الاقتصاد المصري فهو يمثل المرتبة الثانية بعد قطاع الفندقة [٦] .

إلى جانب ذلك أدت عملية توليد الكهرباء، دوراً كبيراً في ايصال التيار الكهربائي إلى ريف أسوان وتحوله إلى مناطق ذات جذب سياحي خصوصاً مع تميز أسوان بهدوء وسكينة سكانها وابتعادهم عن المشاكل،فهي المحافظة الوحيدة في مصرالتي لا تسجل عليها جرائم قتل وسرقات

١–مصلحة الاستعلامات ، المصدر السابق، ص١٠٤ .

٢–جمال عبد الناصر، وثائق الوحدة العربية، ص٥٣.

٣–محافظة أسوان ، المصدر السابق ، ص٤٠.

٤–مصلحة الاستعلامات ، المصدر السابق، ص١٠٢ –١٠٣ .

٥–جريدة الأهرام ، العدد ٢٨١٥٧ ،١٣/ كانون الثاني/١٩٦٤ .

٦–مصلحة الاستعلامات ، المصدر السابق،ص١٠٤ .

، صحيح أن تلك الحالة تشمل اغلب سكان الصعيد باعتبار محافظة أسوان منها وان الصعيدي ينأى عنها [١] ، لكن شيوع الحالة على جميع أرجاء المحافظة دون فرق بين الريف والمدينة تمثل سابقة لهم جذبت لهم السياح فصار السائح يتمتع بنعمة الأمان وكذلك يشاهد التراث الشعبي الحرفي الذي حافظت عليه والذي لم يتأثر بالتطور الصناعي والعمراني الذي حدث فيها [٢] وتلك التطورات ساهمت في ارتفاع عدد السياح من جهة والدخل السياحي لمصر من جهة أخرى ويتضح ذلك في الجدول رقم(٣) الآتي:

السنة	أعداد السياح بالألف	الدخل السياحي بالجنيه
١٩٥٢	٧٥,٥٨٢	١٩٣,١١٢
١٩٥٦	١٧٠,٢٤٦	٤٣٤,٩٧٨
١٩٦٠	٢٨٥,٤٥٠	أجمالي الدخل للسنين ٦٠ –١٩٦٣ حوالي ٥٠ مليون جنيه
١٩٦٣	٤٠٤,١٠٩	
١٩٧٠	١,٣٠٠٠٠٠	٣١,٥ مليون جنيه

جدول رقم (٣) يوضح أعداد السواح والدخل السياحي قبل وبعد بناء السد العالي [٣]

ومن الجدول رقم (٣) يتبين الزيادة الكبيرة التي حدثت في عدد السياح بعد بناء المشروع اذ كان لا يتعدى عددهم ٧٥,٥ ألف سائح عام ١٩٥٢ ارتفع إلى ١,٣ مليون سائح عام ١٩٧٠ ، والذي لم يكن ليتحقق لولا التحسينات التي طرأت على قطاع السياحة بعد بناء السد العالي من أنشاء العديد من الفنادق الممتازة وشق الطرق البرية والحديدية وتحسين النقل النهري التي انعكست على مستوى الدخل السياحي، اذ بلغت عوائد السياحة المصرية ١٩٣,١ ألف جنيه عام ١٩٥٢ ، فيما يلاحظ مدى الصعود الكبير في عوائدها السياحية عام ١٩٧٠ إلى حوالي

١–أنور حجازي ، المصدر السابق ، ص٤١ .

٢–يحيى سويلم،أسوان روح التاريخ وقلب الفن، مجلة العربي،العدد ٥٨١،الكويت،نيسان ٢٠٠٧،ص٤١.

٣– تم أعداد هذا الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على المصادر التالية: جمال حمدان ،مختارات ، ص٥١٨ ؛ مصلحة الاستعلامات ،المصدر السابق ،ص١٠٤.

٣١,٥ مليون جنيه [١] .

لقد دعا هذا الارتفاع السريع في أعداد السواح ، الحكومة المصرية الى التوسع في بناء الفنادق وتوفير المراكب النهرية في بحيرة السد دون توفير بقية المتطلبات، حيث ركزت الحكومة على الأهم وأهملت المسائل الجانبية التي تؤثر ولو بنسب متفاوتة على السواح كمسألة عدم توفر وسائل الاستراحة من كازينوهات وكافيتريات ومطاعم تسد حاجة السواح ، كما ان عملية النقل الجوي التي تكفلت الحكومة بإيجادها في أسوان [٢] ، وذلك بإنشاء مطار في أسوان عام ١٩٥٧ لم تؤت أكلها فلم يبنى لتغطية الأعداد المتزايدة من السواح، وإنما يسع للطائرات التي لا تتجاوز عدد ركابها على ٣٠ راكباً[٣] .

وفي الواقع أن المناطق الأثرية تأثرت بحركة السواح وجهل الكثير منهم لعراقة هذه الآثار، وتقادمها ورقتها وعدم قدرتها على تحمل حركة السيارات داخل المعالم الأثرية، وحركة اللمس المستمرة لها ، مما اثر عليها وأدى إلى تلف بعضها [٤] .

ثالثاً:التجارة

أ-التجارة الخارجية

تعد التجارة الخارجية ،من عناصر التنمية الاقتصادية الأساسية، فهي الوسيلة التي تجعل عملية الإنتاج في كل جوانبه الزراعية والصناعية مثمرة ، فكان لابد من تغيرات جوهرية تحدث فيها، تساهم في تغيير أهدافها وتوجهاتها بما يتفق مع التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها مصر بعد السد العالي [٥].

ولهذا عمدت الحكومة المصرية على أحداث تغييرات في قياداتها، من حيث أيكال مهمة الأشراف عليها إلى القطاع العام وجعله المهيمن عليها، وخصوصاً قطاع الاستيراد للحد من تلاعب القطاع الخاص بها واستغلال المواطنين المصريين بجعل عملية الاستيراد محصورة عليه

١- إسماعيل صبري وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٣٢ .

٢-جريدة الأهرام ، العدد ٢٥٤٤٣ ،٢/آب/١٩٥٦ .

٣- منير نصيف ،المصدر السابق ، ص١٠٠ .

٤-رشدي سعيد ، الحقيقة والوهم في الواقع المصري ،دار الهلال ، القاهرة ، د.ت، ص١٩٣ .

٥-فؤاد مرسي ، الانفتاح الاقتصادي بالقطاع العام في مصر ، مجلة المنار ، العدد٢١ ، باريس ، أيلول ١٩٨٦ ، ص٩١-٩٢ .

فقط، بينما يشارك القطاع الخاص بالصادرات بنسبة ٢٥% كي لا يحرم القطاع الخاص من المساهمة في عملية التنمية الاقتصادية [١].

والتطور الآخر تمثل بتوجيه التجارة الخارجية ، باتجاه المعسكر الشرقي على حساب المعسكر الغربي وكما هو مبين في الجدول رقم (٤)

السنة	الكتلة الاشتراكية		الكتلة الغربية	
	الصادرات	الواردات	الصادرات	الواردات
١٩٥٩-١٩٦٠	٤٩	٢٧	٢٨	٥٦
١٩٦٤-١٩٦٥	٥٤	٢٢	٢٧	٥٢
١٩٦٩ -١٩٧٠	٦٠	٣٤	١٨	٤٦

جدول رقم (٤) مقارنة في التجارة الخارجية لمصر بين الكتلتين الشرقية والغربية[٢].

ومن الجدول رقم (٤) يتضح لنا أن صادرات مصر الخارجية ارتفعت من ٤٩ مليون جنيه عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ الى ٦٠ مليون جنيه عام ١٩٦٩ –١٩٧٠، بخلاف المعسكر الغربي حيث أخذت صادراتها اليه تنخفض من ٢٨ مليون جنيه عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ الى ١٨ مليون جنيه عام ١٩٦٩ – ١٩٧٠ ، وهذه الزيادة في الصادرات المصرية للكتلة الشرقية على حساب الكتلة الغربية جاءت نتيجة سببين مهمين :

السبب الأول–إن اتفاقيات تمويل السد العالي، الأولى عام ١٩٥٨ والثانية عام ١٩٦٠ اشترطت سداد القرضين بسلع وبضائع مصرية (أي الدفع عيناً لا نقداً)، وهذا مارفع حجم الصادرات المصرية للكتلة الاشتراكية[٣] .

السبب الثاني–أن اعتماد مصر للنهج الاشتراكي، في قيادة الاقتصاد المصري جعل الكتلة الاشتراكية أكثر شراء للسلع والبضائع المصرية ، والتي صارت تشعر بأنهما متقاربين في النظم الاقتصادية فلابد من الوقوف إلى جانب مصر وتنشيط اقتصادها ، من خلال عملية التبادل التجاري وفي غيره [٤] .

١– لطفي الخولي ، دراسات في الواقع المصري المعاصر، منشورات الطليعة،بيروت،١٩٦٤،ص٢٠٦ . ٢– جمال حمدان ، مختارات ، ص١٤٩ .

٣– يوسف ابو الحجاج ، كتابات مصرية، ص٧٥ –٨٨ .

٤– سعد الدين إبراهيم وآخرون، المصدر السابق ، ص٣٨٤ –٣٨٦ .

بينما استمرت الواردات على حالها رغم الارتفاع النسبي لواردات المعسكر الشرقي، من ٢٧ مليون جنيه مابين عام ١٩٥٩ –١٩٦٠ الى ٣٤ مليون جنيه مابين عام ١٩٦٩ –١٩٧٠ ، لكن الملاحظ أن الواردات الغربية لمصر استمرت مرتفعة رغم الانخفاض النسبي فيها حيث انخفضت من ٥٦ مليون جنيه مابين عام ١٩٥٩–١٩٦٠الى ٤٦ مليون جنيه مابين عام١٩٦٩ –١٩٧٠ ، فهي أعلى من الواردات الشرقية لمصر بزيادة تقدّر بـ ١٢ مليون جنيه مابين عام ١٩٦٩ –١٩٧٠ ، وترجع تلك الزيادة الى أسباب متعددة لعل أبرزها:

١– تنويع التجارة الخارجية : اذ حاولت الحكومة عدم تركيز التبادل التجاري على جانب دون آخر مما يشكل عنصر ضغطٍ عليها في المستقبل، فهي دائماً تريد المحافظة على سياسة عدم الانحياز التي سارت عليها ، والتي مكنتها من المحافظة على سيادتها واستقلالها (١) .

٢– عدم كفاءة السلع والبضائع السوفييتية والشرقية بشكل عام ، مما دفع الحكومة المصرية الى المحافظة على التبادل التجاري مع الغرب (٢) .

وعلاوة على ذلك كان حصول مصر على أسواق خارجية جديدة تمثلت بالكتلة الاشتراكية له ايجابياته وسلبياته ،فأما الايجابيات فانه فتح أمامها منفذ جديد لتجارتها الخارجية ساهم في زيادة كمية صادراتها من السلع والبضائع الزراعية والصناعية بشكل كبير وبأسعار مرتفعة حتى ان متوسط أسعار صادرات مصر للدول الاشتراكية كان١٦,٥ % ، بينما للكتلة الغربية وبقية دول العالم كأفريقيا والدول العربية فتجاوز ٢٠% بالمقابل كانت أسعار دول الكتلة الاشتراكية لمصر منخفضة لو قيست بدول العالم بنسبة ٢,٣% – ٠,٧ % (٣) ، وهذا ساهم في زيادة الدخل القومي لمصر كثيراً فبعد ان كان لايزيد على ١٠٧٤,٧ مليون جنيه عام ١٩٥٧ ازداد بشكل واضح بعد دخول الكتلة الشرقية كطرف جديد في تبادلات مصر الخارجية الى ٢٤٩٣,٨ مليون جنيه عام ١٩٦٦ (٤) .

وكذلك أسهم في تنوع صادراتها فبعدما كانت لاتتعدى القطن والبصل أصبحت بعد فتح

١–محيا علي زيتون، دراسة تطبيقية لبعض جوانب علاقات مصر التجارية مع الكتلة الشرقية وبقية دول العالم ،مجلة الاقتصادي،العدد ٣، جمعية الاقتصاديين العراقيين، بغداد ، تشرين اول ١٩٧٦ ،ص ٤١ .

٢–جمال حمدان،شخصية مصر،ج٣،ص٤٣–٤٤ .

٣–عادل حسين ، المصدر السابق ،ص٤٩–٥٠ .

٤–سعد الدين إبراهيم وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٨٥ .

الأسواق الشرقية أمامها أوسع، فشملت بعض المنتجات الصناعية كالألمنيوم وصفائح الصلب المشكلة للبارود وغيرها من المنتجات والسلع الصناعية والزراعية، ما أعطى الصناعة بوجه خاص دفعة قوية نحو النمو والازدهار بوجود أسواق خارجية تستورد منتجاتها [١] .

كما ان اتفاقيات تمويل بناء السد العالي، التي عقدتها مصر مع الاتحاد السوفيتي ،والتي جعلت الصادرات المصرية تسديداً للمبالغ السوفيتية المقدمة لها في سبيل بناء المشروع ، مما دفع الحكومة إلى أتباع سياسة التوريد الإجباري[٢]، في بعض المحاصيل التصديرية وبأسعار مخفضة ، بحيث كانت لاتتلائم مع سعرها في السوق السوداء، وهذا ما ساهم في ظهور السوق السوداء كظاهرة سلبية صارت تهدد عملية التسويق الإجباري للدولة، فصار الكثير من الفلاحين يتهربون من بيعها للدولة ويقومون ببيعها بشكل غير رسمي لاسيما القطن [٣].

الواقع ان التجارة الخارجية لم تستطع التخلص من حجم العجز الاقتصادي ، الذي تعرضت له مصر في الستينيات وتخلخل الميزان التجاري وتفوق الواردات على حساب الصادرات ولاسيما بعد العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، اذ ازداد الأنفاق العسكري على الجيش لتجهيزه بما يحتاجه من أسلحة وذخيرة والتي دمرها الإسرائيليون في هجومهم على قطعات الجيش، فحينها تحول الاهتمام بالجيش من أولويات السياسة المصرية ، ما ساهم في ارتفاع العجز من(٢٤) مليون جنيه في المدة (١٩٦٠-١٩٦٤)[٤] ، إلى ٨٢,٨ مليون جنيه عام ١٩٦٧-١٩٦٨[٥] .

ب-التجارة الداخلية

وقد تأثرت التجارة الداخلية، بتأميم التجارة الخارجية ولاسيما قطاع الاستيراد الذي أمم بشكل

١-عادل حسين، المصدر السابق ،ص٤٨ .

٢-التوريد الإجباري: سياسة اقتصادية سنتها الحكومة المصرية منذ عام ١٩٦٥، تقوم على فرض حصة معينة من بعض المحاصيل يوردها الفلاح إجبارياً إلى الجمعيات التعاونية بثمن يقل عن السعر المتداول في السوق ، وفي حالة عدم وفائه يغرم غرامة مالية مرتفعة واقتصرت عملية التوريد على ثلاث محاصيل (القطن ، الأرز ، البصل) . لمزيد من التفاصيل ينظر : سعد الدين إبراهيم وآخرون ، المصدر السابق ،ص٣٥٦ .

٣-محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص٣٦ -٣٧ .

٤-عادل حسين ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

٥-حسن عباس زكي ، السياسة الاقتصادية في ج.ع.م، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص١٢ .

تام بخلاف قطاع التصدير الذي بلغ حجم المؤمم منه مانسبته ٧٥% مما انعكس على حركة التبادل التجاري فيها ، وصار القطاع العام هو المهيمن على التجارة الخارجية وانكفأت سيطرة تجار الجملة على السوق الداخلية، فأدى هذا إلى قيام صغار التجار (تجار المفرد) باقتناص الفرصة محاولين سد الفراغ ، ومستفيدين من الدعم الحكومي لهم من خلال بنوك التسليف التجارية من جهة وصدور قرارات حكومية قلصت سيطرة تجار الجملة على التجارة كقرار ١٤ نيسان عام١٩٦٣، الذي تضمن تأميم شركات تصدير الأقطان والبالغة ١٣ شركة تصدير ، و١٠١شركة حلج قطن وكذلك قرار ١٩أيار عام١٩٦٣بتأميم مضارب الأرز ومطاحنه ؛ وشمل ما لا يقل عن١٥٠ مطحنة و٧٨ مضرب ، وهذه القرارات كانت تصب في خدمة صغار التجار لكونهم لا يملكون مثل هكذا شركات ومعامل لقلة إمكانياتهم المالية [١] .

من جانبها لم ترغب حكومة الثورة بضرب القطاع الخاص أو تحييده كلياً ، اذ سعت إلى المحافظة عليه حتى انها جعلت حصته من التبادل التجاري الداخلي ٧٥%واختصت لنفسها مانسبته ٢٥% فقط [٢] ، حتى تبقي عليه قويا لتستفد منه في امتصاص البطالة من المجتمع كما هو الحال في تجارة القطن حيث تتطلب عمالة كثيرة لانجاز عمليات الحصاد وفرز القطن ونقله للأسواق وما شابه ذلك ، وهو بذلك يحقق انجازاً كبيراً ، بمساهمته في حل مشكلة البطالة[٣].

فضلاً عن ذلك ان القطاع الخاص أكثر نشاطا وحرية في عملية التبادل التجاري من الناحية السياسية بخلاف القطاع العام ولاسيما في الأزمات [٤]، حيث تتخلى الحكومات عن بعض التزاماتها له لسد احتياجات الشعوب، ولعل توجه الحكومة المصرية نحو قيادة المشاريع الكبرى، لعجزها عن أدارة التجارة الداخلية وقيادة المشاريع الكبرى وتولي عمليات الاستيراد والتصدير وفوق كل ذلك تدخل كطرف أساسي في السوق المحلية، فهذا يستنفذ طاقات الدولة المالية ويتطلب توفير كل حاجات المواطن المصري ، وسد النواقص الموجودة من ميزانيتها في

١- محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص٢٨٠ -٢٨١ .

٢- لطفي الخولي ، دراسات في الواقع المصري المعاصر، ص٢٠٦ .

٣- حسن عباس زكي، المصدر السابق، ص٢٣.

٤- حيث تمكن القطاع الخاص من تزويد السوق المحلية بمتوسط ٤٠٠طن شهرياً ، من السلع المستوردة خلال حرب حزيران١٩٦٧ من ميناء غزة ، من خلال عمليات التهريب وهذا مالم تتمكن منه الحكومة المصرية . لمزيد من التفاصيل ينظر: أيغور بيليايف وافغيني بريماكوف ، المصدر السابق ،ص٢١٦ .

وقت كانت هي مقيدة بالقروض الخارجية، وتحاول كل جهدها أنُ تسخِر كل الإمكانيات المتاحة نحو سدادها وإكمال عملية التنمية الاقتصادية [١] .

وفيما يخص مصادر التبادل التجاري في السوق الداخلية، فكان محصول القطن يحتل المرتبة الأولى ، على الرغم من انخفاض مساحاته الزراعية ،وذلك عائد إلى حجم الاهتمام الذي ناله محصول القطن في عهد الاحتلال البريطاني، فهو يدخل كمادة اولية في صناعة المنسوجات القطنية في بريطانيا، فضلاً عن دخوله في الصناعات النسيجية المصرية كمصدر أساسي ماجعله مهيمناً على عملية التبادل التجاري الداخلية ، وكانت الحكومة المصريةُ تدرك ذلك وانه لا يمكن أن ينافس القطن أي محصول زراعي آخر حتى الأرز لذلك قررت تنظيم عملية تسويقه بواسطة الجمعيات التعاونية، لتزويد أصحاب المصانع به للحيلولة دون تلاعب التجار بأسعاره والذي ينعكس على معيشة الإنسان المصري سلباً ، علاوة عن حاجة الدولة اليه في عملية التصدير،[٢]ولقد خلفت تلك السياسة الحكومية آثارها في ازدياد حجم التبادل من القطن في السوق المصرية فمن مجموع كميات القطن المسوقة لعام ٦٢-١٩٦٣ والبالغة ١,٤٢٨ مليون قنطار ارتفعت إلى ٩,٣٨٧ مليون قنطار في عام ٦٩-١٩٧٠ ، والأمر نفسه مع محصولي الارز حيث ازدادت كمياته المسوقة للسوق الداخلية من ٨٥١,٤ ألف طن عام ٦٤-١٩٦٥ الى ١,٢٦٩مليون طن عام ٦٩ -١٩٧٠ ، ماعدا محصول البصل لم يكن الأمر معه جيداً حيث انخفضت كمياته المسوقة من ٢٤١ الف طن عام ٦٤-١٩٦٥ الى ١٤١ ألف طن عام ٦٩-١٩٧٠، وهذا التناقص جاء نتيجة انخفاض مساحته المزروعة بعد تحويل أراضي الوجه القبلي الى الري الدائم وزراعة محاصيل أخرى بدلاً عنه [٣].

رابعاً:الديون الخارجية

واجه مشروع السد العالي،انتقادات قوية معتبرةً اياه سبباً في وضع البلاد تحت طائلة الديون الخارجية التي اكتوت بها مصر،اذ انها جلبت الاحتلال البريطاني لمصر وذلك في عام١٨٨٢ بحجة استيفاء ديونها [٤]،التي تمكنت مصر من التخلص منها بجهود مضنية من قبل حكومة

١-عادل حسين ، المصدر السابق ،ص ٣٨-٥٣.

٢-يوجيه يونان،المصدر السابق،ص٤٦-٤٧.

٣-محمود عبد الفضيل ، المصدر السابق ، ص ٣١-٣٣ .

٤-كان حجم الديون الأوربية مع فوائدها على مصر بلغ٦٠مليون جنيه ينظر: محمد صبري، المصدر السابق، ص١٨٤.

مصطفى النحاس ، في الأعوام (١٩٤٢-١٩٤٣) وتحولت إلى دولة دائنة للاحتلال البريطاني [١].

غير أن بناء السد العالي وما لحقه من مشاريع اقتصادية من توسع في استصلاح الأراضي أفقياً وعمودياً وتوليد الطاقة الكهربائية وتطور الصناعة المصرية كلفت الاقتصاد المصري ما قيمته ٤٠٠ مليون جنيه [٢]، التي لم تتمكن الحكومة المصرية من انجازها لولا القروض السوفيتية التي بلغت فقط خلال المدة مابين عام (٦٠-١٩٦٥) حوالي ١٣٦ مليون جنيه، منها ٥٠,٧% لمشروع السد العالي ، بينما بلغ حجم القروض المستخدمة في المدة مابين عام(١٩٦٦-١٩٧٠) حوالي ١٧٨مليون جنيه منها ٤١% للسد العالي ،هذا عدا الديون العسكرية التي بلغت مجموعها ١٨٥,٢مليون جنيه، وعليه فيكون الحجم الكلي لقروض مصر الخارجية للسوفييت حوالي ٤٩٩,٢ مليون جنيه ، وهذا ما دفع بعض المعارضين لبنائه باتهام المشروع بأنه ورط مصر بسلسلة متواصلة من القروض سخرت الحكومة المصرية كل إمكانياتها المالية لخدمة الدول الدائنة، بعدما كانت متحررة من أي قيد مالي عليها[٣].

إن القول بان المشروع ورط البلاد بسلسلة من الديون الخارجية، حقيقة لايمكن إنكارها او التغافل عنها، لكن تلك القروض جاءت لخدمة الاقتصاد المصري فلا يمكن التعميم بان القروض الأجنبية أداة قوية لاستعمار مصر، فقد ذكر رئيس مجلس بنك مصر (محمد رشدي) "بان السبب المنطقي والمعقول للإقدام على القروض الخارجية هو حاجة الدولة للقيام بمشاريع إنتاجية مباشرة أو غير مباشرة"[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن مشروع السد العالي الذي يعد ابرز انجازات عهد جمال عبد الناصر ،

١-كان حجم الأرصدة المالية لمصر قبل الثورة ٢٣٢ مليون جنيه، التي استنفذت في التنمية الاقتصادية على بناء السد العالي وبقية المشاريع. لمزيد من التفاصيل ينظر : جمال حمدان ، مختارات ، ص٣٠٢ ؛ عزيز السيد جاسم ، المصدر السابق، ص١٤ .

٢-حجم القرض السوفييتي للسد والمحطة الكهربائية حوالي١١٣,٢مليون جنيه فقط، ينظر : محمود زكي عبد اللطيف وآخرون ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

٣-عادل حسين ، المصدر السابق ،ص٤٤.

٤- المصدر نفسه، ص٢٤ .

لم تظهر ايجابياته بشكل متكامل الا بعدما اكتمل بناءه في عام ١٩٧٠[١]، وقد حدد المهندس عبد العظيم أبو العطا [٢] في دراسة له بالأرقام فوائد السد العالي على الدخل القومي والحكومي [٣]، وضح فيها ان ما قيمته ٢٥٥مليون جنيه هي عوائده على الدخل القومي المصري و٢٣مليون جنيه على الدخل الحكومي ، فيما يعكس قدرة المشروع في مدة سنتين على أكثر تقدير تعويض تكاليف بنائه والمشاريع الملحقة به التي تصل قيمتها الاجمالية إلى ٤٠٠مليون جنيه[٤] . وهكذا يمكن القول انه اكبر مشروع استثماري أقدمت عليه حكومة عبد الناصر، اوجد تحولات اقتصادية كبيرة في مصر انعكست على المستوى المعاشي والطبقي للمجتمع المصري .

١-أسامة الغزالي حرب،جمال عبد الناصر قراءة جديدة في ذاكرة الثلاثين ، دار مصر المحروسة للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١،ص,٢٧

٢-عبد العظيم أبو العطا: هو احد خبراء الري المصريين الذين ساهموا بشكل كبير في بناء السد العالي، عندما كان مديرا لمكتب وزير السد العالي (موسى عرفة)في موسكو في المدة مابين عام١٩٦٠-١٩٦٧ ، وكان السوفيت يحترمون خبرته وعلميته وحرصه الشديد في عمله، ثم عين بعدها مديراً لمحطات توزيع كهرباء السد العالي مابين عام ٦٧-١٩٦٩ثم رئيس أدارة الهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية المصرية في١٩٦٩-١٩٧٥ ، ليتولى بعدها وزارة الري ولكنه لم يوفق في البقاء بها كثيراً اذ اعتقل وزج به في السجن حتى وفاته في عام ١٩٨١ نتيجة مواقفه القوية والصلبة من مسألة بيع مياه النيل، التي بذل الشعب المصري كثير من الأموال والجهد المضني لتحقيق الاكتفاء الذاتي فيها، إلى إسرائيل.لمزيد من التفاصيل ينظر: سماح ياسين، المصدر السابق،ص١٩٧-١٩٨؛ عبد العظيم أبو العطا وآخرون،المصدر السابق ، ص٥-١٥.

٣- لمزيد من التفاصيل حول ذلك، ينظر:ملحق رقم (٢).

٤- سعد هجرس،المصدر السابق،العدد ٢٠، ص١٠٠ .

الفصل الرابع

الآثار الاجتماعية والثقافية للسد العالي

المبحث الأول //مساهمة السد العالي في تغيير الواقع الطبقي والمعيشي للمجتمع المصري

المبحث الثاني //أثر السد العالي في التوسع العمراني -محافظة أسوان نموذجا - وتحسن الحالة الصحية والتعليمية في مصر عموماً:

اولاً :التوسع العمراني

ثانياً:التطورات في الواقع الصحي

ثالثاً: التعليم

المبحث الثالث //تداعيات بنائه على آثار النوبة والحملة الدولية لإنقاذها

المبحث الأول:مساهمة السد العالي في تغيير الواقع الطبقي والمعيشي للمجتمع المصري

عانى المجتمع المصري في عهد النظام الملكي الحاكم من تحكم الطبقات المتنفذة فيه وتسييره وفق ما تريد، وهي الأسرة الحاكمة والبالغة ٢٧فرد أبرزهم الملك فاروق وأبنائه و أقاربه و حاشيته ، وتملك ثروات مصر وخيراتها كلها، فضلاً عن طبقة الإقطاع في الريف والطبقة الرأسمالية في المدن واللاتي تسيطرن على الاقتصاد المصري ويفرضن أرادتهما على الطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال الذين لا يملك بعضهم أرضاً يعيش عليها ، في وقت كان الملك يستحوذ على مساحة من الأرض تصل مساحتها إلى ٩٣الف فدان من الأراضي الخصبة الجيدة لوحده دون ان يشاركه فيها احد [١].

ولعل هذا مادفع قادة الثورة، ان يتبنوا فكرة السد العالي (في تشرين الأول عام١٩٥٢)كحل جذري لمشاكل الريف، والمدينة من خلال توفير المياه العذبة اللازمة لزيادة الرقعة الزراعية وتوليد الطاقة الكهربائية من محطته الكهرومائية كعنصر أساسي في توسع الصناعة وتطورها [٢]

فقد حاولت حكومة الثورة ان تنهض بواقع الفلاح وبيئته السيئة ، من خلال القضاء على الإقطاع بشكل لايؤدي الى صدامات دموية تنعكس على استقرار الريف بوجه خاص والبلد بوجه عام ، ولهذا اتبعت الحكومة خطة التنمية الجذرية لمشاكل الريف بواسطة السد العالي ،الذي وجدوا فيه حل لمشكلة محدودّية الأرض الزراعية التي لاتتلائم مع الزيادة العددية للسكان المستمرة، فاعتمدوا التوسع الأفقي استناداً إلى مياه السد العالي وتوزيع تلك الأراضي على الفلاحين ، وهو مايعني استحداث أرضاً جديدة تسهم في تخفيف الزخم على الأراضي القديمة وتحسن من حالة الفلاح المعيشية ، وفي ضوء تلك الخطة عملت الحكومة بكل طاقاتها وجهودها لاستصلاح اكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية منذ عام ١٩٥٢-١٩٧٠، فكان أقصى ما تم استصلاحه ودخل مرحلة الاستزراع (أي أصبحت الأرض قابلة للزراعة) بحدود نصف مليون فدان في أنحاء مصر[٣] . وقد قامت الحكومة المصرية بتوزيعها على

١- لمزيد من التفاصيل، ينظر:احمد حمروش، البحث عن الاشتراكية ،ج ٤،ص٣٦؛ أيغور بيليابييف وافغيني بريماكوف ، المصدر السابق ،ص٦٩ .

٢- توم ليتل ،جمال عبد الناصر رائد القومية العربية،ص١١٤ .

٣-مصر في أرقام، المساحة المنزرعة١٩٦٠-٢٠٠٧، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ووزارة الزراعة واستصلاح الأراضي، ٢٠٠٩، ص٧١.

على ٣٤الف أسرة [١].

كانت الحكومة المصرية، قد شرعت بإصدار قوانين الإصلاح الزراعي منذ عام ١٩٥٢ [٢] كأجراء سريع لتطوير واقع الريف وتهيئته للاستفادة من ثمار السد العالي ولاسيما الطبقات الفقيرة وذلك عبر زيادة حجم الملكية ، اذ يذكر محمد نجيب في كتابه مصير مصر مانصه"..فعلينا أذن ان نوصل الماء إلى أرجاء وادي النيل كافة.....وعلى هذا فنحن اذا لم نعمل على أكمال السد العالي في غضون مدة مناسبة فان جميع إصلاحاتنا الزراعية ستمنى بالفشل لان عدد السكان اخذ في الازدياد كثيرا" [٣]. وهكذا يظهر، ان قوانين الإصلاح الزراعي منذ إصدارها في بداية الثورة كانت متعلقة ببناء المشروع وليست منفصلة عنه وبدونه، فأن الإصلاح لا يأتي بالفائدة، ويمكن التعرف على تأثيراته على حجم الملكية في مصر في الجدول الآتي :

التصنيف	قبل السد العالي		بعد السد العالي	
	عدد الملاك بالإلف	مساحة الملكية بالألف فدان	عدد الملاك بالإلف	مساحة الملكية بالألف فدان
اقل من خمسة فدان	٢٦٤٢	١٢١٢	٣١٧١	٢٧٧٠
من٥-١٠فدان	٧٩	٥٢٦	٩١	٦٠٥

١-عباس زكي، المجتمعات الجديدة في الريف المصري، مجلة الأهرام الاقتصادية، العدد٢٥١، مؤسسة الأهرام، القاهرة، نيسان١٩٧٠، ص٢٨.

٢- أصدرت قوانين الإصلاح الزراعي في سنين متباعدة فأول قانون أطلق كان القانون رقم (١٧٨)لسنة ؛ ١٩٥٢وصودرت بموجبه أراضي الإقطاعيين في مصر ممن تزيد ملكياتهم على ٣٠٠فدان،والقانون الثاني رقم (١٢٧)لسنة ١٩٦١وصودرت بموجبه أراضي الإقطاعيين ممن تزيد ملكياتهم عن ١٠٠فدان ،وبلغ حجم الأرض المصادرة وفق القانونين حوالي٦٤٥ ألف فدان. لمزيد من التفاصيل ينظر:وفاء خالد خلف،محمد نجيب ودوره السياسي والعسكري في مصر ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦، ص ١٤١؛ الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ،الزمام والمساحات المزروعة في جمهورية مصر العربية عام ١٩٦٩،القاهرة ،١٩٧٢،ص٩١.

٣-محمد نجيب ،مصير مصر ،ج١، ص١٥١.

من ١٠-٢٠فدان	٤٧	٦٣٨	٦١	٥٢٧
من ٢٠-٥٠فدان	٢٢	٦٥٤	٢٩	٨١٥
٥٠-٢٠٠فدان	٩	٨٦٧	١٠	٨١٣

جدول رقم (٥)يوضح تطور الملكية قبل وبعد بناء السد العالي[١]

ويظهر في الجدول رقم (٥) أن هناك شريحة تمتلك، اقل من خمسة أفدنة قد توسعت بشكل كبير حتى وصل عدد أفرادها إلى ٣,١٧١ مليون ملاك فيما كانت لا تزيد في عدد أفرادها على ٢,٦٤٢مليون ملاك كما ارتفعت مساحة الأرض التي يتملكوها من ١,٢١٢مليون فدان قبل أنشاء السد العالي إلى ٢,٧٧٠ مليون فدان بعد بناءه ، وتلك الزيادة حصلت نتيجة توزيع الأراضي الزراعية المستصلحة على مياه السد العالي على أبناء الريف وخصوصاً صغار الملاكين [٢].

والجدير بالذكر، ان الأراضي الزراعية التي وزعتها الحكومة المصرية على أبناء الريف لم تشمل جميعهم لاسيما المعدمين بل اقتصرت في أكثر الأحيان على صغار الملاك كي تضمن زيادة إنتاجية الأرض وارتباطهم بالأرض، فالفلاح الذي يملك قطعةً من الأرض ولو كانت صغيرة نسبياً سيكون أكثر خبرة في زراعتها ، وأكثرُ حرصاً عليها ممن لم يجرب الملكية من قبل ، ماعدا سكان النوبة إذ ملكوا جميعهم تعويضاً عن أراضيهم التي غرقت في بحيرة السد العالي [٣] .

كان أكثر المستفيدين من الوضع الجديد، هم شريحة أغنياء الفلاحين الذين يملكون مابين (٢٠-٥٠) فدان،فهي لم تتأثر بقوانين الإصلاح الزراعي فأقصى حد وصلت له عملية انتزاع الملكية هو ١٠٠ فدان ،بالإضافة إلى استفادة تلك الشريحة من دخول عناصر جديدة وسعت من عدد أفرادها وحجم ملكيتها ، كما هو الحال مع خريجي الكليات والمعاهد الزراعية والكوادر الفنية للشركات الزراعية الذين بلغ عددهم٣٠٠٠ فرد، وزعت عليهم الحكومة المصرية أراضي جديدة وصلت ملكية المهندس الواحد فيها إلى(٢٠) فدان، فيما كانت غالبية الفلاحين

١-الجدول من أعداد الباحث بالاعتماد على المصادر التالية: عبد الخالق الشهابي ، رؤية جديدة للمسالة الزراعية ،مجلة الكاتب ،العدد١٣٧،القاهرة،آب ١٩٧٢ ،ص٣٦-٣٧؛ إسماعيل صبري وآخرون ،المصدر السابق،ص١٥٨؛ محمد منصور عبد الفتاح وآخرون،المصدر السابق،ص٣٧.

٢-رئاسة الجمهورية، الزراعة والري، المجلد١، ص٣٩٧.

٣- ايوجين ڤيرت،دراسات جغرافية ألمانية حول الشرق الأوسط،تعريب: فؤاد إبراهيم وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ١٩٨٣،ص٣٩٧.

لاتزيد ملكية احدهم على خمسة أفدنة كحد أقصى [١].

لقد استفادت تلك الشريحة من سعة الأرض التي تملكها والبالغة مساحتها (٨١٥) ألف فدان ، وقلة عددها الذي لا يزيد على (٢٩)ألف مالك في زيادة إنتاجية أراضيها الزراعية، فضلاً عن زراعتها بمحاصيل ذات مردود مالي مرتفع جداً ، كالخضر والفواكه التي كان صغار الفلاحين يعزفون عنها لما تتطلبه من تكاليف كبيرة لم يكونوا قادرين على تحملها ، فضلاً عن أن الاختلاف في القدرات المالية ، مكن أغنياء الفلاحين من التوسع على حساب أصحاب الملكيات الصغيرة مستفيدين من علاقاتهم مع كثير من المسئولين في المؤسسات الحكومية داخل الريف من رؤساء الجمعيات التعاونية ومدراء مجالس القرى ، بما يحقق لهم التأثير على موظفي الحكومة وحرف مسار القرارات الحكومية إلى صالحهم[٢]، كما أن الثغرات القانونية والدستورية مهدت لهم الطريق لتوسيع نفوذهم[٣].

ولعل هذا ما جعل الحكومة المصرية، تركز على تحسين إنتاجية الأرض الزراعية أكثر من الاهتمام بزيادة الملكية وتأجير الأرض الزراعية دون تمليكها "ووصل حجم الأرض المؤجرة على الفلاحين ٢,٥١٢,٠٠٠ فدان بما يعادل ٤٥% من مساحة الأرض الزراعية ،منها ٢,٣٦٠,٠٠٠فدان أراضي مؤجرة بالنقد و ٤٧٦,٠٠٠ فدان مؤجرة بالمزارعة" [٤] أي بالمشاركة اذ يحصل الفلاح على نسبةً من إنتاجية الأرض مقابل عمله[٥].

ذلك الوضع الجديد لاسيما توفر المياه العذبة طوال العام، اشعر الفلاح المصري بأنه انجازاً كبيراً يستحق الشكر والامتنان لحكومة عبد الناصر، صاحبة الفضل في ذلك ، نظراً لما قدمته من جهود كبيرة في سبيل تحويل نهر النيل، وما انعكس عنه من توفر كميات من المياه تكفي لإرواء مالا يقل عن خمسة ملايين فدان من الأراضي الزراعية ، وقد تصل مساحة الأراضي

١-كان هدف الحكومة من ذلك، هو توطين العناصر المثقفة داخل الريف كي يساهموا في تطوير الواقع الريفي المتخلف والارتقاء بحال الزراعة في الريف. لمزيد من التفاصيل ينظر: فتحي عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٤٨.

٢- ديمون ،رينيه ومارسيل مازوييه،التجارب الاشتراكية أمام مشاكل التنمية ،تعريب: رشيد حسن وحسن قبيسي ،دار الحقيقة،بيروت، ١٩٧٠ ،ص٢١١ .

٣-حيث أكد دستور ١٩٦٤على مسألة أشراك الفلاحين في مجلس الأمة مناصفة مع العمال بنسبة٥٠%، وقدعرف الدستور "الفلاح من يملك أرضا لا تزيد على ٢٥فدان". لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد حمروش ،البحث عن الاشتراكية ،ج٤، ص١٩٥.

٤- رئاسة الجمهورية،الزراعة والري ،المجلد١،ص ١٣.

٥-المصدر نفسه، ص١٣.

الزراعية إلى عشر ملايين فدان، في حالة استغلال الأرض الزراعية بشكل صحيح [١].

وقد تركت حالة التفاعل القوي بين الفلاح والحكومة في لحظة افتتاح المرحلة الأولى للسد العالي –التي لاقت ترحيباً كبيراً في أوساط الفلاحين وصفت ب"الاستجابة الهستيريا"[٢]، حيث أصبح الفلاح المصري غير مضطر للبقاء تحت سلطة الإقطاعي وهيمنته الطويلة بعدما توفرت له المياه العذبة والأرض الزراعية [٣].

أن تلك التغيرات التي طرأت على الأرض الزراعية، مكنت الفلاح من زراعتها في أكثر من موسم زراعي لاسيما المحاصيل التصديرية، كالقطن والأرز والبصل وغيرها لسد احتياجاتهم الغذائية اليومية وللحصول على مصدر مالي مضمون وبأقل التكاليف[٤] ، ولتوضيح ذلك يمكن اخذ سنة ١٩٧٠ كسنة أساس وهي التي اكتمل بها مشروع السد العالي في دراسة تحسن المداخل السنوية للفلاحين، فمثلاً كان الفلاح المصري يجني من بيع قنطار واحد من محصول القطن للدولة حوالي٢١جنيه وعن طن واحد من الأرز ٢٥,٤جنيه، وعن طن واحد من البصل١٤،٠٠جنيه ، وبالتالي بلغ إيراده المالي من تلك المحاصيل الثلاثة دون بقية المحاصيل التي يزرعها داخل مزرعته حوالي ٦٠،٠٤جنيه[٥].

كما استفاد الكثير منهم من عملية كهربة الريف المصري التي ساهمت في تقليل تكاليف الإنتاج الزراعي وبرزت واضحة في أرواء الأراضي الزراعية من خلال السواقي(النواعير) ، التي يصل عددها الى٣٠٠الف ساقية(ناعور) ، والاستعاضة عنها بالمضخات الكهربائية التي توفر لهم ما قيمته ١٠٠مليون جنيه [٦].

كما أن دخول الكهرباء للريف ، ساهم في تحويل الكثير من المضخات المائية العاملة

١– زهير الكرمي،العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، عالم المعرفة،الكويت،٢٠٠٠،ص٦٨ .

2-Marshall.I.GOLDMAN, Soviet Foreign Aid, Fred A proeger, New York , 1967,P.70، نقلا عن عادل حسين ،المصدر السابق،ص٥٣.

٣– لمزيد من التفاصيل ينظر:السكرتارية العامة للحكومة المصرية،المصدر السابق، الاجتماع رقم ١ ،١٩تشرين الثاني١٩٦١، ،ص٢٨.

٤–لقد أسهمت عملية تحويل الأراضي الحياض إلى الري الدائم في خفض تكلفة أرواء الأراضي الزراعية بما قيمته ١٤ جنيه ، كانت تبذل في عملية سحب المياه من الآبار لإرواء المحاصيل لاسيما في الوجه القبلي . لمزيد من التفاصيل ينظر :اللواء خيرت عبد الحميد (محافظ سوهاج)، تحقيقاً للعدالة الاشتراكية ،مجلة روز اليوسف ،العدد١٩٢١،مطابع روز اليوسف،القاهرة ، نيسان١٩٦٥، ص٩ .

٥–سعد الدين إبراهيم وآخرون، مصر في ربع قرن (١٩٥٢–١٩٧٧) دراسات في التنمية والتغير الاجتماعي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ،١٩٨١،ص٣٧٥–٣٧٨ .

٦– جمال حمدان،شخصية مصر ،ج٣، ص٤١٦.

بالديزل التي بلغ عددها ٥٠٠٠مضخة [١] إلى الطاقة الكهربائية، مما وفر على المزارعين ماكلفته ٦٣ جنيه للمضخة الواحدة التي تعمل بالديزل ، بينما التي تعمل بالكهرباء لا تزيد كلفتها عن ١٢جنيه[٢].

وذلك الأمر، قد انعكس على الدخول السنوية للفلاحين في الريف التي كانت لاتتعدى٢٠,٧جنيه عام ١٩٥٢ ارتفعت كثيراً في عام١٩٧٠ حوالي ٤٧،٣جنية ، وبما أن خط الفقر(عيشة الكفاف) في الريف هو٢٤جنيه، فان هذا يعني حجم الزيادة في دخلهم السنوي وصل إلى ٢٣،٣جنيه[٣].

فضلاً عن ذلك، شهدت العمالة الزراعية تطورات مهمة ، تمثلت بتحول الزراعة في مصر من الحياض إلى الري الدائم، وبخاصة في الوجه القبلي مما ساهم في زيادة المساحة المحصولية للأرض الزراعية من٩,٣مليون فدان إلى ١١,٣مليون فدان[٤] ، بفعل توفر المياه طيلة أيام السنة وظهور محاصيل مليونية المساحة كالأرز والذرة ساهمت كلها في رفع حجم العمالة الزراعية من جهة، وتحويل العمالة الموسمية إلى دائمية [٥]، حتى وصل عدد العمالة الزراعية عام ١٩٧٠الى ٤,٠٤٨مليون عامل، بعدما كان لا يزيد عددهم على٣مليون عامل[٦].

عكست تلك التطورات الزراعية، آثارها على الوضع المعاشي لشريحة العمال الزراعيين، حيث بدأت القوانين التي سنتها الحكومة المصرية لتحسين الوضع المعاشي للعمال تأخذ حيز التطبيق بعد سنين من الإهمال، فارتفعت أجور العمال مستفيدة من التحسن في الإنتاج الزراعي بعد أنشائه من٣ قرش يومياً عام ١٩٥٢ إلى ٢٥قرش يومياً في عام١٩٧٠ [٧].

١-محمد بدوي وآخرون،السد العالي بعض النواحي الاجتماعية والاقتصادية والهندسية ، ط ١، مطبعة الإسكندرية،١٩٥٩،ص٢٣ .

٢-جمال حمدان،شخصية مصر،ج٣،ص٤١٦.

٣-سعد الدين إبراهيم وآخرون ،المصدر السابق،ص٣٤٣ .

٤-رئاسة الجمهورية، الزراعة والري،المجلد ١،ص ٣٩٧.

٥- مثال على تحول العمالة الموسمية إلى الدائمية، هو أن زراعة فدان واحد من القمح يتطلب ٢٩ رجل/يوم لإكماله ، وزراعة فدان من الفول يتطلب ٢٢رجل/يوم، وزراعة فدان من الذرة في موسمين كل موسم يتطلب ٣٠رجل /يوم ، وبذلك تكون اغلب أيام السنة يعمل في الأرض الزراعية العمال الزراعيين . لمزيد من التفاصيل ينظر: رئاسة الجمهورية ،الزراعة والري،المجلد١،ص ٤٢.

٦- احمد حمروش،البحث عن الاشتراكية،ج٤، ص١٩٧.

٧-فتحي عبد الفتاح، المصدر السابق، ص١٠١.

كما ظهرت مصادر للعمل داخل الريف لم تكن متوفرة للفلاحين وهو ماساهم في توفير مصدر رزق لكثير من العائلات المصرية التي تحول بعضها إلى أن يُغلِّب العمل بها على الزراعة ومن أهم هذه الحرف هي صيد الأسماك التي انتشرت في محافظة أسوان حيث تحولت ألاف العوائل الأسوانية نحو العمل في تلك المهنة وصناعة السفن وتصليحها فكانت بحيرة ناصر مصدر رزق لهم [١]، بالإضافة إلى المهن الأخرى التي انتشرت في الريف مع كهربته كتصليح السيارات وهوائيات التلفزيونات والآلات الكهربائية وورش الخياطة التي ارتبطت بتعقد الحياة الريفية واقتضاء الحاجة أليها [٢].

ويمكن القول أن الأعمال الحرفية كانت عوائدها أكثر من الزراعة، فمتوسط دخل العامل في الأعمال غير الزراعية يصل إلى ٥٦,٥جنيه سنويا، بينما العامل الزراعي يبلغ متوسط دخله السنوي ٤٧,٣جنيه أي بزيادة تصل إلى ٨جنيهات في عام ١٩٧٠ [٣] .

كما انعكست عملية إيصال التيار الكهربائي الى الريف المصري [٤] ،فضلاً عن وفرة المياه العذبة على نفسية الفلاح المصري الذي اخذ يشعر بأن رئيسه جمال عبد الناصر هو صاحب في ذلك ، فصار يكن له الاحترام والتقدير ، حتى بعد مجيء أنور السادات للسلطة في أيلول عام ١٩٧٠وانطلاق حملة قوية من التسقيط للرئيس السابق، لم يتأثر بها الفلاح وظل بعيداً عن التأثر بتلك الحملة ،فهو يعتبر جمال عبد الناصر "صاحب السد العالي الذي روى أراضيهم وخلصهم من الفيضانات وخطر الجفاف وحطم الإقطاع" [٥].

والمعروف أن وجود الكهرباء في أي مجتمع بشري، يسهم في أحداث نقلة نوعية في نمط الحياة الاجتماعية ، وذلك ما حدث فعلاً في الريف المصري اذ أخذت حياة الفلاح تتغير مع دخول التقنية الحديثة في بيئته ؛ كالتلفاز والراديو والفيديو والثلاجة وغيرها من الأجهزة والآلات الكهربائية التي جاءت مع وصول الكهرباء الى الريف التي أنهت سيادة جهاز الراديو عليه الذي كان أكثرها رواجاً ، علاوة على ذلك ظهرت الأطعمة الجاهزة كالشكولاته ، والايس

١-رئاسة الجمهورية،الزراعة والري، المجلد ١، ص٣٩٧.

٢-عبد الفتاح عبد النبي،المصدر السابق، ص١٠٤.

٣-سعد الدين إبراهيم وآخرون، المصدر السابق، ص٣٤٣.

٤-كانت الحكومة المصرية تعاقدت مع الاتحاد السوفيتي على ايصال التيار الكهربائي الى الريف المصري في عام ١٩٧١ بمبلغ قيمته ٦٠مليون روبل مايعادل (٦٥٢١٧,٣)ألف جنيه تقريباً ، لتغطية تكاليف مد خطوط الكهرباء والآلات اللازمة لتنفيذ عملية الكهربة بقسط يصل إلى ١٢عاما. لمزيد من التفاصيل ينظر:د.ك.و ، وزارة لزراعة والإصلاح الزراعي العراقية،التنسيق الاقتصادي بين العراق ومصر، رقم الملفة٤٢٠٧٠٠/٤٥٥، ٢٦ /آذار/١٩٧١، رقم الوثيقة ٨، ص٨.

٥- نقلاً عن محمد مندور الديب و عبد الخالق الشهابي،المصدر السابق، العدد١٣٧ ،آب ١٩٧٢،ص٤٢.

كريم، والألبسة الفاخرة التي كانت مقصورة على أبناء المدن فقط ، التي لم يكن الفلاح البسيط يفكر في تملكها وذلك ماقلص الفجوة بين الريف والمدينة [1].

حتى اخذ الريف المصري يتحول إلى مناطق سياحية مستفيداً من الكهرباء التي أضاءت القرى الريفية فصار السواح يقصدوها للاستئناس بجوها وطبيعتها، وليشاهدوا روعتها وتصدرت هذه السياحة محافظة أسوان التي أصبحت بعض قراها محاطة ببحيرة السد العالي، مما يضفي عليها روعةً وجمالاً جعل السياح الأجانب يقصدوها دائماً لاسيما في الليل حيث تكون أكثر روعة[2].

في حين مرت التحولات الاجتماعية في المدن بمرحلتين ؛الأولى امتدت من عام ١٩٥٢-١٩٦١، وتميزت بعدم تدخل الحكومة المصرية بالوضع الطبقي الذي كان يعيشه الشعب المصري في محاولة للحصول على دعم خارجي من المعسكر الغربي يمكن أن يسد حاجة مصر من الأموال اللازمة للمباشرة في بنائه ،وبما أن ذلك لا يمكن حدوثه أذا انتهجت مصر نظاماً اشتراكياً ، ولهذا استمرت بأتباع النظام الرأسمالي وعدم التعرض للطبقات المتنفذة، لكنها منذ ان رفض كبار الرأسماليين المصريين المساهمة في تمويله [3] ، وتخلي الغربيون عن وعودهم بتمويل السد العالي ، بدأت الحكومة المصرية تبتعد عن النظام الرأسمالي وتتحول الى الاشتراكية من خلال التدخل المستمر في توجيه السوق وفرض القيود على تحركات رجال الرأسمالية الكبار حتى حدث التحول الكبير في تموز عام ١٩٦١ ، حيث تم تأميم الاقتصاد المصري مما جرد طبقة كبار رجال الرأسمالية من امتيازاتها وأملاكها [4].

وقد بدأت طبقة البرجوازية الصغيرة التي تتألف من صغار التجار وأصحاب الحرف وموظفي الدولة تجني ثمار التأميم ، اذ تخلصت من طبقة كبار الرأسماليين التي كانت تسد

١-عبد الفتاح عبد النبي، المصدر السابق، ص٦٩-٧٠.

٢-أمنية مختار ياقوت ،كيفية اجتذاب أسواق وشرائح جديدة للأسواق السياحية المصرية ،مجلة البحوث السياحية،العدد ٤ ،ايلول٢٠٠٩ ،ص١٨-٢١.

٣-د.ك.و ،ملفات البلاط الملكي،السفارة الملكية العراقية في القاهرة، رقم الملفة٢٦٧٧/٤،٣١١/أيار/١٩٥٥، رقم الوثيقة٢٧ ،ص٦٣.

٤-يذكر الكاتب والمفكر اليساري "فؤاد مرسي" لم تكن فكرة تأميم الاقتصاد المصري والتحول بمصر نحو الاشتراكية لدى الرئيس المصري (جمال عبد الناصر)فكرة مبيتة من قبل ، وإنما هي صناعة الظروف التي مرت بها مصر وذلك عندما لا حظ سير الطبقات المتنفذة عكس سياسة الدولة الرامية إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين واقع الطبقات الفقيرة ، و مايؤكد تلك الحقيقة، قول جمال عبد الناصر في لقاء=

عليهم أي تحرك داخل السوق ،فوجدت أن الفرصة سانحة لممارسة دورها المغيب لمدة طويلة خصوصاً بعد حدوث الانقلاب عن الوحدة في سوريا في عام ١٩٦١، و فشل سياسة الحكومة بالتعامل مع الإقطاعيين والرأسماليين بشكل لين ، واستغلال الأخيرين المجال الذي فسحته لهم الحكومة فقاموا بإسقاط تجربة الوحدة التي أضرت بمصالحهم هناك [١].

وكان من الذين تأثروا بزوال هيمنة الرأسمالية الكبيرة هم صغار التجار(تجار التجزئة) [٢]، حيث تزايدت أعدادهم من ١٥٢الف تاجر تجزئة في عام ١٩٤٧ لتبلغ في إحصاء عام ١٩٦٥حوالي ٢١٧,١٨٣ ألف تاجر فيما انخفض عدد تجار الجملة المتحكمين في السوق السوداء قبل تنفيذ السد العالي من ١٥الف قبل بنائه الى ٦,١٧١ الآلاف تاجر جملة بعد بنائه [٣]، فانصب ذلك في مصلحة تجار التجزئة حيث أصبحوا أكثر حرية في ممارسة نشاطهم التجاري داخل السوق المصرية ، ويمكن ملاحظة ذلك وبشكل واضح كما مبين في الجدول رقم (٦).

مجموعات تجار التجزئة حسب الدخل السنوي	عدد التجار بالألف	النسبة بالمائة
اقل من ٢٥٠ جنيه	٢٦٨٣١٢	٥٧,٥
من ٢٥٠-٥٠٠جنيه	١٥٩٨٥٩	٣٤,٢
من ٥٠٠جنيه -١٠٠٠ج١يه	٢٠٦٠٦	٤,٤
من ١٠٠٠جنيه فأكثر	١٨٠٦٦	٩,٣
المجموع	٤٦٦٨٤٣	١٠٠

جدول رقم (٦) يوضح أعداد ودخول تجار التجزئة [٤].

= أجرته معه أحدى الصحف الأمريكية، وسألته عن التأميم هل كان عملاً مبيتاً ام أنه أجراء ارتجالي فأجاب جمال بأنه لم يكن مخططاً له من وقت مسبق، على الرغم من ان الاشتراكية لا تخرج عن حيز العدالة الاجتماعية التي كان الضباط الأحرار أطلقوها بعد الثورة مباشرةً .لمزيد من التفاصيل ينظر:فؤاد مرسي ،مفهوم الاشتراكية عند جمال عبد الناصر،مجلة الوحدة ،العدد٧٥، المجلس القومي للثقافة العربية ،كانون الاول١٩٩٠،ص٤٦.

١-السكرتارية العامة للحكومة ،المصدر السابق،الاجتماع رقم ١ ،ص٣١؛ يونان لبيب رزق،شئون وشجون تاريخية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠٠٥،ص٣١ .

٢-كامل زهيري،موسوعة الهلال الاشتراكية ،مطابع دار الهلال،القاهرة، ١٩٧٠،ص١٧٤-١٧٥ .

٣-احمد حمروش،البحث عن الاشتراكية ،ج٤، ص٢٠٩. =

ويتبين من الجدول رقم (٦) التباين الواضح في مداخل تلك الطبقة فالذين يملكون دخلاً سنوياً اقل من ٢٥٠ جنيه كانت نسبتهم٥٧,٥% بينما أصحاب الدخول العالية وعلى قلّتهم، فأن نسبتهم هي ٣,٩% الا أن رأس المال بيدهم، حيث يزيد دخلهم السنوي على١٠٠٠جنيه والحقيقة ان ذلك التفاوت مرده إلى عدة أسباب، لعل من أهمها : اختلاف مناطق التبادل التجاري فتجار الإسكندرية والقاهرة يختلف وزنهم الاقتصادي عن بقية المناطق المصرية من جهة، كما تلعب حاجة الناس والوضع السياسي دوراً في تغليب بعضهم على بعض فمثلاً ارتفعت أرباح تجار الحديد كثيراً ، لأنهم كانوا يبيعون الحديد في السوق السوداء بأسعار باهظة الثمن[1]، مستغلين ضعف الرقابة الحكومية على السوق في مرحلة حرب عام ١٩٦٧[2].

كما ان تجار الجملة ، ورغم ما تعرضوا له من تفكيك ومصادرة لأملاكهم واستيلاء تجار التجزئة على كثير من نشاطات القطاع الخاص، ألا أنهم احتفظوا بخبرتهم الطويلة في التبادل التجاري من جهة، وإمكانيتهم المالية الكبيرة في استعادة نفوذهم وقدرتهم على مسك السوق مجدداً من جهة اخرى، مستفيدين من الظروف السيئة التي أوجدتها حرب ١٩٦٧ حيث اخذ النظام المصري يتعرض لضغوط خارجية كثيرة، لعل أبرزها حاجته الى دعم الدول النفطية الخليجية له، لاسيما من الناحية الاقتصادية نتيجة الخسائر الجسيمة التي ألمت بمصر من جهة وتأثير الإنفاقات المالية الضخمة على المؤسسة العسكري على ميزانية الدولة ماجعلتها تفسح المجال لظهور تجار الجملة من جديد ،حتى بلغت قيمة استثماراتها في عام ١٩٦٨ حوالي ١٣٠ مليون جنيه [3] . وهكذا يظهر بوضوح أخفاقات النظام الاشتراكي وعدم قدرته على مسايرة الأوضاع الجديدة، بخلاف النظام الرأسمالي الذي استثمر الظروف وتمكن من الظهور مجدداً كبديل ناجح لمعالجة أزمات الدولة المصرية.

وأما الشريحة الأخرى والمكونة للبرجوازية الصغيرة هي شريحة أصحاب الأعمال الصناعية

= ٤-أيغور بيليايف وافغيني بريماكوف، المصدر السابق،ص٢١٤ .

١-المصدر نفسه، ص .

٢-صلاح الدين إبراهيم، مصر التي في خاطري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٠-٥١.

٣-السيد زهرة، أحزاب المعارضة و سياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣١.

الصغيرة التي توسعت كثيراً بعد بناء السد العالي بفعل التطورات الاقتصادية التي شهدتها مصر، إلى جانب ازدياد حجم النشاط الاقتصادي للقطاع الخاص لاسيما في مجال التجارة الداخلية بعد أن فسحت له الحكومة المجال لممارسة دوره في التنمية الاقتصادية ، فضلاً عن ذلك ان الأعمال الصغيرة لم تتعرض لأي مصادرة أو تأميم مما حافظ على نشاطها الاقتصادي رغم ظهور الصناعات الكبيرة الحجم [١]، ما ساعد على انتشارها في جميع أنحاء الجمهورية حتى بلغ عدد العاملين فيها في أواخر الستينيات من القرن العشرين حوالي١٦٩ ألف عامل، بينما كانت لا يزيد عدد عمالها على ٥٧ ألف عامل في الأربعينات [٢].

ألا أن أضخم شرائح طبقة البرجوازية الصغيرة، وأهمها هي شريحة موظفي الدولة التي احتلت مكانة مرموقة فيها نتيجة تأميم الاقتصاد المصري، وقيادة القطاع العام للنشاط الاقتصادي ، فتوسعت هذه الشريحة كثيراً حتى بلغ عدد أفرادها حوالي ٢,٢مليون موظف بعد ان كانت لاتزيد في عدد أفرادها على ٣٥٠ ألف موظف اغلبهم من الخريجين[٣].

وقد احتلت فئة المهندسين والأطباء الحيز الأكبر فيها، مستفيدة من التطور الصناعي والتحسن في الواقع الصحي وخصوصاً المهندسين، حيث شكل السد العالي ومحطته الكهربائية والمشاريع التي تأثرت به من تطور صناعي وزراعي أسهمت في جلب الاهتمام الحكومي لهم ، ورفعت من مكانتهم وساهمت في زيادة أعدادهم ، بعد ان كانت الأعمال الهندسية غير مرغوبة ولا تأخذ قيمة اجتماعية توازي الأعمال القانونية والطبية التي كانت تأخذ الصدارة والاهتمام الاجتماعي ، غير ان ذلك الوضع تغير منذ بناء المشروع، حيث أدركت الحكومة المصرية لزوم الاهتمام بتلك الفئة وتفضيلها على الفئات الأخرى، حتى أصبح أصحاب المناصب الإدارية المهمة والقيادية في الحياة المدنية في الدولة من المهندسين، فيما كانت حكراً على رجال القانون، وفي هذا الشأن تذكر إحصائية حكومية في عام١٩٧٠ انه بلغ عدد المدراء في ٢٤٤شركة حكومية من المهندسين ما نسبته ٨٥% [٤].

وقد اهتمت الحكومة بتلك الفئة، وبخاصة مهندسي المشاريع الزراعية التي وقع عليها عبأ

١–لم تطلها قوانين تموز بالمصادرة، لان اغلبهم لا تزيد أملاكه على ١٠ ألاف جنيه.لمزيد من التفاصيل ينظر: لطفي الخولي،دراسات في الواقع المصري،ص١٥١.

٢– محمود عبد الفضيل ،المصدر السابق،ص٢١٦.

٣–أسامة الغزالي حرب،المصدر السابق ،ص١٢٠.

٤–محمود عبد الفضيل، المصدر السابق، ص ٢٢١ .

أخراج ثمار السد العالي للعيان ، فقد وزعت عليهم الدولة أراضي زراعية في مناطق الاستصلاح الزراعي بمساحة تصل مابين ٢٠-٣٠فدان للمهندس الواحد أحيانا [١]، وهذه الميزة وغيرها من الميزات المشار أليها آنفاً ، التي نالها المهندس بعد السد العالي ، ساهمت في زيادة عدد أفرادها حتى وصل عددهم في السنين اللاحقة[٢] لبنائه إلى ٤٤,٧٧١الف مهندس ، بينما لم يزد عددهم على ١٦,٧٧٠ ألف مهندس عام ١٩٦٢اي بزيادة تصل إلى ٢٨,٠٠١ ألف مهندس[٣].

في حين استمرت فئة الأطباء محافظتها على حيويتها و قوتها منذ العهد الملكي ألا ان الأوضاع الصحية الجيدة والعناية بهذا القطاع بعد بناء السد العالي ساهمت في ازدياد مكانتها وأعدادها حتى بلغ عدد الأطباء المنضوين تحت نقابات الأطباء(نقابة الأطباء ،نقابة أطباء الأسنان، نقابة الأطباء البيطريين هذا بالإضافة إلى نقابة الصيادلة) التي تأسست عام١٩٤٢،[٤] فأن اعددها كان كان لايزيد على (٥٠٠٠) طبيب بمعدل طبيب لكل٤٣٠٠نسمة ليزاد عددهم كثيراً إلى ١٨الف طبيب بمعدل طبيب لكل٢٠٠٠ نسمة عام١٩٧٠[٥] .

كما أسهمت مجانية التعليم في مصر، وبخاصة التعليم العالي في عام١٩٦٠ في تنامي الطبقة البرجوازية الصغيرة بدخول أفرادها العمل الرسمي، واحتلالهم مناصب مرموقة[٦].

أن ظهور التنمية الاقتصادية الشاملة التي شهدتها مصر بعد بناء المشروع، أدت إلى امتصاص البطالة من المدن والريف بشكل كبير نتيجة ارتفاع حجم الاستثمارات الضخمة التي تركها السد العالي على قطاع الزراعة، وبقية القطاعات الأخرى طيلة مدة العمل به والتي أسهمت في رفع حجم العمالة المصرية بعد بنائه إلى(٨,٣)مليون عامل منهم (١٢٥٠، ٤) مليون عامل بالجهاز الحكومي عام ١٩٧٠، فيما كان أقصى مابلغه تشغيل الأيدي العاملة في مصر قبل بنائه حوالي(٦)ملايين عامل [٧].

١-ايوجين ڤيرت ،المصدر السابق، ص٢١٦.

٢- المقصود بالسنين اللاحقة هو عام١٩٧٢.

٣-لمزيد من التفاصيل، ينظر: محمود عبد الفضيل، المصدر السابق، ص٢٢٢.

٤-المصدر نفسه ،ص٢٢٢.

٥- سعد الدين إبراهيم وآخرون،المصدر السابق،ص٥٢٥

٦-يونان لبيب رزق،المصدر السابق،ص٣٩.

٧-شريف قاسم، البطالة في مصر دراسة لأهم فروض محددات الأزمة، مجلة الوحدة، العدد٨٦، المجلس القومي للثقافة العربية، تشرين الثاني١٩٩١، ص١٣٢-١٣٥.

وقد احتلت الزراعة الصدارة من بين قطاعات الاقتصاد المصري في تشغيل الأيدي العاملة

، اذ بلغ عدد العاملين فيها بعد بناء لسد العالي حوالي ٤،٠٤٨ مليون عامل ، بينما كانت قبله لا تزيد على ٣،٢٤٥مليون عامل ، وبذلك لم يظهر ما يضاهي الزراعة في قدرتها على استيعاب الكثير من العمالة، فهي مصدر رزق لعدد كبير من أبناء الريف الذين يتفوقون على سكان المدينة عددياً [(١)].

فضلا عن ذلك يحتل قطاع الخدمات المرتبة الثانية بعد الزراعة ، من حيث تشغيل الأيدي العاملة المصرية حيث يشغل ١،٧٥١مليون عامل بعد بنائه وذلك في عام ١٩٧٠، فيما كان حتى عام١٩٦٠ لايشغل أكثر من ١،١٠٨ مليون عامل [(٢)]. ويبدو أن تلك الزيادة مردها الى التطور الكبير الذي طرأ على قطاعاته من السياحة والنقل النهري والإسكان وغيرها والتي أسهمت في زيادة حجم العمالة التي استقطبها.

الواقع ان الحكومة المصرية، ومنذ بناء المشروع أخذت تتجه نحو تنويع اقتصادها لتتخلص من الأحادية، التي كانت تهيمن عليه طيلة مدة الاحتلال البريطاني لمصر، لتتفادى مشكلة الانفجار السكاني الذي يتطلب منها معالجات حقيقية كي تتمكن من امتصاص البطالة من المجتمع ، وبما أن الزراعة لا تستطيع لوحدها ان تشغل كل العمالة المصرية، مما سينعكس سلباً على الوضع السياسي والاجتماعي للبلد، فكان لابد من تنشيط القطاعات الاقتصادية الأخرى من صناعة وخدمات وغيرها من اجل ذلك [(٣)].

ونتيجةً لتلك السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة، انخفضت أعداد البطالة في مصر

١-بلغ عدد سكان الريف في عام ١٩٧٠ نحو١٩،٢مليون نسمة، فيما كان عدد سكان المدينة ١٤،٠٤ مليون نسمة من عدد السكان الكلي والبالغ ٣٣،٣مليون نسمة. لمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم لطفى عوض ،ظاهرة الركود التضخمي في الاقتصاد المصري دراسة تحليلية، كلية التجارة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٧،ص ٢٨٧؛ احمد حمروش،البحث عن الاشتراكية،ص١٩٧.

٢-لمزيد من التفاصيل ينظر:محمود عبد الفضيل ،ص١١١؛فتحي محمد أبو عيانة،السكان والعمران الحضري بحوث تطبيقية في بعض الأقطار العربية ،دار النهضة العربية،بيروت،١٩٨٤،ص٢٥٩ص٢٧٣.

٣-تنبه كثير من الخبراء الاقتصاديين وبعض الشخصيات السياسية ،ومنهم الرئيس المصري جمال عبد الناصر، إلى أن الزراعة لايمكن ان تواكب الزيادة السكانية في المستقبل التي قدروا أنها بعد عشر سنين من بناء السد العالي ستصل إلى ٤٠ مليون نسمة، فكان ذلك من الأسباب الرئيسية التي دفعت الحكومة المصرية الى استثمار فوائد المشروع الأخرى كالكهرباء في تنشيط قطاعات الاقتصاد المصري المتعددة ؛ كالصناعة والخدمات لتشغيل الأيدي العاملة المصرية ما يخفض من حجم البطالة. لمزيد من التفاصيل ينظر: أيغور بيليايف وافغيني بريماكوف،المصدر السابق، ص١٩٦؛ محمد جابر الأنصاري،تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي١٩٣٠-١٩٧٠، عالم المعرفة ،الكويت،١٩٨٠،ص٩٦.

كثيراً فبعد ان كانت أعداد السكان النشيطين اقتصادياً [1] البالغ عددهم ٧,٧مليون نسمة كانت معدلات البطالة بينهم كبيرة وتصل إلى ٢٨٨ ألف عاطل عن العمل في عام ١٩٦٠ تغيرَ ذلك الوضع تغيراً ملموساً على الرغم من تزايد أعداد السكان والذي وصل عام ١٩٦٦ الى٣٠,٨مليون نسمة ألا أن معدلات البطالة انخفضت بعده حتى وصلت إلى ١٩٨ ألف عاطل عن العمل فقط[2] ، والذي ساهم في تقليل عدد العوائل الفقيرة من ٣٥%في المدة مابين عام ١٩٥٨-١٩٥٩الى ٢٧%في عام ١٩٦٤-١٩٦٥،فضلاً عن ذلك ارتفع حجم الأجور من ٣٨%عام ١٩٥٠ الى ٥٠%عام ١٩٦٧-١٩٦٨[3] . وهكذا يمكن القول أن التطورات الاقتصادية التي أوجدها مشروع السد العالي عملت على أيجاد مجمعات بشرية جديدة مجهزة بالخدمات الصحية والتعليمية .

١-السكان النشيطين اقتصادياً :مصطلح اقتصادي يطلق على الفئات العمرية من السكان، القادرة على العمل وهم ٦ سنوات فأكثر او ١٢سنة فأكثر حسب البيئة الاجتماعية. لمزيد من التفاصيل ينظر :محمد جلال مراد،البطالة والسياسات الاقتصادية، جمعية العلوم الاقتصادية السورية،دمشق ،د.ت،ص٢-٤؛ سعد الدين ابراهيم وآخرون ،المصدر السابق، ص٤٨٠-٤٨٨.

2-Mohie Eldin, Employment Problems and Policies in Egypt ,Beirut ,1975 , p.21.

٣-نادية رمسيس فرح،الاقتصاد السياسي المصري دور علاقات القوة في التنمية ، تقديم: السيد يس، تعريب: مصطفى قاسم، المركز القومي للترجمة،القاهرة،٢٠١٠،ص٥٥.

المبحث الثاني: أثر السد العالي في التوسع العمراني محافظة أسوان نموذجا وتحسن الحالة الصحية والتعليمية في مصر عموماً.

اولاً :التوسع العمراني

أسهم توفر الموارد المائية الكافية وتوليد الطاقة الكهربائية الرخيصة من السد العالي، الى حدوث تنمية اجتماعية في الريف والحضر توضحت أبهى صورها، في التوسع العمراني الذي اخذ بالظهور في مصر منذ عام ١٩٦٠. فقد شهدت البلاد أنشاء المجمعات السكنية في مختلف مدنها وقراها متماشية مع التقدم الاقتصادي والنمو الحضاري للسكان ولأجل التعرف على التوسع العمراني فيها في مدة بنائه ينظر الجدول الآتي:

مستوى الإسكان(١)	عدد الوحدات السكنية المشيدة مابين ١٩٦٠-١٩٦٥	عدد الوحدات السكنية المشيدة مابين ١٩٦٦-١٩٧٠	المجموع
١- الإسكان الحضري			
الإسكان الاقتصادي	٥٠,٣٦١	٤١,٥٥٢	٩١,٩١٣
الإسكان المتوسط	٨,٩٥٤	١٤,٣٧٨	٢٣,٣٣٢
الإسكان فوق المتوسط	٤٧٠	١٨٠	٦٥٠
٢ -الإسكان الريفي			
مناطق الريف القديمة	٢,٧٥٧	٢,٩٣٠	٥,٦٨٧
مناطق الاستصلاح الريفي الجديدة	٣١,١٨٣	٢١,٥١٥	٥٢,٦٩٨

جدول رقم (٧)يوضح تطور بناء الوحدات السكنية مابين ١٩٦٠-١٩٧٠(٢).

١-مستويات الإسكان :ويقصد بها نوعية المسكن حسب مداخل أفراده، فالمسكن الاقتصادي فيكون لأصحاب الدخول المنخفضة الذي يبلغ أيجار المسكن فيه ٣جنيه شهرياً ، والمسكن فوق المتوسط لأصحاب الدخول الجيدة ويبلغ أيجار المسكن فيه ٣-٥ جنيه شهرياً ، وأخيراً المسكن فوق المتوسط ويكون لذوي الدخول المرتفعة ويبلغ أيجار المسكن خمسة جنيهات فأكثر شهرياً. لمزيد من التفاصيل ينظر : محمود عبد الفضيل ،المصدر السابق، ص١٧٧؛ محاضر الاتحاد الاشتراكي، المصدر السابق،٢١/نيسان/١٩٧٠،نقلاً عن (www.Nasser.com).

٢- محمود عبد الفضيل ،المصدر السابق، ص١٧٩.

ويظهر الجدول رقم (٧) الاهتمام الحكومي ببناء الوحدات السكنية من اجل امتصاص الزخم عن المدن والقرى القديمة، التي صارت تعاني من ازدحام السكان فيها وعدم قدرتها على تلبية متطلبات ساكنيها من الخدمات فجاء أنشاء الوحدات السكنية منفذاً لها في مطلع الستينيات ، وحفلت المرحلة الأولى منها(١٩٦٠-١٩٦٥) بالكم الأكبر في بناء الوحدات السكنية[١] قياسا بالمرحلة الثانية (١٩٦٦-١٩٧٠)، بسبب تفرغ الحكومة لعملية التنمية وعدم انشغالها بعملية تسليح الجيش المصري وإعادة هيكلته بعد هزيمة ١٩٦٧ وما لحقها من حرب الاستنزاف عام١٩٦٩-١٩٧٠ [٢]، فقد ركزت الحكومة المصرية على بناء الوحدات السكنية ولأصحاب الدخول المنخفضة الذين يمثلون أغلبية الشعب المصري، فأعطتهم الأولوية في ذلك كي يتم النهوض بواقعهم المعيشي المتدهور حيث بنت لهم في المدة ١٩٦٠-١٩٧٠نحو ٩١٩١٣ وحدة سكنية اقتصادية وكانت تلك على نحو التطور العمراني في المدن[٣].

إما في الريف، فقد بنت فيه العديد من المجمعات السكنية لاسيما مناطق الاستصلاح الزراعي، وذلك وفق طريقة القرى المركزية التي تقوم على أساس تقسيم المجمعات السكنية الى عدة قرى مركزية، في وسطها عاصمة أدارية تتجمع فيها الخدمات، من مدارس ثانوية وابتدائية ومستشفى ومؤسسات حكومية وبنوك ، وهذه القرى المركزية تقسم الواحدة منها الى خمس قرى فرعية ، ومحاسن تلك الطريقة هي تقليل النفقات المالية على عاتق الحكومة وربط أبناء الريف فيما بينهم ، ألا أنها تحرم اغلب القرى الفرعية من التطور ومواكبة روح العصر [٤]. ونتج عن ذلك التوسع العمراني ظهور العديد من المدن والقرى الجديدة داخل زمام الشركات الزراعية وصل عددها الى عشر مدن و١١٢ قرية مركزية و٣١٦ قرية تابعة [٥] ، ضمت في

١-جريدة الأهرام، العدد ٢٨٢٧١، ٦/أيار/١٩٦٤.

٢-حرب الاستنزاف:هي مصطلح عسكري أطلقه المصريون على تلك الحرب البرية والجوية التي حدثت بين مصر وإسرائيل في ٨اذارعام١٩٦٩واستمرت الى ٨اب عام ١٩٧٠، والتي ابتدأتها القيادة المصرية ضد إسرائيل في محاولة منها، لضرب دفاعات الجيش الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء المصرية ورفع معنويات الجيش المصري الذي هزم شر هزيمة في حرب عام ١٩٦٧، وما يميز تلك المواجهات أنها تسببت في الأضرار بمصانع ومعامل السويس وغيرها من المدن ، وعرضت المدنيين المصريين الى خطر الضربات الجوية المباغتة. لمزيد من التفاصيل ينظر:حسين العشى،المصدر السابق،ص٣٧-٤١.

٣-محمود عبد الفضيل ،المصدر السابق، ،ص١٧٩-١٨٠.

٤-محمد خميس الزوكه،المصدر السابق، ص١٩٦-١٩٧.

٥-رئاسة لجمهورية، الزراعة والري، المجلد ١، ص٣٩٧.

داخلها العديد من المصانع والمعامل والمرافق الخدمية، ومن ابرز المحافظات التي ظهرت فيها تلك التطورات هي محافظة أسوان والقاهرة والسويس والإسكندرية وغيرها(١).

فضلاً عن ذلك، تم تغذية المناطق الجديدة بشبكات الكهرباء والخدمات العامة من مستشفيات ومحطات تصفية مياه الشرب وبنوك حكومية ومكاتب بريد وشقت العديد من الطرق البرية والحديدية فيها، التي أصبحت تربط المدن وتقربها وتسهل على ساكنيها الارتباط بالمحافظات والعاصمة بسهولة، فبلغ مجموع أطوال الطرق البرية التي نفذت بعد بناء السد العالي حوالي ٢٢,١٢٤الف كم منها ٩,٦٩٣الف كم في الوجه البحري و٧,٣٦٥ ألف كم في الوجه القبلي(٢)، بينما كانت قبل ذلك لا تتعدى مجموع أطوالها ١٧,٠١٤الف كم، واغلب الطرق الجديدة هي طرق تربط المناطق الجديدة بالمناطق القديمة؛ وأهمها طريق القاهرة –الصعيد الذي يربط كل محافظات الوجه القبلي وأسوان بالقاهرة بطول يناهز ٩٠٠كم ، وطريق الوجه القبلي البحر الأحمر وطريق الوجه القبلي– الوادي الجديد ، بالإضافة الى مد شبكات من الخطوط الحديدية الى داخل المدن والقرى الجديدة وربطها بالقديمة حيث بلغ أطوالها حوالي ٤٢٠٠كم ؛ أهما خط القاهرة –الصعيد –السد العالي وخط القاهرة الإسكندرية وخط القاهرة العريش وتوقف الأخير منذ عام ١٩٦٧ بسبب احتلال إسرائيل لمنطقة سيناء(٣)، ولعل أهم منجزات السد العالي هو أحلال الديزل بدل البخار في تسيير القطارات، مما أسهم في تحسين مستوى الخدمة التي تقدمها القطارات، بحيث أصبح بإمكانها ان تقطع في السنة مسافة قدرها ٦٨مليون كم، فيما كانت قبل بنائه أقصى ما وصلت أليه هو٥٨مليون كم في السنة(٤). والمرجح ان تلك الانتقالة من البخار الى الديزل عائدة الى توقف الحكومة المصرية عن بناء المحطات الحرارية التي تحتاج الى ذلك الوقود من جهة، وحلول الكهرباء محله في تشغيل المصانع .

وقد كلفت عملية بناء المساكن الجديدة وتزويدها بالمرافق العامة، من مستشفيات وأسواق ومدارس وبنوك وغيرها حوالي ٥١,٥مليون جنيه من التكلفة الإجمالية لبناء السد العالي والمقدرة ب ٤٠٠مليون جنية لبنائه، وملحقاته من استصلاح زراعي وتعويض سكان النوبتين

١–سمير سرحان،المصدر السابق،ج٣،ص٧٢.

٢–يسرى الجوهري،جغرافية مصر السياحية ، مكتبة الإشعاع ،الإسكندرية ، ١٩٩٨، ص١٢٤.

٣–محمد حجازي محمد، المصدر السابق، ص١٣٢–١٣٣.

٤–جريدة الأهرام، العدد٢٧٩٦٢، ٢/تموز/١٩٦٣.

المصرية والسودانية وإنشاء محطة السد الكهربائية باعتباره مشروع متكامل [١].

الواقع أن محافظة أسوان، كانت أكثر المحافظات المصرية تأثراً بالسد العالي ، بحكم قربها منه واحتضانها له ، فأصبحت محط الاهتمام الدولي والمحلي و مقصد العمالة المصرية، مما ساهم في تحولها إلى مدينة صناعية وسياحية كبيرة ، لذا ارتأت الحكومة المصرية أن تعيد النظر في التخطيط الإداري للمحافظة، وفقاً للتطورات التي شهدتها المحافظة بعد تنفيذه ، قرر مجلس الوزراء في عام ١٩٦٣ أنشاء مجلساً للتخطيط الإقليمي فيها [٢]، تولى هذا المجلس أعادة تخطيط مدينة أسوان(مركز المحافظة) وتحويلها إلى مدينة كبيرة تتلاءم مع كونها مركز لأكبر محافظات مصر بإدخال ٤٥فدان خارج المدينة إلى حدودها الإدارية وإعادة تقسيم المدينة إلي ثلاث قطاعات هي القطاع الغربي والقطاع الشرقي والقطاع الجنوبي منها [٣]، فضلاً عن ضم منطقة السد العالي الواقعة جنوبها إلى حدودها ، فصارت بذلك تضم العديد من الوحدات السكنية الجديدة لاسيما بعد ضم مستعمرة السد العالي التي كانت تتكون من ١٠٠عمارة سكنية بسعة ٢٠٠٠ منزل موزعة على ثلاث مناطق هي كيما وصحاري سيتي والسيل وتلك المناطق كانت نائية نمت وتطورت بفعل المشروع وأصبحت تحوي كل مقومات الحياة المدنية من كهرباء وماء وسينما وغيرها [٤]، ولقد روعي في بناء المساكن الجانب الإنساني حيث اهتمت الدولة بأصحاب الدخل المحدود من عماله وقامت ببناء ١٥ عمارة لهم بمعدل ٢٠منزل في كل عمارة، وكانت تلك المساكن مكيفة ومجهزة بالكهرباء والخدمات على الرغم من وقوعها في تلك المنطقة النائية ، بالإضافة إلى أنشاء الحكومة المصرية ١٦٠٠منزل في أسوان لذوي الدخل المحدود و١٣ عمارة في مدينة ادفو ومدينة كوم امبو[٥].

فتحولت أسوان من محافظة طاردة للسكان تفتقد لأبسط الخدمات، وسكانها يتنقلون بين

١-طاهر أبو الوفا،المصدر السابق، ص,١٥٠

٢-رئاسة الجمهورية،الزراعة والري، المجلد ١، ص,٣٩٨

٣-الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء " النتائج النهائية لتعداد السكان – محافظة أسوان " مرجع رقم ١١٠٢، كانون الأول ١٩٩٨، ص ٥ ، نقلاً عن عمر محمد على محمد، جغرافية العمران الريفي في محافظة أسوان دراسة في الجغرافية التطبيقية ، ملخص رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة حلوان ، ١٩٩٩ ،ص ٦.

٤-صنع الله إبراهيم وآخرون ،المصدر السابق، ص٢٢ص١٠٤.

٥-جريدة الأهرام،العدد ٢٨٠٦٠ ، ٨/ تشرين الأول/١٩٦٣.

المحافظات المصرية طلباً للعمل حتى هجرها خمسين ألفاً من سكانها إلى المدن الكبرى في مصر ، إلى محافظة تصنف من النوع الجاذب للسكان ،حالها في ذلك حال القاهرة والإسكندرية والسويس حيث ارتفع عدد سكانها في غضون ثلاث سنين من بناء المشروع إلى ١٥٠ ألف نسمة بعدما كان لايتعدى عددهم أكثر من ٣٠ ألف نسمة (١).

فيما شهد ريف المحافظة، والمعروف باسم بلاد النوبة (أي بلاد الذهب)(٢) ، تطوراً كبيراً لا مثيل له في تاريخ مصر المعاصر، وذلك عندما عمدت الحكومة المصرية على نقلهم من موطنهم الأصلي في النوبة القديمة التي كانت مقسمة إلى ثلاث مناطق رئيسية ؛وهي وادي الكنوز الذي يحاذي منطقة السد العالي، ومنطقة وادي العرب (ذات الأغلبية العربية) وتقع مابين وادي الكنوز ومنطقة الفديجة ، وأخيراً الفديجة وتقع على الحدود المصرية السودانية (٤)ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤٨ ألف نسمة (٣).

الواقع ان حملة إنقاذ النوبة هي اكبر عملية تهجير حدثت في تاريخ مصر طوال القرن العشرين، وحصلت في الأول من تشرين الأول عام ١٩٦٣، وتمت وفق اعتبارات اجتماعية واقتصادية إلى منطقة كوم امبو حيث سكنوا هناك ، وزودت مناطقهم الجديدة بكل الخدمات من مدارس بمستوياتها المختلفة ابتدائية ومتوسطة وإعدادية ومراكز اجتماعية ومعاهد للتدريب المهني ومساجد وصالات الاجتماع، كما زودت بمستشفى كبير مع وحدات علاجية متنوعة(٤).

كانت عملية التوطين تتم خارج مدينة كوم امبو بشكل نصف دائري وبطول ٦٠كم وبعرض ٣كم بمسافة تبعد عن ديارهم القديمة، بما يناهز ٣٥٠كم (٥) في٣٣ قرية مع عاصمة أدارية

١-رئاسة الجمهورية،الزراعة والري ،المجلد ١، ص٣٩٨.

٢-تعود تلك التسمية إلى أنه في عهد الفراعنة ، كانت تلك المنطقة تحتوى على العديد من مناجم الذهب في منطقة وادي العلاقى، لذلك سميت المنطقة في أغلب الخرائط المرسومة أيام الفراعنة بأسم (النوبة) وتعني باللغة القبطية "الذهب" ، ومنها أشتق أسم (النوبي) الذي يطلق على سكان هذه المنطقة . لمزيد من التفاصيل ينظر: http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=071e076ef8c975f8.

٣-جريدة الأهرام ،العدد ٢٧٩٤٤، ١٤/ حزيران /١٩٦٣.

٤-كان عدد سكان النوبة ١٠٠ ألف نسمة، منهم من غادر النوبة قبل عشرات السنين ، بفعل غرق أراضيها بعد بناء سد أسوان القديم وتوطن مناطق أخرى في مصر، وقسم آخر بقى فيها حتى بني سد أسوان العالي ، وهؤلاء لا يتجاوز عددهم ٤٨الف نسمة. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد كامل مشرف،من أمجاد بلادي السد العالي، الدار القومية،القاهرة، ١٩٦٤ ،ص٥٦؛ Weal Kamal Mahmoud ,The Aswan High Dam, Faculty of Engineering, CairoUniversity,2008-2009,p.5.

٥-رئاسة الجمهورية، الزراعة والري، المجلد ١، ص٣٩٧.

تضم ١٦ الف مسكن حكومي أطلقت عليها اسم "النوبة الجديدة"[١].

كانت الأسس التي اعتُمِدَت في توطين وتمليك سكان النوبة هي:

١-اختيار المنطقة الشمالية للنوبة الجديدة، لتوطين قرى وادي الكنوز والوسطى لتوطين قرى وادي العرب والمنطقة الجنوبية لتوطين قرى وادي الفديجة على امتداد كوم امبو ، فيما يشابه التقسيم الجغرافي الذي كانوا عليه في النوبة القديمة، والمحافظة على تسمية القرى الجديدة أل(٣٣)قرية بأسمائها القديمة، فضلاً عن تحديد موقع في وسط منطقة النوبة الجديدة لتكون عاصمة أدارية لها تسمى "نصر النوبة"[٢] .

٢- يتم تمليك المساكن الجديدة وفق حجم الأسرة فالأسرة المكونة من فرد واحد تملك مسكن بغرفة واحدة والأسرة المكونة من شخصين إلى ثلاث أشخاص تملك مسكن بغرفتين ، والأسرة المكونة من أربع إلى ست أشخاص مسكن بثلاث غرف ، والأسرة المكونة من ست أفراد فأكثر تملك مسكن بأربع غرف[٣].

٣-تمليك كل أسرة مساحة زراعية لا تقل عن نصف فدان ولا تزيد على خمس فدادين أذا كانت تملك من قبل ، أما الأسرة المعدمة فتملك مساحة من الأرض تصل إلى فدان واحد، وتسدد أموالها؛ أما من خلال التعويضات المقدمة لسكانها ، أو من خلال أقساط طويلة المدى تصل إلى أربعين سنة[٤].

وفي ضوء ذلك، خصصت الحكومة المصرية مبلغ ٣٠ مليون جنيه، لتغطية تكاليف التهجير خصص منها مبلغ ١٨ مليون جنيه لبناء مساكن النوبة الجديدة، ومليونين كتعويضات لسكان النوبة و٨مليون جنيه كلفة استصلاح الأراضي الزراعية في كوم امبو، لتوزيعها على سكان النوبة الجديدة [٥] ، بمساحة تصل إلى(٢٨,١٦٩)ألف فدان [٦].

وفي نفس المدة، قامت الحكومة السودانية بتهجير سكان النوبة السودانية من وادي حلفا شمال السودان الى شمال غرب الخرطوم، عند موقع خشم القربة بين مديرية كسلا وغرب نهر العطبرة حيثُ سكِّنوا هنالك، وخصصت لهم مساحة من الأرض بلغت مساحتها نصف مليون

١-احمد عامر ،النوبة الجديدة،مجلة الأهرام الاقتصادية،العدد٣٤٧،القاهرة،شباط١٩٧٠، ص,١٤

٢-كانت الحكومة المصرية تريد من ذلك المحافظة على أسماء القرى، كي لايشعر أهالي النوبة بألم الفراق عن موطنهم الأصلي إلى الأبد . لمزيد من التفاصيل ينظر:مصلحة الاستعلامات،المصدر السابق،ص ١١٢-١١٣؛ جريدة الأهرام،المصدر السابق،١٤/حزيران/١٩٦٣.

٣-جريدة الأهرام، العدد٢٨٠٦٠، ٨/تشرين الأول/١٩٦٣.

٤-يوجيه يونان ، المصدر السابق، ص٦٩.

٥-مصلحة الاستعلامات،المصدر السابق ، ص,١١٣

٦-ايوجين ڤيرت،المصدر السابق، ص٢١٦.

فدان تم زرعها بمحصول قصب السكر،كما أنشئت مصنع لصناعة السكر في نفس المنطقة ليسوّقوا اليه محصولهم من قصب السكر[1]. وقد دفعت الحكومة المصرية لجارتها السودان مبلغ ١٥ مليون كتعويض عن تهجير سكان النوبة وفق اتفاقية عام ١٩٥٩ [2].

الواقع أن النوبتين، قد شهدتا تغيراتٍ كثيرة بعد عملية التهجير، آثرت على حياة سكانهما كثيراً[3].

الجدير بالذكر أن النوبيين الذين تضرروا من بناء المشروع، قد حصلوا على امتيازات كبيرة عكس نظرائهم من سكان النوبة الذين تضرروا من تعلية سد أسوان القديم في عام ١٩٣٣ ،فأولئك فقدوا أراضيهم دون أي تعويض، فضلاً عن ذلك أن الدولة المصرية وزعت عليهم أراضي زراعية جديدة بعدما هجرتهم من مناطقهم في الأول من تشرين الأول عام١٩٦٣، كما بنت الحكومة المصرية لهم خمس مصانع اثنين لقصب السكر وواحد لتجفيف التمر وتعبئته وآخر لحفظ الخضروات والخامس لبسترة الحليب، كما زودت مناطقهم بالخدمات من مستشفيات ومدارس وفروع للبنوك المصرية وشق الطرق، فضلا ًعن أنشاء الجمعيات التعاونية ومكاتب البريد وغيرها من المؤسسات الحكومية ، بينما كانت مناطقهم الأصلية تفتقد لأبسط مقومات العيش حيث كانت أراضيهم (القديمة) مجدبة وإمطارهم شحيحة و أوضاعهم المادية مأساوية [4].

لقد صاحبت عملية التهجير، قيام الحكومة المصرية بأجراء دورات تدريبية لسكان النوبة من خلال المراكز الاجتماعية، التي أخذت على عاتقها تهيئة النوبيين للتأقلم مع الحياة العصرية الحديثة [5]،علاوة على ذلك ساهمت كشافة مدارس الوجه البحري في إرسال كشافاتها إلى أسوان لتقوم بالتعاون مع مدارس المحافظة، وتحت رعاية وزارة العمل والشؤون الاجتماعية المصرية، بأجراء دورات تثقيفية لتوعية النوبيين على كيفية التعامل مع الحياة الجديدة[6]، وكانت الجهود منصبة على النساء باعتبار المجتمع النوبي مجتمع أنثوي، فأعداد النساء ثلثي أعداد الرجال ، وذلك بسبب هجرة الرجال خارج حدود النوبة طلبا للعمل [7].

١-ايوجين فيرت، المصدر السابق، ص٣٦٧.

٢-لمزيد من التفاصيل حول نص المادة المتعلقة بالتعويضات، ينظر: ملحق رقم(٨)، قائمة الملاحق.

٣-ينظر ملحق رقم(٣)، في قائمة الملاحق.

٤-صنع الله إبراهيم وآخرون ، المصدر لسابق، ص١٢١-١٢٤.

٥-جريدة الأهرام، العدد٤٣٦١٧، ٨/أيار/٢٠٠٦.

٦-المصدر نفسه، العدد٢٧٩٧٢، ١٢/تموز/١٩٦٣؛ العدد٢٨٢٠٢، ٢٨/ شباط/ ١٩٦٤.

٧-صنع الله إبراهيم وآخرون، المصدر السابق، ص١٢٤.

ونتج عن تلك العملية، حدوث انتقالة نوعية في المجتمع النوبي اذ تخلص من روح البداوة التي كانت تخيم عليه ، وصار الفلاح النوبي قادراً على التعامل مع التقنية الحديثة بشكل أفضل من أقرانه في القرى الأخرى ، ألا أن عملية التهجير وما رافقها ساهمت في طمس الهوية القومية للمجتمع النوبي، وبدأ النوبيون يفقدون لغتهم وقوميتهم النوبية التي تشير الدراسات الحكومية إلى أنهم أقوام ذات أصول تاريخية تعود لشعوب وسط أفريقيا والتي يرجع أصلها الى اللغة الحامية (نسبة لحام بن نوح) ، لتتحول اللغة العربية هي اللغة السائدة بينهم [١].

وبذلك تخلص نظام جمال عبد الناصر من مشكلة القوميات، التي يمكن أن تستخدم من قبل مناوئي نظامه من الدول الغربية كورقة ضغط سياسية عليه، لاسيما أن الطابع القبلي النوبي يغلب على المدنية في المحافظة، التي كانت ترمز الى صمود المصريين في رفض الاستعمار الغربي، وصنع أول انتصار حقيقي في تاريخ مصر بعد تحررها من الاحتلال البريطاني [٢].

لكن حياة النوبيين لم تسر بالشكل الصحيح الذي يرضيهم، فقد واجهتهم صعوبات وان كانت قليلة ألا أنها مهمة ومؤثرة في سير حياتهم اليومية ومنها:

١- تأخر توزيع الأراضي الزراعية في النوبة الجديدة على السكان كي يستفادوا منها في تأمين حاجياتهم اليومية ،كما هو الحال مع فلاحي أراضي الاستصلاح الزراعي ، حيث يعطى ارض مستصلحة ويقوم بزراعتها ، بينما كان الوضع بالنسبة لسكان النوبة سيئاً ،حيث اقتصرت الحكومة على توطينهم كمرحلة أولى قبل اكتمال تحويل مجرى نهر النيل في عام ١٩٦٤ ، كي لا يتعرضوا للغرق وتهلك مواشيهم وممتلكاتهم فيما كانت عملية تمليك الأراضي غير منتظمة وتتم بشكل متقطع لكون الحكومة، قد تأخرت في استصلاحها ، وعلى الرغم من محاولاتها في تسريع العمل بتوزيع الأراضي المستصلحة ، لكن ذلك لم يحل المشكلة وظل السكان يعانون منها حتى عام ١٩٧١ حيث اكتملت عملية توزيع الأراضي الجديدة ، وذلك التأخير أثار استياء النوبيين و تذمرهم الشديد تجاهها لأنها كانت قد وعودتهم من قبل بتمليكهم الأراضي الزراعية بعد تهجيرهم مباشرةً [٣] .

٢- تعرض جدران الكثير من البيوت الى التشقق وفي بعض الأحيان سقوط بعضها، نتيجة بناء المساكن على مناطق؛أما مرتفعة دون مراعاة لجيولوجيا المكان،أو أراضي منخفضة تتميز

١-وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بلاد النوبة، مصلحة لاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٠-٣٤,

٢-جمال حمدان، شخصية مصر ،ج٤، ص,٥١١

٣-ايوجين ڤيرت ،المصدر السابق، ص ٢١٦.

بارتفاع نسبة المياه الجوفية فيها ، فضلاً عن الظروف المناخية حيث تعرضت تربتها للتمدد بحرارة الشمس المرتفعة جداً، فتعرضت أساسات البيوت والمباني للرطوبة والتشققات، قد بلغ عدد القرى المتضررة عن تلك الظاهرة ، نحو عشرين قرية من أصل ٣٣ قرية.

٣-عدم وصول مياه الشرب، لبعض قرى النوبة الجديدة وحتى التي وصلتها المياه كانت لاتسد الحاجة الفعلية لهم، فضلاً عن عدم توفر المجاري لكثير من المناطق فيها نتيجة الاستعجال في العمل ، وتركّز اهتمام الحكومة على السباق مع الزمن في سبيل إنقاذ النوبيين من الغرق ، على حساب جودة العمل في بنائها نتيجة غياب الرقابة الحكومية على مهندسي العمل (١).

لقد تحسن وضع النوبيين بعد بناء السد العالي ، وصاروا يعيشون في بيوت حديثة وتتوفر لهم مختلف الخدمات من كهرباء وصحة وتعليم وغيرها وبذلك تحولت قرى النوبة الى نموذجٍ للقرى العصرية التي كانت تفكر الحكومة المصرية في تعميمها على عموم مصر، من خلال أنشاء القرى العصرية التي تقلل الفجوة بين الريف والمدينة التي ذكرها جمال عبد الناصر خطابه الذي القاه في حشد من سكان الصعيد كمنهج لحكومته، وذلك في آذار عام ١٩٥٤ مانصه "..لقد قابلت كثيراً من المواطنين من أهل الصعيد يطالبون بماء الشرب النظيف، والنور والمدارس، وكل هذا سيتحقق جميعاً.."(٢).

وفيما يخص وضع المحافظة بشكل عام، فأنها قد شهدت تطوراً كبيراً وأصبحت تضم شبكة من الطرق البرية يصل طولها إلى ٢,٠٨٤ كم، منها ٣٧٩كم طرق خارجية أهمها طريق السد العالي أسوان القاهرة وطريق أسوان ادفو (٣).

كما غذيت المحافظة، بشبكة من الخطوط الحديدية واهم خطوطها الحديدية هو خط السد العالي أسوان القاهرة ، وهذا الخط كان لا يصل إلى مدينة أسوان، وإنما يقتصر على منطقة شمال الصعيد،غير أن حاجة الدولة الماسة في مد منطقة المشروع بالمعدات والآلات السوفيتية التي كانت تجلب بالبواخر من الاتحاد السوفيتي، فتطلب ذلك أكمال الخط وربطه بأسوان، وقد

١-احمد عامر ، المصدر السابق، العدد ٣٤٧، ص١٤-١٧,

٢-اخترنا لك ،خطب الرئيس جمال عبد الناصر،ج٢، مجلس الخدمات،القاهرة ، د.ت،ص٢٨١.

٣- شوهدي الخواجة ،المصدر السابق،ص٢٣.

اشترك السوفيت في ربط منطقة السد العالي بسكة حديد القاهرة–أسوان ، الذي وصل طوله إلى ١٥كم [1] ، حتى أنهم انشئوا هنالك محطة لتفريغ حمولة القطارات سموها بمحطة "الصداقة" تعبيراً عن تحسن العلاقات بين البلدين وتطورها ، وكان ذلك في عام ١٩٦٠[2].

ولم تغفل الحكومة المصرية تزويد المحافظة بالخدمات الأساسية؛ من خدمة الاتصالات والبريد والكهرباء ، وحتى وصل عدد محطات الخدمة الهاتفية في أسوان التي أقيمت بعد بناء السد العالي حوالي ٥٢ محطة هاتفية بسعة ١٤,٧خط/١٠٠نسمة، كما أنشأت أكثر من ١٥٦ مكتب بريد في قرى ومدن المحافظة وركبت ١٩٨٤ محطة تحويلية صغيرة لتزويد المنازل بالكهرباء، مما رفع من حجم استهلاك الفرد الأسواني من الكهرباء سنويا ٤٧٧كيلو واط /سنة[3].

وهكذا أخذت أسوان، منذ بناء السد العالي تشهد تحولاً كبيراً ، انعكس على حياة سكان المحافظة الذين بدؤوا يشعرون باهتمام الحكومة المصرية بهم بعد عهود طويلة من الحرمان والمعاناة ، ولذلك اعتبر أهالي محافظة أسوان السد العالي وسيلةً، لخلاصهم ولإنقاذهم، فبدئوا يحتفلون به سنوياً في كل يوم ١٥ من كانون الثاني سنوياً كعيداً وطنياً لهم[4]. ولم تكن الحالة الصحية بمعزل عن التغيرات التي أصابت المجتمع المصري بسبب أنشاء السد العالي .

ثانيا: التطورات في الواقع الصحي

لقد ترافق مع ظهور المدن والقرى الجديدة بناء المئات من الوحدات الصحية في القرى والمدن،التي وصل عددها الى نحو ٢٠٠٠ وحدة صحية بمعدل وحدة صحية لكل١٠٠٠٠ آلاف نسمة توزعت مابين عيادة خارجية وصيدلية ، ومستشفى [5]، منها ١١٢ في الريف موزعة

١–محمد الشافعي ومحمد يوسف، السد العالي هرم الإرادة المصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٩٩.

٢–ايفان كومزين،المصدر السابق،ص٥٩.

3-www.egynews.net

٤–عد سكان أسوان تاريخ ١٥ /كانون الثاني /١٩٧١، يوم تم الاحتفال بانتهاء العمل في السد العالي،عيداً وطنياً لهم. لمزيد من التفاصيل ينظر:

http://www.sis.gov.eg/VR/reading/child/citiespdf/aswan.pdf.

٥–رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤–١٩٩١ السياسة الدوائية، مجلد١٤، المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٦٣.

ما بين مستشفى ووحدة صحية مجمعة[١]، تركزت في القرى المركزية –التي أخذت بالظهور بفعل مشروع السد العالي –بمعدل وحدة صحية لكل قرية مركزية ، تزود الفلاح بالخدمات الصحية ما قلل من معاناة السفر الفلاح من الريف إلى المدينة لغرض العلاج للنهوض بواقع الفلاح المصري الذي كان يعاني من الأمراض الكثيرة، التي شلت حركته وأثرت على عمله كالملاريا وغيرها وبما انه هو القوة المنتجة في الريف وكل مرض يصيبه ينعكس سلباً على إنتاجيته في الأرض الزراعية ، لذلك أولته الحكومة اهتماماً خاصاً [٢].

والى جانب ذلك، فقد تحسنت حالة الخدمات الصحية في المدن وذلك بفعل الزيادة المستمرة في عدد الوحدات الصحية المقامة فيها لمواكبة التوسع السكاني والعمراني، الذي شهدته تلك المدن نتيجة التطور الصناعي الذي أوجده مشروع السد العالي ، فارتفعت نتيجة ذلك عدد الوحدات الصحية المقامة فيها من ٥٠٩ وحدة صحية عام ١٩٥٢ إلى ١,٠٤٥الف وحدة صحية حتى عام ١٩٦٤ منها ١,٠٢٤الف مستشفى بمختلف التخصصات[٣].

وقد تركز الاهتمام الحكومي على عمال السد العالي في محافظة أسوان ، حيث جهزت منطقة المشروع بمستشفى في مختلف التخصصات، بتكلفة تصل إلى ١٢٠ ألف جنيه مصري [٤]، مع تزويد المستشفى بكادر طبي متخصص في كل الاختصاصات الطبية لمعالجة كل الأمراض، التي قد تصيب العمال في السد كما أنشئت عيادة خارجية للتخفيف عن الجهد المكثف على المستشفى وجهزتها بأدوية جاهزة غير مركبة أو مصنوعة مختبرياً ، إذ كانت الخدمة في منطقة العمل درجة أولى [٥]، ويتم التنسيق مع وزارة الصحة والمعهد العالي للصحة العامة في الإسكندرية ووحدة الخدمات الطبية للقوات المسلحة ووحدة الخدمات الصحية في أسوان، لضمان توفير الخدمة الطبية الممتازة لهم ، وبالتالي حافظوا على الحالة الصحية لعمال ومهندسي السد العالي بشكل أفضل [٦]. وهكذا يبدو مدى عظم الاهتمام الحكومي بالأيدي التي تحملت معاناة بناء المشروع فلولا هؤلاء العمال لما ظهر ذلك المشروع للوجود، والذي عكس النهج الاشتراكي في الاهتمام بالعمالة المصرية، بخلاف الوضع الذي عاشه العمال في العهد

١-الوحدة الصحية المجمعة:عيادات صحية أنشئت في عام ١٩٦٢تتكون من طبيب اختصاصي ومساعدين اثنين وفني وملاحظ أوجدت في الريف لتحسين الحالة الصحية للفلاحين وتقليص الفارق بين المدينة والريف في تقديم الخدمات الطبية . لمزيد من التفاصيل ينظر:رئاسة الجمهورية،السياسة الدوائية ،مجلد ١٤،ص٦٣.

٢-محمد خميس الزوكة ،المصدر السابق، ص١٩٦-١٩٧.

٣-مصلحة الاستعلامات ،الثورة في ١٢ عاما ، ١١٢-١١٣.

٤-جريدة الأهرام ،المصدر السابق،٢٦/كانون الثاني/,١٩٦٤

٥-صنع الله إبراهيم وآخرون،المصدر السابق، ص,٥١

٦-جريدة الأهرام ، المصدر السابق، ٢٦/كانون الثاني/١٩٦٤.

الملكي ، والذي حصل خلال عملية شق قناة السويس، التي تمثل أضخم مشروع أنجز فيه فلم يتلق العاملين فيها أي رعاية صحية تذكر، وكانوا يموتون بشكل مستمر نتيجة التعب الشديد وقلة الرعاية الصحية، حتى وصل عدد ضحاياها حوالي ١٢٠ ألف عامل[١]، بينما أقصى عدد وصله ضحايا السد العالي هو ٢٠٠ عامل، على الرغم من خطورة العمل فيه، فضلاً عن ذلك أن مدة العمل كانت أحدى عشر سنة، بما يفوق مدة العمل في قناة السويس بسنة كاملة [٢].

وبما ان المشروع بني في أسوان، فكان من الطبيعي ان تتطور الخدمات الطبية فيها تبعاً لذلك حيث أنشئت فيها ٨٦عيادة خارجية و٣٧ مستشفى في مختلف التخصصات [٣]، وأجريت فيها عملية مسح دوري عن الأمراض المعدية التي قد تصيب سكان المحافظة[٤]، وللتعرف أكثر على تأثيرات السد العالي الايجابية، وما أحدثه من تحولات مهمة في الواقع الصحي المصري ينظر الجدول رقم (٨) الآتي:

السنوات	عدد المعاقين من الذكور	عدد المعاقين من الإناث	المجموع
١٩٤٧	١١٦,٦٢١	٨٣,٨٢٨	٢٠٠,٤٤٩
١٩٦٠	١٤٣,٠٧٣	١١٣,١٢٦	٢٥٦,١٩٩
السنوات اللاحقة[٥]	٨٢,٩٠٥	٢٨,٤١٩	١١١,٣٢٤

جدول رقم (٨)يوضح أعداد المعاقين للجنسين حسب السنوات[٦]

١-محمد حسني أمين ،السد العالي انتصار الشعب،ص,٥١

٢-كان أكثر الذين توفوا هم في حفر الأنفاق، نظراً لصعوبتها وخطورتها الكبيرة وابرز ضحايا السد العالي هو (أمين شريف)كبير مهندسي شركة المقاولين ومعاون المدير العام للشركة (المقاولين العرب عثمان..) ، وذلك كان أثناء تأديته عمله في المشروع نتيجةً للتعب الشديد والإرهاق، اذ كان الرجل يمتنع عن العمل من المكتب فقط ، ويفضل أن يكون حاضراً بين العمال رغم كبر سنه(٨٠ عاما). لمزيد من التفاصيل ينظر: توم ليتل ،إخضاع النيل لإرادة الإنسان ،ص١٣٨؛ سهيلة الريماوي، من وحي السد العالي ثورة امة وقلب أم ، الدار القومية،القاهرة ،د.ت،ص,٦٠

٣-نرمين درويش،المقومات الجغرافية السياحية في محافظة المنيا،مجلة الجغرافية العربية، العدد ٣٤، الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٩٩، ص ٦٥ ، نقلاً عن شوهدي الخواجة،المصدر السابق،ص ,٣٢

٤-جريدة الأهرام، العدد٢٨١٧٥، ٣١/كانون الثاني/,١٩٦٤

٥-يقصد به عام ,١٩٧٦

٦-بثينة محمود الديب، التقرير الوطني عن احصائات الإعاقة في مصر،الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء،القاهرة ،د.ت ، ص٣.

ويظهر من الجدول رقم (٨)التغيرات والتحولات التي طرأت على الحالة الصحية للمجتمع المصري، حيث ارتفعت أعداد المعاقين بمختلف الأمراض الحسية والحركية والذهنية وغيرها من ٢٠٠,٤الف معاق عام ١٩٤٧الى ٢٥٦,١الف معاق عام ١٩٦٠نتيجة تدهور الوضع الصحي الذي حدث في نهاية العهد الملكي، وتأثيرات الحرب العالمية الثانية على الشعب المصري [١]، فيما اختلف الأمر بعد السد العالي حيث انخفضت أعداد المعاقين إلى ١١١,٣الف معاق نتيجة التطورات الصحية التي جرت في مصر[٢].

والى جانب ذلك أنشأت الحكومة لمصرية العديد من المعاهد والكليات الطبية في البلاد، لتتماشى مع ظهور المجمعات البشرية الجديدة التي اوجدها مشروع السد العالي، وقد صل عددها الى ست كليات توزعت مناطقها مابين طنطا وأسيوط والزقازيق والمنصورة، فضلاً عن أنشاء ١٣٨ مدرسة تمريضية في عموم مصر[٣]، مما ساهم في زيادة عدد الكوادر الطبية ، فعلى سبيل المثال ان عدد الأطباء كان لايزيد على (٥٠٠٠) طبيب، بمعدل طبيب لكل٤٣٠٠ نسمة ليزاد عددهم كثيراً بسبب بنائه، حيث تخرج ١٨الف طبيب بمعدل طبيب لكل ٢٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٠[٤].

فضلاً عن ذلك ، فقد تنامى الوعي الصحي لدى الفلاح المصري الذي كان يؤمن بالطرق العلاجية الخاطئة، نتيجة الجهل الذي هيمن على المجتمع المصري الى جانب قلة الإمكانيات المادية، فكان يلجأ إلى الطرق الخاطئة كالسحر والشعوذة وغيرها ، ألا انه بدأ يغير تفكيره السابق ويفضل الأدوية الكيميائية الذي ظهر مع حدوث التغيرات التي طرأت عليه بعد بناء السد العالي من تحسن المستوى التعليمي، وتأميم شركات الأدوية وتحولها إلى شركات حكومية تبيع الدواء للمواطن المصري بأسعارٍ رخيصة ، ما رفع من قيمة الأدوية المستهلكة في مصر من ١٤,٩مليون جنيه عام ١٩٥٢ الى٤٥,١مليون جنيه عام ١٩٧٠[٥].

وعلى الرغم من ايجابيات السد العالي ، إلا انه تسبب في إصابة الكثير من المصريين بأمراض البلهارزيا التي تنتقل من الحدود السودانية إلى جنوب مصر، من خلال بحيرة السد العالي وكذلك من تعميم الري الدائم في مصر ، فأصبحت يرقات دودة البلهارزيا تنتقل الى

١-لطفي الصاوي،مشاكل الطب في الريف المصري، دار الفكر،القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص١٧-٢١.

٢-بثينة محمود الديب،المصدر السابق،ص,٣

٣-رئاسة الجمهورية، السياسة الدوائية، المجلد١٤، ص,٢١

٤- سعد الدين إبراهيم وآخرون،المصدر السابق،ص٥٢٥ .

٥-رئاسة الجمهورية، السياسة الدوائية، المجلد١٤، ص٢١.

الفلاحين ببساطة بمجرد سباحتهم في الأنهر الملوثة فتنتقل اليهم مباشرةً [١].

ولعل صيادي بحيرة السد العالي أكثر المصابين بها، لتماسهم المستمر مع المياه الحاضنة لدودة البلهارزيا ومرض الملاريا لاسيما ان وجود تلك الأعشاب الضارة ساعد كثيراً في تسريع نقل العدوى، فهي تتخذها بؤر لوضع يرقاتها التي تفقس ناقلةً للعدوى[٢]، ولقدُ قدِّرَ عدد المصابين بها حوالي ٢٢٢صياد من أصل عددهم الكلي البالغ٤٠٠٠صياد [٣]، لهذا تحركت الحكومة المصرية وضاعفت عدد معامل الأمراض المعدية في مصر من ١٦ معمل عام ١٩٥٢ الى ٨٢معمل عام ١٩٦٤، علاوةً على ذلك قامت الحكومة المصرية بحملات رش المبيدات في المياه الملوثة لقتل يرقات البلهارزيا في أسوان ومحافظات الوجه القبلي[٤]. ويبدو أن التأثيرات السلبية للمشروع وان كانت حقيقة لايمكن تجاهلها لكنها لاتتلائم مع ضخامة العطاء الذي قدمه للمجتمع المصري وانتشاله من واقع مليء بالأمراض والأوبئة التي كانت تهدد حياة ابن الريف والمدينة على حدٍ سواء، مما ساهم في تزايد عدد السكان بشكل كبير فمن٢٠ مليون نسمة عام ١٩٥٢ وصل عددهم إلى ٣٤مليون نسمة في عام ١٩٧٢ [٥].

ولم يكن التعليم بمعزل عن تأثيرات السد العالي، اذ أدى المشروع إلى حصول تحولات اجتماعية كبيرة في المجتمع المصري،التي أسهمت في تطور التعليم في مصر.

ثالثاً:التعليم

شهد التعليم تحولاتً كبيرة بفعل التنمية الاجتماعية، التي جرت في مصر منذ بناء المشروع ، فاخذ مستواه يتقدم ليتلائم مع التحول الكبير الذي اختطه قادة ثورة تموز بتحول مصر إلى الاشتراكية، التي كانت أحدى إفرازات مشروع السد العالي الأساسية ، والتي تعلق نجاحها على الارتقاء بواقع التعليم ، فقد كان الفقراء معرضين للتمييز الطبقي ولا يسمح لهم في دخول التعليم لاسيما الجامعي حيث كانوا يحرمون منه خدمةً للطبقات المتنفذة ، لذلك كان من اللازم كسر تلك القيود على الفقراء، من اجل النهوض بأحوالهم وتخليصهم من التخلف

١-دافيد ارنولد ، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، تعريب: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة ،الكويت،١٩٩٨، ص,٢٣٨

2-Ibrahim . A. El-Shinnawy , op.cit, p.539.

٣-فليب جلاب ،المصدر السابق،ص١١٤ .

٤-مصلحة الاستعلامات، المصدر السابق، ص,١٢٥

٥-جمال حمدان،شخصية مصر،ج٤،ص٢٥.

والجهل والأمية التي لايمكن ان تتحقق ألا بتحسن الحالة التعليمية في البلد[١].

وبما أن الهدف الأساسي من بناء السد العالي، هو الارتقاء بواقع الشرائح الاجتماعية الفقيرة لاسيما الفلاحين والعمال التي كانت محرومة من التعليم، بخلاف الشرائح الأخرى التي احتكرته كالاقطاع وكبار الرأسماليين، لذلك حاولت الحكومة المصرية الاستفادة من المشروع لتغيير الواقع التعليمي لهم من خلال زيادة حجم الميزانية المخصصة للتعليم من ٤٠,٢مليون جنيه عام ١٩٥٢ الى ٩٦,٥مليون جنيه عام ١٩٦٥/٦٤[٢]، وذلك لإنشاء ٥٠٠ مدرسة ابتدائية لاستيعاب اكبر عدد ممكن من الطلبة ،علماً أن عملية بناء المدارس كانت ضمن أهداف المشروع باعتباره مشروعا متكاملاً، فضلاً عن إصدار وزارة التربية والتعليم المصرية قرارها القاضي بمجانية التعليم في المدارس الابتدائية وذلك في عام ١٩٦٢ الذي مثل محاولة منها ، الى رفع القيود عن أبناء الطبقات الفقيرة التي كان مشروع السد العالي خصص لأجلها [٣]، فساهم ذلك في تخفيض نسبة الأمية في مصر بنسبة ٥٧% ، فيما كانت حسب إحصائية عام ١٩٤٧ تصل الى حوالي ٨٠%[٤].

ونتيجةً لذلك، ارتفعت أعداد الطلبة في المدارس الابتدائية من ١,٣١٠مليون تلميذ عام ١٩٥٢الى ٣,٧٩٥مليون تلميذ عام ١٩٧٠، كما ازداد عدد طلاب الإعدادية والثانوية تبعاً لذلك من ٥٠٠الف طالب عام ١٩٥٠ إلى ١,٥٠٧مليون طالب عام ١٩٧٠، فانخفضت نسبة الأمية في مصر من ٨٠% عام ١٩٤٧ إلى ٥٧%عام ١٩٧٠ [٥].

وقد كانت من ابرز القطاعات التعليمية تأثراً بإنشاء السد العالي، هو قطاع التعليم الفني أو التقني الذي دعت الحاجة الماسة إليه، عندما شرع المصريون في بناءه فأعطته الحكومة اهتماماً خاصاً،وبخاصة الاختصاصات الصناعية منه كاللحام والحدادة و الميكانيك والكهرباء وغيرها ،إلى جانب الاختصاصات الزراعية بفعل التوسع الزراعي بعد بنائه حتى بلغ نسبة الملتحقين بالدراسات الصناعية في مصر حتى عام ١٩٥٩-١٩٦٠ نحو ١١,٤% لتصل إلى ١٤,٣%عام ١٩٦٢-١٩٦٣ ، ونفس الحال مع الدراسات الفنية الزراعية اذ ارتفعت ولو بنسبة اقل فمن ٦,٠ % عام ١٩٥٩-١٩٦٠ إلى ٧,٢% عام ١٩٦٢-١٩٦٣، وتلك الزيادة النسبية هي انعكاس للحاجة الماسة لتلك التخصصات ، التي كانت تعاني الإهمال والاحتقار

١-جمال عبد النصر ،وثائق الوحدة العربية،ص٣٧-٣٨,

٢-مصلحة الاستعلامات، المصدر السابق، ص٤٤,

٣-ايغور بليايف وافغيني بريماكوف،المصدر السابق، ص١٨٧,

٤-سعد الدين إبراهيم وآخرون،المصدر السابق، ص٤٥٥,

٥-المصدر نفسه،ص٤٥٥.

الاجتماعي ، فلم يجرأ احد حتى أفقر الشرائح الاجتماعية أن يرسل ابنه للدراسة في المدارس الثانوية الفنية التي كان ينظر إليها المصريون، بأنها مهن حقيرة لا تليق بأبناء الأسر المرموقة فلا الأغنياء يحبذوها ولا الفقراء، لكن ذلك الواقع تغير بعد تشييد المشروع نتيجة استقطاب الحكومة المصرية العديد من الأيدي العاملة ذات التخصص الفني، إلى السد العالي لسد العجز في ملاكاته لاسيما في السنين الأولى للمشروع (١).

وهكذا تحول السد العالي إلى أضخم مؤسسة تعليمية، لأعداد الكوادر الفنية الماهرة على وفق التقنية السوفيتية، حيث تولى السوفيت بأنفسهم عملية تدريب الطلبة المصريين وبأفضل الخبرات المتوفرة لديهم (٢)، لم يبخل السوفيت على المصريين في منحهم أسرار المهنة التي تعزف الشركات الغربية عن منحها للطلبة العرب ، فضلاً عن قيامهم بإرسال بعض المدربين لمصر رغم تكلفة ذلك وخطورته في حال تعرضهم للخطر غير أنهم لم يتحفظوا اطلاقاً ،إذ أرسلوا الكثير من تلك الخبرات الى مصر، فعلى سبيل المثال أرسل السوفيت الى منطقة المشروع وفد سوفيتيي في آذار عام ١٩٦٠ ضم مجموعة من الخبراء والفنيين السوفيت، وكان اولئك من أكفأ الأساتذة في النقل الميكانيكي وقيادة السيارات في الاتحاد السوفيتي، وقد حضروا الى أسوان ليدربوا عماله ويذكر كبير الخبراء السوفيت(ايفان كومزين)عن كفاءة التدريب "انه تحولت أسوان إلى مركز هاماً من مراكز تدريب الأفراد "(٣).

وكان مركز أسوان لتدريب العمال المصريين يتم فيه التدريب على ١٠٥ مهنة كالحدادة والخراطة والكهرباء والميكانيك والبرادة وغيرها، ويمنح العمال أثناء الدراسة التي تستمر ستة أشهر راتباً شهرياً يتراوح مابين٤٠-٥٠قرش، وبعد ان يتخرج العامل يحصل على راتب قدره ٧٠قرش شهرياً مقابل عمله في السد العالي، وكان عدد المتخرجين منه حتى عام ١٩٦٥م حوالي١,٠٩٠ ألف طالب منهم (٨٦١)اختصاص كهرباء و(٣٠٥) ميكانيك، وكان التركيز على الكهرباء للحاجة الماسة اليها في المرحلة الثانية وهذا ما جعل المركز ناجحاً ، فهو يدرب العمال حسب الحاجة بعيداً عن الروتين (٤).

١-جريدة الأهرام، العدد٢٧٩٥٤، ٢٤ /حزيران/١٩٦٣,

٢-حتى تحول العاملين في السد الى ثروة قومية، استفادت الحكومة المصرية من خبرتهم في تدريب عمال المشاريع الاستثمارية في البلد. لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الأهرام،العدد٣٠٤٣٣، ٩/نيسان/١٩٧٠؛ جريدة الأهرام، المصدر السابق، ٢٥/آذار/١٩٧٥,

٣-ايفان كومزين،المصدر السابق، ص٣٢-٣٦,

٤-صنع الله إبراهيم وآخرون ،المصدر السابق، ص١٠٢.

وبما أن العمل في السد كان يتطلب السرعة في الانجاز ، فلذلك زادت الحكومة من عدد المراكز المهنية في محافظة أسوان، فأنشئت مركزا مهنيا لتدريب وأعداد الطلبة ليكونوا جاهزين للعمل في المشروع وتوزعت المراكز على مدن المحافظة ، فأنشئت في كوم امبو وادفو مراكز مهنية ، فضلاً عن المركز الرئيسي في أسوان ، بالإضافة إلى ذلك انشأ معهد صناعي لتخريج الفنيين في جميع الاختصاصات (١).

وكما هو معروف، أن التعليم لا يتطور بشكل حقيقي أذا لم تتغير قمة الهرم وهو التعليم الجامعي ، الذي كان مقصورا على أبناء الذوات والمتمكنين مالياً، والذي حرم الكثير منه وخصوصا الطبقات الفقيرة حتى بدا التحول الاشتراكي وأمم التعليم العالي في عام ١٩٦٢(٢).

فتخلص الفقراء من تلك العقبة الكبيرة، التي كانت تقف بوجههم فأخذت أعداد الطلاب الجامعيين بالتزايد كثيرا من ٣٤الف طالب جامعي حتى عام ١٩٥٠ إلى ٢٢٣الف طالب في عام ١٩٧٠، فتوسعت الجامعات المصرية وكلياتها وافتتحت جامعات وكليات جديدة فبلغ عدد الجامعات المستحدثة ٨جامعات و٦٦كلية عام ١٩٧٢، فيما كانت قبل بناء السد العالي لاتتعدى ٣جامعات و ٢٩كلية (٣)، واهم تلك الجامعات التي افتتحت هي جامعة أسيوط في محافظة اسيوط عام ١٩٥٧ (٤)، وجامعة حلوان في القاهرة وجامعة المنيا وجامعة القناة في الإسماعيلية، الى جانب افتتاح كليات جديدة في الصعيد وبقية المحافظات المصرية في المدة مابين١٩٧٠-١٩٧٢، ومن أهمها كلية التربية في المنيا وكلية التربية في سوهاج وكلية التربية في أسوان ومركز لبحوث الاستصلاح والاستزراع وقصب السكر في كوم امبو في محافظة أسوان (٥) .

كانت الجامعات الجديدة والقديمة، قد شهدت إقبالا كثيفاً على التخصصات العلمية بشكل غير مسبوق على حساب التخصصات الإنسانية، نتيجةً للنقلة النوعية التي أوجدها بناء السد

١-جريدة الأهرام، المصدر السابق، ٨/تشرين الأول/١٩٦٤.

٢-جابر عصفور، الرحيل إلى القاهرة، مجلة العربي، العدد٦١١، بيروت، تشرين الأول ٢٠٠٩، ص٧٦.

٣-رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية التخصصية١٩٧٤-١٩٨٩التعليم الجامعي والعالي، المجلد ٧، المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة، ١٩٩٠، ص١١.

٤-منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي والبنك الدولي، مراجعات لسياسات التعليم الوطنية التعليم العالي في مصر، تعريب: منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، وزارة التعليم العالي المصرية د.م،٢٠١٠، ص٦٦.

٥-رئاسة الجمهورية، التعليم الجامعي والعالي، المجلد٧، ص٢٦.

العالي في المجتمع المصري ، اما من خلاله مباشرةً او من خلال المشاريع المرتبطة به من بناء المصانع واستصلاح الأراضي فاستدعت تغليب الجانب العلمي بحكم كونها أساسية لإدارة وتشغيل تلك المشاريع ،ولم تعد مهنة الصحافة والقانون هما المفضلتان كما كانتا في العهد الملكي[١]، فيما تغير الوضع بعد السد العالي فبدأت كليات الهندسة والزراعة والطب تشهد اقبالاً كثيفاً ولاسيما الهندسة التي بلغ عدد المتقدمين اليها في عام ١٩٥٠ حوالي ١٣% لكن النسبة ازدادت منذ بناءه الى ١٦%، وهذا الأمر طبيعي في بلد ذو كثافة سكانية عالية أن تكون الوظائف قليلة بفعل تسابق خريجي الجامعات عليها، فلابد ان يبحث الطالب عن مستقبله وعن حصوله على تعيين في الدولة يضمن له الحياة اللائقة، وبما أن السد العالي كان ابرز المشاريع الاستثمارية التي تحتاج للتخصصات العلمية وخصوصاً الهندسية منها ، فساهمت تلك الظروف في توجيه الطلبة المصريين نحوها دون غيرها من التخصصات الأخرى[٢].

وإذا كان الأمر يتصل بقضية التركيز على التخصصات الهندسية تحديداً، لأجل ديمومة السد العالي، فأن التعليم، أسهم في زيادة وعي المصريين الذين تسابقوا لإنقاذ آثار بلادهم في النوبة .

١-توم ليتل، جمال عبد الناصر رائد القومية العربية، ص٤١٦.

٢-محاضر الاتحاد الاشتراكي،المصدر السابق،١٢/نيسان/ ١٩٧٠،نقلا عن (www.Nasser.com)؛ سعد الدين إبراهيم وآخرون،المصدر السابق ، ص٤٦٦؛ توم ليتل، إخضاع النيل لإرادة الإنسان، ص١٤٤.

المبحث:الثالث: تداعيات بنائه على آثار النوبة والحملة الدولية لإنقاذها

تعد بلاد النوبة وحدة جغرافية متكاملة عبر العصور التاريخية، وتمتد من الشلال الأول لنهر النيل عند مدينة أسوان في مصر، إلى بلدة الدية جنوب دنقلة شمال غرب الخرطوم في السودان، وعلى خط عرض ٢٢شمالا مكونة لنوبتين الأولى؛ تسمى النوبة السفلى وتقع في القطر المصري وتحتل المنطقة الواقعة، مابين أسوان الى الحدود السودانية ،والثانية النوبة العليا وتمتد مابين شمال وادي حلفا على الحدود المصرية السودانية الى بلدة الدية[١].

لقد مرت تلك المنطقة بتغيرات حضارية كبيرة أثرت عليها، حيث قسم المؤرخون تاريخ تلك المنطقة الى عدة حضارات حسب التطور التاريخي لها، فالمرحلة الأولى وتمتد مابين عام ٥٠٠٠ ق.م _٢٩٠٠ق.م وسميت ب(الحضارة الحجرية) حيث كان الإنسان النوبي يستخدم الأحجار في كل أعماله اليومية من صيد وخياطة وغيرها، ولا تتوفر عن هذه المرحلة معلومات كافية، ويشوبها الغموض لقلة المكتشفات الأثرية عنها ، وأما المرحلة الثانية فامتدت مابين عام ٢٩٠٠ق.م _٣٠٠ق.م ، وعرفت ب(الحضارة المصرية القديمة) واتسمت بسيطرة الفراعنة المصريين على بلاد النوبة، ولقد تأثر النوبيين بالحضارة المصرية فاعتنقوا الديانة المصرية وبنوا لها الكثير من المعابد ولعل أبرزها معابد ابي سمبل والفيلة ودندور وجرف حسين وكوبان وقورنة والمحرقة وغيرها ، وبرغم السيطرة المصرية عليهم ألا أنهم أبوا أن يخضعوا لأوامر الفراعنة المصريين بشكل دائم وكانوا يستغلون ضعف السيطرة الفرعونية للخروج عليها، كما حدث عندما غزا الأشوريين بلاد النيل واحتلوا مصر فاستقل النوبيين بانفسهم عام٦٧٠ق.م [٢]، وجاءت بعدها (الحضارة الرومانية) في المرحلة الممتدة مابين عام ٣٠٠ق.م –٣٠٠ م ، وتميزت تلك المرحلة بدخول العنصر الروماني في التأثير على الحضارة النوبية، وبدأت تظهر القلاع والحصون الرومانية المنيعة مثل كلابشة ودابود وقرطاسي وغيرها ، رغم المقاومة العنيفة للنوبيين وهجماتهم الكثيرة عليهم ، وشهد العصر

١–وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المصدر السابق، ص١١.

٢–حسين مؤنس،الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها،ط٢،عالم المعرف،الكويت،١٩٧٨، ص٢٣٨.

الروماني دخول دين جديد،ألا وهو الدين المسيحي الذي استفاد من منع الحكام الرومان أهل النوبة من ممارسة طقوسهم العبادية لإلهتهم ، ونقل الكثير من التماثيل الى القسطنطينية في عام ٥٥٠م لمنعهم من عبادتها واتخاذها كرمز لمقاومة الغزو الروماني(١).

وبافتتاح أول كنيسة في النوبةعام٥٧٧م بعد تحويل معبد ايزيس إلى كنيسة، بدأت المسيحية تنتشر فيها لتشهد النوبة حالة من التغيير الحضري تحولت فيه كل المعابد الوثنية إلى كنائس لعبادة الإله الواحد، فأنهت حقبة طويلة من التاريخ النوبي المرتبط بالفراعنة وتقديس الحكام ألا أن الوضع لم يستمر طويلاً ، حتى دخل دين جديد مدعوم بسلطة قوية منذ القرن السابع عشر تمثل بالدين الإسلامي، وما يميزه أن الحكام العرب لم يأخذوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام في النوبة وتركوا الأمر لهم مقابل الجزية (الضريبة)، وهذا ما جعل الدين الإسلامي ينتشر بشكل بطيء ودون مصادمات، فتغلغل أكثر في نفوسهم واستمر إلى الوقت الحاضر (٢) .

ومع اختيار موقع السد العالي والبدء بإنشائه، فقد برزت مشكلة التهديد الفعلي لسلامة القبور والمعابد في بلاد النوبة، فقد كون السد بحيرة عملاقة غطت بلاد النوبة أجمعها وذلك بارتفاع يصل الى مستوى(١٨٠)م،الذي جعل المعالم الأثرية جنوب السد مهددة بالغرق (٣).

لذلك تحركت وزارة التربية والتعليم في عام ١٩٥٤م بأرسال بعثة اثارية إلى منطقة النوبة لدراسة الأوضاع هناك، وإعطاء صورة واضحة للحكومة المصرية عن حجم الكارثة التي ستحل بآثارها ،ولم تتأخر بعثة مصلحة الآثار المصرية كثيراً فقدمت تقريرها إلى الوزارة تحت عنوان "تقرير عن أثار النوبة المعرّضة لان تغمرها مياه السد العالي" بثلاث لغات(العربية، الانكليزية ، الفرنسية)، وأوصت البعثة الاثارية بتنقيب القبور والمعابد الأثرية مع أجراء مسح(أي تسجيل) كامل لأثارها (٤). الأمر الذي دفع وزارة التربية والتعليم إلى أنشاء "مركز تسجيل الآثار"في

١-عبد المنعم أبو بكر، بلاد النوبة ، وزارة الثقافة و الارشاد القومي،القاهرة،١٩٦٢،ص١٩-٢٣ .

٢-ب .ل .شتي، بلاد النوبة في العصور الوسطى،تعريب:نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار المصرية،الخرطوم،١٩٥٤،ص٦؛ جريدة المصري اليوم، العدد٢٢٧١ ،١/أيلول/٢٠١٠.

٣-الجدير بالذكر أن عدد المعابد الأثرية في النوبة المصرية هو١٦معبد،أهمها معبدي أبي سمبل. لمزيد من التفاصيل ينظر:رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية، مجلد١، ص ٣٩٨؛ ولمعرفة موقع الآثار المهددة بالغرق، ينظر: ملحق رقم (٦)، في قائمة الملاحق.

٤-ثروت عكاشة ،مذكرات في السياسة والثقافة ،ج٢،ط٣،دار الشروق،القاهرة،٢٠٠٠ ،ص٥١٦ .

مصر عام ١٩٥٥بالاتفاق مع منظمة اليونسكو[١]، وتزويده بكادر علمي متخصص في شؤون الآثار ليتمكن من أداء الوظيفة التي انشأ لأجلها في مسح جميع الآثار النوبية بوجه خاص والمصرية بوجه عام، وقد تولى المركز إرسال بعثات سنوية لمنطقة النوبة باستمرار منذ تشكيله ، ووصل عدد البعثات السنوية المرسلة مابين(١٩٥٥-١٩٥٩م) أربع بعثات شتوية وثلاث بعثات صيفية لتسجيل الآثار[٢].

وبعد تولي ثروت عكاشة[٣]وزارة الثقافة والارشاد القومي في عام١٩٥٨م، حضر السفير الأمريكي فردريك رينهارت"Fredrik Rinehart" (١٩٥٦-١٩٦١)[٤]، ومعه مدير متحف المتروبوليتان "Metropolitan" و رويمر " Roymer " ومقره في ولاية نيويورك، طالباً

١-اليونسكو:منظمة دولية متخصصة في شؤون التربية والتعليم والثقافة ورعاية الآثار والفنون، تأسست عام ١٩٤٥م واتخذت من باريس مقرا لها ، وتتكون من ثلاث مؤسسات وهي المؤتمر العام ومهمته تحديد السياسات العامة للمنظمة ، ومؤسسة المجلس التنفيذي ووظيفته وضع جدول أعمال المؤتمر وتحديد ميزانية المنظمة وترشيح مدير المنظمة لينتخب من قبل الأعضاء ، وأخيراً أمانة السر (السكرتارية)ووظيفتها تجهيز المنظمة بالكوادر الفنية والإدارية اللازمة لعملها . لمزيد من التفاصيل ينظر:حسن نافعة ،العرب واليونسكو، عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٩،ص٣٧-٤٨ .

٢- كانت تلك فاتحة العلاقات بين اليونسكو ومصر، التي استمرت حتى الوقت الحاضر. لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الشرق الأوسط، العدد٨٤٥٤، ٢٠ /كانون٢/٢٠٠٢؛ عبد المنعم أبو بكر،المصدر السابق،ص٨٥ .

٣-ثروت عكاشة:شخصية ثقافية وسياسية مصرية ولد في القاهرة عام ١٩٢١، والتحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٩ لينظم بعدها إلى تنظيم الضباط الأحرار، فكان احد رموزه فعين ملحقاً عسكرياً لمصر بعد انتصار الثورة في الأعوام ١٩٥٣- ١٩٥٦ ، ثم عين سفيراً لمصر في روما في الأعوام ١٩٥٦-١٩٥٨ حتى استدعي من جديد لمصر في عام ١٩٥٨، اذ عينه جمال عبد الناصر وزيراً لوزارة الثقافة والإرشاد القومي في المدة ١٩٥٨-١٩٦٢ ، عرف عنه ولعه بالثقافة والعلوم، فقرر أكمال دراسته في الخارج حتى حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في عام ١٩٦٠ ، وكان ذلك أثناء تأديته لعمله الرسمي وبعدما قدم استقالته عين مباشرة رئيساً للبنك الأهلي المصري في المدة ١٩٦٢-١٩٦٦، كما قلد مع ذلك المنصب عضوية مصر في المجلس التنفيذي لليونسكو ثم أعيد للوزارة من جديد في الاعوام١٩٦٧-١٩٧٠ ، وتعد حملة انقاذ النوبة من أبرز انجازاته، ثم تأتي بعدها إنشاء القصور الثقافية ، وإنشاء برنامج الصوت والصورة في المعابد الأثرية في مصر ومشاركته في حملة إنقاذ مدينة البندقية في مطلع السبعينيات في ايطاليا ، باعتباره شخصية بارزة في اليونسكو وصاحب خبرة واسعة ،وقد حصل على العديد من الجوائز، لعل أبرزها الميدالية الذهبية لليونسكو، نظراً لجهوده الكبيرة في إنقاذ معبدي أبي سمبل. لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الأهرام، العدد٥٤٤٣٤، ٢٩/نيسان/٢٠١١ ؛
http://www.alowaisnet.org/ar/winnersbio/abijjhjfdiicaceabf.aspx.

٤-مايلزكوبلاند،المصدر السابق، ص١٠.

شراء معبد او معبدين من التي ستغرق في مياه السد العالي، وهذا الموقف الأمريكي أزعج ثروت عكاشة كثيراً ، فخاطبه قائلاً "انه لجدير بمتحف المترو بوليتان أن يبادر بالعون العلمي ..بدلا من التفكير في شرائه"، وحفزه أن يأخذ على عاتقه مهمة إنقاذ آثار النوبة، رغم كل التحديات والعقبات التي يعرف بأنها سوف تواجه في المستقبل، ولذلك بادر إلى زيارة منطقة النوبة أولا والتعرف على الوضع هناك بنفسه بعيدا عن الروتين ، فزار أثار النوبة وشاهد معابدها وقبورها المزخرفة النقوش والصور الجميلة، التي دفعته إلى الاتصال بمنظمة اليونسكو والطلب منها ،المساعدة في إنقاذ أثار النوبة من خلال منسقة اليونسكو في وزارة الثقافة والإرشاد القومية المصرية، والمتخصصة في شؤون الاثار المصرية كريستيان ديروش نوبلكور" Christian .D. Nobilcor "[١].

وجاء رد المنظمة سريعا ، بزيارة نائب المدير العام للمنظمة رينيه ماهيه " René Mahee " لمصر في كانون الثاني عام١٩٥٩م ، والتقى بوزير الثقافة والارشاد القومي ثروت عكاشة، الذي أطلعه على حقيقة الأمور هناك، والرقعة الواسعة من الأرض التي تمتد عليها اثار النوبة المهددة بالزوال بعد تشييد السد العالي، وأكد عكاشة لضيفه أن إنقاذها ستكون هدية من مصر للمنظمة تذيع معها، لو انها تبنتها (أي حملة الإنقاذ) ، شهرة اليونسكو في أرجاء العالم ،فتقبّل رينيه الفكرة بترحاب ووعده بعرضها على المدير العام للمنظمة السيد فيتورينو فيرونيز"Vetorino Veronese "، وبعدها غادر مصر متوجها الى باريس ولم تمضِ أيام قليلة، حتى تلقى ثروت عكاشة رداً من فيرونيز مؤيداً لمقترحه، وأعلن عن استعداده للوقوف الى جانب مشروعه، وعرضه على المجلس التنفيذي لليونسكو اذا تقدمت مصر بكتابٍ رسمي يعلن طلبها المساعدة من المنظمة[٢]

استشار عكاشة رئيس الجمهورية، جمال عبد الناصر، قبل توجيه الطلب ،وتفاجأ الأخير من غرابة الفكرة عندما أراد ثروت عكاشة طلب المساعدة من الدول الغربية، التي رفضت قبل عدة سنين قليلة الموافقة على تمويل السد ودخلت مصر معها في حرب دولية (حرب السويس١٩٥٦)،ألا أنه ورغم ذلك لم يعارض أصل الفكرة التي كانت أشبه مايكون حلماً له ، وكما يقول ثروت عكاشة " بانه يشابه السد العالي في بداياته حيث كان حلماً تحقق رغم كل العقبات، فكان ذلك أذنا له بتوجيه رسالة إلى المجلس التنفيذي لطلب المساعدة في يونيو/

١-ثروت عكاشة، المصدر السابق،ج، ص٥١٩-٥٢٠ .

٢-اتحاد شباب النوبة الديمقراطي تحت التأسيس، قصه أنقاذ أثار النوبة كما يرويها د. ثروت عكاشة،تشرين الثاني٢٠١٠:

http://y4nubia.blogspot.com

حزيران ١٩٥٩ "[١].

عرض الكتاب على المجلس التنفيذي الذي أوصى بإيفاد بعض الخبراء لبلاد النوبة لدراسة المشروعات المختلفة، التي تحفظ أثارها مع أقامة الخبراء مؤتمراً دولياً في مصر تحدد فيه المشاريع الواجب اتخاذها لإنقاذ أثار النوبة [٢].

وقد وصل رينيه ماهو لمصر، قبل وصول الخبراء لتهيئة الظروف المناسبة لعملهم من جهة والتمهيد لبدأ الحملة الدولية للإنقاذ ،فالتقى بوزير الثقافة صاحب المبادرة واتفقا على عدة بنود أهمها تنازل مصرعن ٥٠%من الآثار المكتشفة للمكتشفين ماعدا النادرة منها او التي تعد مكملة للآثار الموجودة في المتاحف المصرية، من اجل تشجيع البعثات الجامعية وأصحاب المتاحف على المشاركة فيها فضلاً عن أجراء اليونسكو مسحاً جوياً لآثار النوبة وعرفت هذه الاتفاقية ب"مذكرة ٢٢تموزعام ١٩٥٩" ؛ وبعد عقد الاتفاقية شكلت بعثة دولية تابعة للمعهد الجغرافي الفرنسي أرسلتها اليونسكو لأجراء المسح الجوي والتي وصلت في آب عام ١٩٥٩م ، وبدأت بعمليات المسح بمساعدة القوات الجوية المصرية إلى جانب وصول الخبراء الأجانب لمصر في نفس الشهر وبدؤوا زياراتهم للمنطقة [٣].

وفي الأول من تشرين الأول عام ١٩٥٩، عقد المؤتمر الدولي في مركز تسجيل الآثار المصرية بالقاهرة بحضور الخبراء الدوليون والذين بلغ عددهم ١٣ خبيرا في الاختصاصات التالية(الجيولوجيا، علم الآثار، الهندسة المعمارية وبناء السدود الكبيرة) بمشاركة الخبراء المصريين واتفقوا على:

١-التركيز في عمليات المسح الاثاري على الآثار التي تقع على مستوى ١٢٦م فوق مستوى سطح البحر، التي تشمل الآثار المسيحية والإسلامية .

٢-إرسال مصلحة الآثار بعثتين إلى بلاد النوبة تقومان بعملية المسح في النوبة السفلى.

٣-حماية المعابد الأثرية أن أمكن في مواقعها نفسها، أو تنقل إلى أماكن أكثر أماناً لها ، واقترحوا أن تنقل وتشيد في منطقتين الأولى في كلابشة، والثانية في منطقة أبي سمبل.

٤-"منح بعض معابد النوبة لمن تسهم بمبالغ كبيرة في هذا المشروع(في إنقاذ آثار النوبة) ، وهذه المعابد هي تافة ودابود ودندور ومقصورة الليسيه و الدر"[١] .

١-نقلا عن مركز الدراسات الإدارية والمالية،آثار النوبة أهميتها الحضارية ووسائل إنقاذها، مجلة الرائد ،العدد ١٠، بيروت،اب ١٩٦١،ص٤.

٢-محمد غيطاس،حملة اليونسكو وأضواء جديدة على النوبة، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،١٩٨٧، ص٢٢.

٣-ثروت عكاشة ،المصدر السابق،ج٢،ص٥٢٧ .

٤-محمد غيطاس،المصدر السابق، ص٢٣-٢٤.

٥-اقترح الخبراء أنشاء سد ترابي صخري حول معبدي أبي سمبل وبارتفاع يزيد على ١٨٠م و بطول٧٠٠ م ويبعد عن المعبدين٣٠٠م، ونفس الشيء مع معابد فيلة [١].

وفيما يخص النوبة العليا السودانية فقد خاطبت الحكومة السودانية منظمة اليونسكو ، وطلبت منها المساهمة العاجلة لمساعدتها في إنقاذ أثارها وذلك في٢٤تشرين الأول عام١٩٥٩، وقد وجدت تجاوباً أسرع ودون تعقيد حتى أن المجلس التنفيذي خصص لها ٦,٥١مليون جنيه لإنقاذ أثارها[٢]. ولعل ذلك مرده إلى علاقاتها الايجابية مع الغرب بخلاف مصر.

وعندما أكمل الخبراء تقريرهم قدموه الى المجلس التنفيذي في دورته الخامسة والخمسين لشهري تشرين الثاني-كانون الأول عام ١٩٥٩م،وتم فيه دراسة التقرير وعلى ضوئه اصدر توصياته الى المؤتمر العام بخصوص أنشاء لجنة لرعاية الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة تسمى ب"لجنة الشرف" ، مع تشكيل لجنة للخبراء الدوليين مكونة من٨خبراء أجانب و ٤خبراء من مصر يتولون متابعة المشاريع ودراستها وتشكيل لجنة للعمل وتأخذ على عاتقها تنفيذ المشروع ، و تخويل المؤتمر العام بإطلاق نداء دولي لإنقاذ أثار النوبة[٣].

ولما اكتمل تشكيل اللجان توجهت المنظمة الى التعاقد مع المكتب الهندسي للدراسات الفنية كوين وجان بليية"Coin& gien blue" ، لدراسة أمكانية إنقاذ معبدي ابي سمبل من جميع نواحيه الفنية والجيولوجية وغيرها وإبلاغها، كي تستعد المنظمة لأكبر حملة تبرعات دولية تقوم بها والتي تتطلب ما قيمته ٣٧,٩ مليون جنيه تقريباً ، منها ٣٠,٤مليون جنيه لإنقاذ معبدي أبي سمبل والبقية توزع مابين معابد ومقابر النوبة تعهدت الحكومة المصرية بدفع ٨,٧ مليون جنيه منها فيما تساهم دول اليونسكو ال١١٣دولة المنضوية تحتها بمبلغ ٢٩,١مليون جنيه[٤].

وشعرت وزارة الثقافة وكذلك اليونسكو بلزوم تعريف الرأي العام العالمي بقيمة آثار النوبة

١-اعتمدوا على وجهة نظر المهندس المصري في مجال السدود المهندس عثمان رستم. لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد المنعم أبو بكر ،المصدر السابق، ص٩٣.

٢-تاريخ السودان،ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

٣-اوكلت مهمة رئاسة "لجنة الشرف" الى ملك السويد جوستاف السادس"GEOSTAF 6"، نظراً لاهتمامه الشديد بآثار النوبة وتأييده لدعم الحملة الدولية. لمزيد من التفاصيل ينظر: ثروت عكاشة ، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٠؛ آراء اليونسكو،العمل على الاحتفاظ بآثار النوبة وجلالة ملك السويد يقبل رئاسة لجنة الشرف ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة،العدد ٧٥ ، باريس ،شباط ١٩٦٠،ص١٢-١٣.

٤ـ ثروت عكاشة ،المصدر السابق، ج٢،ص ٥٦٠.

ودورها في صنع الحضارة الإنسانية وانه لايمكن التفريط بها أطلاقاً، وأنها ثروة فنية وثقافية لاتعوض بشيء وهي للبشرية جمعاء ،وليست لمصر فقط لكي تكون المساهمات الدولية تتلائم مع ضخامة التكاليف ولاتكون شكلية [١].

وفي ضوء ذلك ، عمدت الوزارة الى تسخير وسائل الأعلام من صحافة و تلفزيون وسينما وغيرها للترويج لها وتعريف المواطن العربي والأجنبي فتعاقدت مع أحدى الشركات الايطالية لتسيير مراكب سياحية تقل الإعلاميين ، وبدأت النوبة تشهد توافد كبريات المؤسسات الصحفية والإعلامية والمجلات العالمية كمجلة لايف"laif"الأمريكية[٢]،التي كتبت العديد من المقالات عن النوبة بعد زياراتها لها، كما شجعت الحكومة المصرية المؤسسات الأجنبية على السياحة وزيارة مناطق الآثار، فهم بالنسبة لها يمثلون وسيلة دعاية تنقل من خلالهم صوتها الى الرأي العام في تلك الشعوب ولذلك وفرت لهم العديد من المراكب السياحية لتنقلهم مابين الشلال الأول وابوسمبل، فضلاً عن جهود وزارة الثقافية التي أصدرت الكتب والمجلات بأعدادٍ كثيرة وجعلت جهدها الأكبر موجه نحو آثار النوبة ، وحتى أنها أنتجت فيلما سينمائيا قصيرا يحكي عن بلاد النوبة[٣].

كما انصبت جهود اليونسكو على توعية الرأي العام الأوربي بشكل خاص، والرأي الدولي بشكل عام ، من خلال إصدار العديد من الكتب والمجلات التابعة لها أو تلك التابعة لدور النشر العالمية عن النوبة، فضلاً عن أنتاجها فيلماً سينمائياً عن النوبة، وكانت جهودها منصبة بالدرجة الأولى على توجيه الأعلام والصحافة ومجالات الثقافة الأخرى الى التركيز على بلاد النوبة، وكثيراً ما كانت تحث الشركات والمؤسسات الدولية على الترويج لها وبخاصة فرنسا حيث يقع مقرها العام فيها ، والتي تجاوب تلفزيونها الرسمي مع اليونسكو وأنتج فيلماً تلفزيونياً عنها عرض في كثير من محطات التلفزة العالمية ، كما شكلت العديد من اللجان القومية الشعبية التي وصل عددها الى٢٢لجنة تمثل ٢٢دولة أخذت على عاتقها مهمة تعبئة الرأي العام وتحشيده، لحث الحكومات على المساهمة في دعم المشروع مالياً [٤].

١-جريدة الأهرام، العدد٤٢٢٢٢، ١١/تموز/٢٠٠٢.

٢-مجلة لايف الأمريكية :هي من أشهر المجلات الأمريكية والناطقة على لسان البيت الأبيض الأمريكي آنذاك ، عرفت بكثرة تهجمها على السوفيت والمعاداة العلنية لهم ولحلفائهم . لمزيد من التفاصيل ينظر:اليكسي فاسليف ،المصدر السابق،ص٤١.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر :آراء اليونسكو، المصدر السابق، العدد٧٥،ص ١٣ ؛ ثروت عكاشة ،المصدر السابق، ج٢،ص٥٤٩-٥٥٠.

٤-أراء اليونسكو ،العالم يستجيب الى نداء اليونسكو لحماية آثار النوبة،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة،العدد٧٦،باريس،اذار١٩٦٠،ص٩-١١.

وبعد ذلك الزخم الكبير من الترويج للحملة الدولية، أطلق المدير العام للمنظمة فيرونيز ندائه المشهور في الثامن من اذارعام١٩٦٠ الذي نصه "إنني أدعو الحكومات والمؤسسات والمنشات العامة والخاصة وكافة أصحاب العزائم الطيبة المساهمة في أنجاح عمل لامثيل له في التاريخ من قبل "(١).

وبعد إعلان النداء المذكور ،بدأت البعثات الاثارية الدولية تتوالى عليها حتى بلغ عدد البعثات العاملة في النوبة المصرية ٤٠ بعثة اثارية دولية توزعت مهامها مابين المسح ميداني الى نقل بعض الآثار من أماكنها السابقة إلى أماكن أكثر امناً لها . وأما النوبة السودانية فأصبحت تضم ١٥بعثةدولية قامت بعمليات المسح وعملية إزاحة بعض الآثار المهددة الى مناطق جديدة وقايةً لها من خطر الغرق (٢).

لم تتوقف جهود الحكومة المصرية في تعريف الرأي العام الدولي على ذلك، بل استعانت بالفن المصري القديم لجلب اكبر عدد ممكن من البعثات والمؤسسات والمنقبين للعمل في النوبة، فابتكر الوزير عكاشة أسلوباً جديداً غير مألوف في مصر، يقوم على أساس أظهار غرائب وإبداعات المصريين القدماء في معارض دولية برعاية وزارة الثقافة المصرية ، ولم تكن تلك الفكرة مرحباً بها من قبل علماء الآثار المصريين الذين رفضوا المجازفة بسلامة اثار مصر لاجل الكسب المادي والمعنوي، ولكن الوزير أقنعهم بان الدولة تضمن المحافظة عليها سليمة وأنها ستُعرِّف العالم بحضارة مصر القديمة التي هي ملك للإنسانية ، ولذلك قرر عكاشة اختيار قطع اثارية فنية متفاوتة في سنواتها حتى تمثل تطور الفن المصري عبر العصور وعرضها في الخارج، وسمي ذلك المعرض ب" خمسة آلاف سنة من الفن المصري" ، وافتتح أول الأمر في بروكسل عاصمة بلجيكا في ٢ آذارعام١٩٦٠م، ثم طاف بعدة دول أوربية كألمانيا الغربية وهولندة وسويسرا والمملكة المتحدة في ثلاث سنوات، ونال العرض اهتمام المواطن الأوربي هناك، وقد كان المعرض يصور من قبل التلفزيون الفرنسي والبريطاني لحظة بلحظة وأصبح الكثير من المواطنين يتعاطفون مع انقاد أثار مصر(٣).

١- نقلا عن مونيك هيكير ،النوبة بعد انقضاء سبع سنوات، مجلة وقائع اليونسكو،المجلد ١٣،العدد١٢ ،باريس،كانون الاول١٩٦٧،ص١١.

٢- لويس شيسو،ماهي المراحل التي بلغتها حملة النوبة ،مجلة وقائع اليونسكو ،المجلد ١١،العدد ٩ ،باريس، ايلول١٩٦٥،ص٤٠.

٣- بلغ من قوة الحملة أن الأطفال اشتركوا في دعم الحملة الدولية،حيت بدأت الطفلة "ايفيت سوفاج" وعمرها ١٢سنة في مدينة تورنيس وسط فرنسا، بجمع تبرعات لحساب الحملة من صديقاتها في المدرسة ودون أي توجيه من احد، سوى أنها سمعت من المذياع أن مياه السد العالي ستغطي آثار النوبة، وقد ذكرت ذلك في =

وبذلك تمكنت وزارة الثقافة واليونسكو من تحفيز الدول الغربية وغيرها من العمل في النوبة، رغم الخلافات الحادة بين مصر والغرب من خلال فصل الحملة، أطلاقاً عن المواقف و التوجهات السياسية بما يضمن سيرها بعيداً عن الأزمات فلم يطل الوقت على أطلاق النداء الدولي حتى اكتظت النوبة المصرية بالبعثات الدولية عدا المحلية، والتي كانت ترسلها مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار لمسح آثار النوبة، واستطاعت في غضون سنتين منذ النداء الدولي ان تنجز عملية نقل معابد دابود وقرطاسي وتافة إلى جزيرة الفانتين ، وأنجزت جامعة القاهرة عملية مسح آثاري لمعابد منطقة عنيبة(1).

وفيما يخص البعثات الأجنبية، فأنها توزعت على جميع مناطق النوبة وبعثة المعهد التشيكوسلوفاكية للآثار المصرية بجامعة تشارلز"Tesharliz "(2)، وكانت حفائرهما في تافة والتي تحوي الآثار الرومانية وبعثة جامعتي روما وميلان الايطاليتين ، وانتشرت حفرياتهم في معابد دهميت وكلابشة واخمندي والمحرقة وكوبان وسابا جورا وتاميت وبعثة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية الذي مارس أعماله في وادي السبوع، وبعثة مركز الأبحاث الأمريكي في معابد جبل العدة ومعهد الآثار الألماني بالقاهرة في عمدا ، والبعثة المشتركة لمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو"Chicago" في الولايات المتحدة الأمريكية ، والمعهد السويسري بالقاهرة وكانت حفائرهم في خور دهيت وبيت الوالي(3).

وأما النوبة السودانية، فقد شهد عمليات مسح وتنقيب واسعة قامت بها مصلحة الآثار السودانية، بأشراف خبراء اليونسكو لشمال ووسط النوبة، تناولت فيه معابد فرس وعكشة وسره غرب ودبيرة غرب وأرجن وجزيرة دباروسا خلال عامي ١٩٦٠-١٩٦١، وأخذت البعثات الأجنبية مهمة عمليات التنقيب على ضفتي النيل الشرقية والغربية، وأبرزها البعثة المشتركة الاسكندينافية (السويد والدنمارك والنرويج)، وانتشرت أعمالها على الضفة الشرقية لنهر النيل

رسالتها التي وجهتها لمنظمة اليونسكو في باريس. لمزيد من التفاصيل ينظر:أراء اليونسكو ،الطفلة ايفيت تساهم في انقاذ معابد النيل ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة،العدد ٨١، باريس،شباط١٩٦١،ص٥.

١-لويس شيسو،المصدر السابق،المجلد ١١،العدد ٩،ص ٤٠.

٢-المعهد التشيكوسلوفاكي للآثار المصرية : وقد أصبح له فرع في مصر بعد أربع سنوات من العمل في مصر ، على يد العالم الاثاري التشيكوسلوفاكي فرانتزيك ليسكا "Frantzek Lisca" . لمزيد من التفاصيل ينظر: أنباء اليونسكو،المعهد التشيكوسلوفاكي ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة ،العدد ٢٦١/٢٦٢ ، باريس، د.ت، ص١٣.

٣-ليزلي جرينر،سد عالي فوق النوبة،تعريب :علي جمال الدين ،مراجعة :محمد جمال الدين،الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة،١٩٦٢،ص٤٢.

مابين معابد فرس وجماعي منذ عام ١٩٦١، والبعثة الغانية الأفريقية ، والتي نقبت في الضفة الغربية لنهر النيل مابين دبيرة غرب، ووادي حلفا [١].

كانت البعثات الأجنبية والمحلية، قد مسحت جميع آثار مناطق النوبة، وقامت بإنقاذ مايمكن إنقاذه ولكن أهم معلمين أثريين في النوبة لم ينالا الاهتمام الحقيقي ،وهما: المعبد الكبير، والصغير في أبي سمبل،الذين يمثلان قمة العمارة المصرية القديمة ، وما وصلت اليه من تطور فني معماري في العصور القديمة، رغم بساطة الأدوات المتوفرة لهم،حيث بنوا المعبدين من الصخور وهما لامثيل لهما في العالم؛ فأما المعبد الكبير فكان للفرعون المصري رمسيس الثاني(١٢٥٠) ق.م، فيما كان المعبد الصغير لزوجته نفرتاري(أي جميلة الجميلات) على جبلين من الصخور الجرانيتية ويحتوي المعبد الكبير على رسوم وتماثيل تزين واجهته التي يصل ارتفاعها الى ٣٠متراً ، وبعرض ٤٠متراً تضم أربعة تماثيل ضخمة من الصخور تصور الفرعون جالساً وعلى رأسه تاج الملوكية ويصل ارتفاعها الى٢٠مترا ، تفصل بينهن مدخل صغير يؤدي الى داخل المعبد حيث توجد صالة ذات أعمدة مربعة الشكل ملئت بتماثيل واقفة تعود للفرعون ، ثم يأتي بعدها صالة صغيرة مربعة الأعمدة أيضا ثم قدس الأقداس والتي تضم تماثيل الهة مصر القدماء، وتحظى هذه الغرفة بالقداسة لما تحويه من تماثيل الآلهة لديهم (أمون ،بتاح ،رمسيس الثاني،حور أختي اله الشمس الذي اندمج مع آمون رع)[٢].

ويضاف الى روعة العمارة هو ما صنعه المهندس المصري القديم حيث حسب زاوية سقوط الشمس ونقطة تعامدها في السنة ، وانشأ المعبد بحيث تدخل أشعة الشمس عند تعامدها على مدار السرطان في يومين من السنة وهما ٢٢فبراير/شباط(يوم ولادة رمسيس) ويوم ٢٢كتوبر/تشرين الأول(يوم تتويجه ملكاً) الى المعبد من خلال الصالة الكبيرة ودون تشتت لتصل إلى الصالة الصغيرة فقدس الأقداس، فتضرب الشمس وجوه الهة المصريين القدماء أمون وبتاح ومن ثم بتاح ورمسيس ومن ثم رمسيس وحور أختي في الصباح الباكر[٣].

١-محمد غيطاس،المصدر السابق،ص٣٢.

٢-لمزيد من التفاصيل ينظر:وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المصدر السابق، ص ٨١-٨٣؛ انطون زكري،النيل في عهد الفراعنة والعرب، مكتبة مدبولي،القاهرة ،١٩٩٥،ص٣٤.

٣-جريدة الأهرام المسائية، العدد١٣٣، ١/آذار/٢٠٠٩.

وأما المعبد الصغير فيضم أربعة تماثيل قائمة ضخمة، تصور الملك وزوجته نفرتاري بارتفاع ١٢متراً ، وتزينه رسوم جدارية وتشابه تفاصيل العمارة فيه المعبد الكبير الذي يزن ٢٥٠ألف طن، وكان قد بناه الفرعون رمسيس لزوجته النوبية نفرتاري التي تزوجها من عامة الشعب رغم رفض الكهنة لزواج الإله من عامة الشعب ، حيث عليهم الزواج من الأكابر وأصحاب النفوذ لكنه رفض أقوالهم وتزوج نفرتاري، وفضّلها على زوجاته ال٦٧زوجة وأكرمها كثيراً حتى جعلها ألهه للمصريين وأهداها هذا المعبد، ومثلت قصتهما صورة اجتماعية لمحاولات المصريين القدماء الخروج على النظام الطبقي، رغم كل القيود وان بني البشر متساوين فيما بينهم في الخلق و الغرائز والميول (1).

وذلك ما جعل الحكومة المصرية واليونسكو تعتز بهما وتوليهما قيمة أكثر ، برغم ضخامة تكلفة إنقاذهما والبالغة ٣٠,٤مليون جنيه منها ١٨,٧مليون جنيه للمرحلة الأولى ومبلغ ١١,٨مليون جنيه للمرحلة الثانية، ساهمت مصر منها ب ٤,٨مليون جنيه(2) .

لم يتناسب الرد الدولي مع ضخامة المشروع، فهم كانوا مستعدين لإنقاذ مشاريع صغيرة(كتعهد الألمان بإنقاذ معابد كلابشة، وتعهد الأمريكان بإنقاذ معابد فيلة) في النوبة على حساب هذا المشروع الضخم ، ولم يتجاوز الدعم المقدم له أكثر من ٣,٣مليون جنيه فيما كان المشروع يتطّلب ماقيمته ١٠مليون جنيه للبدء بالعمل ،ولعل تأثيرات السد العالي السياسية كانت السبب الحقيقي وراء هذا التأخير ، فهم شعروا أن بناءه السد العالي رغم رفض الغربيينَ مثَّلَ تحدٍ غير مسبوق للمعسكر الغربي من دولة فتية لم يمضي على استقلالها سوى سنوات معدودة،ولذلك كانوا مصرين على تأديب مصر ومحو انتصارها في بناء السد من خلال استغلال مشروع أبو سمبل ، فهو المشروع الأضخم في الحملة الدولية وعدم انجازه يعني فشلها والعكس صحيح ، فاستخدم الغربيون أسلوب التسويف والمماطلة في تمويله(3) .

وهذا مادفع رئيس اليونسكو فيرنيز الى اقتراح مشروع بالتشاور مع المصريين، يقتضي باقتراض المنظمة من البنوك العالمية كقرض طويل الأجل بقيمة ١٣,٢٦٠مليون جنيه يسدد

١-سليمان مظهر،النوبة ارض الذهب وشعب المأساة ، مجلة العربي ،العدد ٣٤٣ ،الكويت ،حزيران١٩٨٧ ،ص١٤٦ -١٤٧ .

٢-ثروت عكاشة،المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٦ .

٣-محمد فتحي عوض الله،أبو سمبل بين الصخر والإنسان ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧١،ص١٢٥.

على مدى عشرين عام إجبارياً من قبل دول المنظمة ،من اجل تدارك الوقت الذي يضيع في مدة التمويل البطيئة مع خطر تعرض المعبدين بعد انتهاء المرحلة الأولى الى مخاطر تآكل أساساتهما بمياه السد العالي، غير ان المقترح رفض ولم ينال موافقة الدول الأعضاء ولاسيما الدول الكبرى التي رفضته معتبرةً ذلك خروجاً على دستور المنظمة، الذي جعل مساهمة الدول الأعضاء اختيارياً وليس اجبارياً [١].

وكان الموقف الأمريكي أكثرها وضوحاً، حيث أنهم رفضوا تأييد المقترح وهو مادفع المنظمة للرضوخ أليهم بحكم حصتهم الكبيرة في مالية المنظمة[٢]، بل تجاوزت معارضتهم أكثر من ذلك اذ ان سفيرهم في مصر(رينهارت) اعتبر السد العالي "أكذوبة سياسية" لايمكن أن تتحقق ولذلك لاجدوى من الحملة الدولية للإنقاذ في عام[٣].

ولم يكن بالإمكان ان تنجح الحملة دون مساهمة الولايات المتحدة الدولة الراعية للمعسكر الغربي وأكثر المساهمين في دعم جهد المنظمة، وهذا ما حتم على ثروت عكاشة ان يتصرف بشكل مخالف لما سارت عليه السياسة الناصرية بمعاداة الولايات المتحدة ودون ان يمس ذلك بثوابتها وفي مقدمتها الحفاظ على السيادة المصرية، فقام باستخدام أسلوب تحريك الشارع الأمريكي ضد قيادته السياسية وإجبارها على المساهمة في تمويل المشروع ، من خلال إرسال الآثار المصرية الى الولايات المتحدة لاطلاع الرأي الشعب الأمريكي على جمالية وروعة الفن المصري القديم وما توصلوا اليه من أبداع لامثيل له في العالم القديم، والذي سمي معرض "توت عنخ آمون" ، واختيرت ٣٤قطعة اثرية فنية من أثار الفرعون الشاب توت عنخ آمون لتعرض في أثنى عشر ولاية أمريكية في عام١٩٦١، وقد افتتح هذا المعرض من قبل السيدة جاكلين كيندي"G. Kennedy " زوجة الرئيس الأمريكي كيندي"Kennedy" في واشنطن ولاقى منذ افتتاحه اقبالاً منقطع النظير[٤].

١-ثروت عكاشة، المصدر السابق ،ج٢،ص٥٥٦-٥٦٥ .

٢-تتوزع مساهمات الدول في تمويل ميزانية المنظمة مالياً ، وفق الترتيب التالي :الولايات المتحدة ٢٥%،الاتحاد السوفيتي١٢,٥%، اليابان١٠,١٩ % ،المانياالاتحادية٨,٤٢%، فرنسا ٦,٤٣%، المملكة المتحدة٤,٦١%، ايطاليا ٣,٦٩ % ، كندا ٣,٠٤% ، بينما بقيت الدول الأخرى فلا تحتل من تمويلها سوى ب٠,٠١%، وهذا مايرجح كفة الولايات المتحدة دائماً بوجه خاص، والمعسكر الغربي بوجهٍ عام في اتخاذ القرار داخل المنظمة. لمزيد من التفاصيل ينظر: حسن نافعة،العرب واليونسكو، عالم المعرفة، الكويت،١٩٨٩،ص٦٥ .

٣-ثروت عكاشة،المصدر السابق،ج٢،ص٥٤٣ .

٤-محمد الشافعي، ثروت عكاشة فرعون الإنقاذ، مجلة الهلال ،العدد ١١٧ ،القاهرة ، حزيران٢١١،٢٠٠٩.

والجدير بالذكر أن الإعجاب والترحيب الكبير الذي لاقاه المعرض، فاجأ وزارة الثقافة وشجعها على تعميم الفكرة لتشمل كل من وفرنسا وانكلترا واليابان وليستمر عرض الآثار في الخارج ثلاث سنين[١] .

وبهذا كسبت الحكومة المصرية ود الشعب الأمريكي وعطفه على أثارها واضطرت الحكومة الأمريكية لتقديم طلب للكونغرس يتضمن الموافقة على تمويل الحملة الدولية ب١٠مليون دولار(٤,٣مليون جنيه)[٢]، منها٦مليون دولار (٢,٧مليون جنيه تقريباً)لانقاذ معابد فيلة والبقية لسائر أعمال الحملة ماعدا ابي سمبل فلم تمنحه شيء، وكما قال كندي في رسالته للكونغرس" تجري في الوقت الحاضر بعض الدراسات الأخرى، ومن ثم أرى ان التوصية بمساهمة الولايات المتحدة في حماية معبدي ابي سمبل امر سابق لأوانه"[٣].

ومن اجل الوصول الى حل لمسألة التمويل، عمدت وزارة الثقافة المصرية الى التعاقد مع البيت الهندسي السويدي"ف٠ب٠ب "في نيسان عام ١٩٦٢[٤]، لدراسة المشروع الايطالي[٥] ، وقد تلقت الوزارة المشروع المعدل، في شهرأيار من نفس العام من البيت الهندسي السويدي، الذي يقوم على أساس تقطيع المعبدين بعد فصلهما عن الجبلين الى١٠٣٦قطعة، وينقلان على متن سيارات ضخمة وباستخدام رافعات هيدروليكية كبيرة الى مكان لا يبعد عنه سوى ٢٠٠متر، حيث تنصب قطعه هناك وتلحم من جديد، وهذا المقترح يوفر لهم كثيراً من الأموال حيث تنخفض التكلفة من ٣٠,٤٣٤,٧٨٣ مليون جنيه إلى نحو ١٥,٦٥٢,١٧٤ مليون جنيه فقط [٦].

١-لقد كانت اليابان الدولة الأسيوية الوحيدة غير الأوربية والتي زارها المتحف وتولت صحيفة أساهي " Asahy"أشهر الصحف اليابانية أقامة متحف الآثار المصرية فيها وعلى نفقتها الخاصة في شهر آذار- تموز ١٩٦٣وساهم المعرض في جمع تبرعات لمصر بلغت قيمتها حوالي ٢٧١الف دولار، قدمت من خلال سفارتهم في مصر.لمزيد من التفاصيل ينظر:جريدة الأهرام، العدد٢٨١٤٦، ٢/كانون الثاني /١٩٦٤.

٢-أصبحت قيمة الجنيه في المدة مابين١٩٦٢-١٩٦٨ حوالي٢,٢٣٠دولار. لمزيد من التفاصيل ينظر:ماريون كلوسون وآخرون ،المصدر السابق،ص١٠ .

٣-ثروت عكاشة ،المصدر السابق،ج٢،ص٥٤٦ .

٤-المصدر نفسه،ص٥٦٤.

٥-المشروع الايطالي:وهو المشروع الذي تقدم به المهندس الايطالي پييرا جازويلا "Peru jazwela" لإنقاذ آثار النوبة من خلال نقل المعبدين والجبل كتلة واحدة حيث ينقل المعبد الكبير كله دفعة واحدة والصغير كذلك بعد فصلهما عن الجبل ومن ثم ينقل الجبل ويركب المعبدين به بحيث يبدوان، وكأنهما كما كانا عليه من قبل .لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد المنعم ابو بكر،المصدر السابق،ص١١٨-١٢٠ .

٦- ثروت عكاشة،المصدر السابق،ج٢،ص٥٥٦-٥٦٥.

ولخطورة المجازفة في هكذا مشروع استعانت الحكومة ب" مجلس المستشارين لمشروع أبو سمبل"[١].

كانت جهود وزارة الثقافة، تقابلها مساعي المنظمة الدولية اليونسكو الحثيثة لإقناع دولها على التبرع للحملة الدولية بالمبالغ اللازمة لتنفيذ عملية الإنقاذ، فوجدت انه من الضروري أطلاق نداء دولي ثاني لحث دولها على مزيد من التعاون والمصداقية في مساعدة الحكومة المصرية في إنقاذ آثار النوبة، وتحقق لها ما سعت له، حيث تعهدت الولايات المتحدة بدفع ٥,٢مليون جنيه و الفرنسيون ٤٣٤,٧الف جنيه والايطاليون١,٣مليون جنيه والهولنديون ٢١٧,٣٩١ ألف جنيه والسويديون ٢١٧,٣٩١ ألف جنيه، ووصل عدد الدول المساهمة خمسين دولة ،كما وتعهدت مصر بدفع ٥,٢١٧,٣٩١ مليون جنيه عنها [٢].

إلى جانب المساهمات غير الرسمية من العطايا والتبرعات والمساهمات الجماهيرية، فابتكرت وسيلة سريعة لكسب المال وهي "اليانصيب"حيث أطلقت اكبر يانصيب في مصر ووزع في مصر وفي البلدان العربية بقيمة ١٠٠الف جنيه، بالإضافة الى ضريبة السياحة التي فرضتها الحكومة المصرية على السواح التي درت على ميزانية الدولة حوالي ٤٣٤,٧٨٢ الف جنيه صرفت للمشروع، هذا على صعيد مصر ، وأما المساهمات الدولية الجماهيرية فقد زودت اللجان الشعبية القومية في كندا واليابان والسويد حوالي ٤٧٨,٢٦٠الف جنيه وساهمت "اللجنة الأمريكية الشعبية لإنقاذ أبي سمبل" بمبلغ قدره ٥٦٥,٢١٧ ألف جنيه [٣].

ومع استمرار الجهود الدولية لإنقاذ معبدي أبي سمبل كانت البعثات الدولية والمحلية في بلاد النوبة أنجزت أعمالاً كبيرة، حيث تمكنت من إنقاذ ٢٢معبد في النوبتين السفلى والعليا فعلى صعيد النوبة العليا السودانية تم إنقاذ معابد "قمة " الواقعة في شمال غرب السودان على يد الهولنديين، فيما تولى البلجيك بالتعاون مع السودانيين إنقاذ معابد " سمنة" شمال شرق

١–مجلس المستشارين لإنقاذ أبي سمبل:مجلس شكلته وزارة الثقافة من مجموعة من الخبراء المصريين بناءاً على توصية لجنة الخبراء الأجانب، لدراسة المشاريع المقترحة لإنقاذ معبدي ابوسمبل ويضم خمسة خبراء متخصصين في الجيولوجيا والهندسة برئاسة حسن زكي .لمزيد من التفاصيل ينظر:ثروت عكاشة ،المصدر نفسه ،ج٢ ، ص٥٤٠ .

٢–وقدمت الكويت قرض لمصر بقيمة ٣,٦٥٢,١٧٣جنيه وعلى مدى أثنى عشر سنة ودون فوائد لمساعدة مصرفي توفير العملات الصعبة التي تفتقد اليها. لمزيد من التفاصيل ينظر:أنباء اليونسكو ،حملة إنقاذ معبدي أبي سمبل والتعاون الدولي ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة ،العدد٩٠ ،باريس ،كانون الاول١٩٦٣،ص٣؛ ثروت عكاشة ،المصدر السابق،ج٢،ص٥٦٧ .

٣– مونيك هيكير ،المصدر السابق،المجلد١٣،العدد١٢،ص١٤.

السودان [١] .

وأما النوبة السفلى المصرية فقد ساهم الفرنسيون بالتعاون مع المصريين في نقل الجزء الأمامي لمعبد عمدا، الذي كانت مصلحة الآثار المصرية نقلت الجزء الخلفي له ، وقد استخدم الفرنسيون سكة الحديد لنقله إلى مسافة ٢٦٠٠م حيث ركب هناك بالجزء الخلفي وعلى ارتفاع ٦٥م في منطقة عمدا نفسها ،كما ساهمت ألمانيا الاتحادية في نقل معبد كلابشة الذي يقع جنوب أسوان على بعد سبعة وخمسين كيلومتر الى الضفة الغربية لنهر النيل بمواجهة السد العالي على نفقتها الخاصة، فيما قامت الولايات المتحدة بإنقاذ معابد بيت الوالي ووادي السبوع ومقبرة بنوت ومعبد الدر الى مناطق أخرى فنقل معبد بيت لوالي الى كلابشة وشكل من جديد ونقل معبد وادي السبوع الى منطقة عمدا ونقلت مقبرة بنوت الى مسافة ثلاثة كيلو مترات عن الموقع القديم لها ، ولقد خلفت عملية تغيير مواقع الآثار وإعادة تشكيلها في مناطق جديدة ان ظهرت الآثار النوبية في مصر بشكل مجمعات اثارية بعد ان كانت منتشرة على ربوع بلاد النوبة المصرية، وذلك ماجعلها مناطق سياحية يقصدها السواح ويشاهدوا المعالم الأثرية بسهولة ،وكانت تلك المجمعات الأثرية انقسمت الى ثلاث مجموعات وكالتالي:المجموعة الأولى وتضم معابد منطقة عمدا ومقبرة بنوت ومعبد الدر وكلها في منطقة عمدا[٢]، والمجموعة الثانية وتضم معابد الدكة والمحرقة ومعابد وادي السبوع وتقع جميعها في وادي السبوع[٣]، والمجموعة الثالثة معابد كلابشة وقرطاسي وبيت الوالي وتقع في منطقة كلابشة[٤].

وبعد انتهاء الجهود المبذولة لجمع الأموال اللازمة للبدء في عملية الإنقاذ، بدأت الحكومة المصرية بمعرفة اليونسكو التعاقد مع مجموعة من الشركات الأجنبية والمحلية لانجاز عملية

١-جريدة وطني المصرية، العدد ٢٤٣١ ،١/حزيران/٢٠٠٨.

٢- منطقة عمدا:أحدى قرى النوبة المصرية وتبعد عن أسوان مسافة ١٨٥ كم وتضم أقدم المعابد الأثرية في بلاد النوبة التي ترجع الى عهد الفرعون المصري تحتمس الرابع للمزيد ينظر: عبد المنعم أبو بكر،المصدر السابق،ص,٦٤

٣-وادي السبوع:وسميت بهذه التسمية لان رمسيس الثاني عندما بني معبدها الكبير، والذي يبعد عن أسوان ١٥٠كم جعل له صفين من التماثيل على هيئة أبي الهول (شكل أسد). لمزيد من التفاصيل ينظر :المصدر نفسه ،ص,٦٠

٤-وتضم أكبر المعابد المشيدة فى النوبة السفلى وتقارن معبدها بمعبد الكرنك بالأقصر من حيث أهميته، وهو يبعد عن سد أسوان بحوالى ٥٧ كم ، وبني هذا المعبد فى عصر الدولة الحديثة فى عصر الملك أمنحاتب الثاني فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ينظر:

http://nubia2.com/community/archive/index.php/t-16770.html.

الإنقاذ لتنفيذ العمل بأسرع وقت ممكن وتم انجاز عقود المناقصات في١٦تشرين الثاني عام ١٩٦٣م [١] .

وبدأ العمل في انقاذ معبدي أبي سمبل في تموز عام ١٩٦٤ بإنشاء سد حول المعبدين وعلى ارتفاع (١٣٣)م قامت به وزارة السياحة، بعدما ضمت أليها مصلحة الآثار المصرية في عام (١٩٦٤) أنشاء السد الواقي، ومن ثم بدأت بنقل المعبدين بعد تقطيعهما بالمناشير اليدوية من الأمام وبالمناشير الكهربائية من الخلف دون استخدام أي متفجر حفاظاً على سلامة المعبدين من التشقق ، و بعد ان تم فصل المعبدين عن الجبلين مع تغطية واجهتهما بالرمال، كي لاتقع عليهما الحجارة أثناء فصل قمة الجبل عن المعبدين ومليت جدرانهما بالسكلات الحديدية كي لا ينهار المعبدين أثناء النقل، ومن ثم نقلت تلك القطع مسافة ١٨٠م إلى الخلف،حيث ركبت على ارتفاع١٨٩م فوق مستوى سطح البحر بما يضمن عدم وصول مياه بحيرة السد العالي أليهما[٢].

وبعد نقل القطع وإعادة تركيبها، بدأ العمل بتركيب القمة ولكن إرجاع القمة ووضعها في أعلى المعبدين يمكن ان يؤدي لانهيارهما في حالة حصول أي زلزال ، فقامت الشركات المنفذة باستبدالها بقمة من الخرسانة المسلحة بشكل مقوس، وضعت عليها أطنان من الصخور بما يصور للمشاهد وكأنها قمة من الصخر ومن ثم لحمت القطع بشكل محبك ودقيق، وبذلك انتهت كل عملية إنقاذ معبدي أبو سمبل في عام ١٩٦٨ ،أي قبل سنتين من الوقت المخطط له وذلك في١٩٧٠[٣].

واحتفلت الحكومة المصرية بافتتاحهما في ٢٢ايلول١٩٦٨م بحضور وزير الثقافة (ثروت عكاشة) نيابة عن رئيس الجمهورية ، ورئيس منظمة اليونسكو (رينيه ماهو) والمدير السابق للمنظمة (فيرونيز) آنذاك و٥٠٠شخصية من رجالات الثقافة في العالم، وانتهت بذلك أهم واخطر عمليات الإنقاذ في النوبة[٤].

وباكتمال عملية انقاذ معبدي أبو سمبل انتهت المرحلة الأهم في الحملة، وفي حينها قررت

١-كانت الشركات التي وقع عليها الاختيار هن:شركة هوخشيف الألمانية،شركة امبريجو الايطالية،شركة جوان مرسي الفرنسية،شركة سنتاب وسكا نسكا السويدية ،وشركة اطلس المصرية وأوكل الأشراف على العمل الى شركة هوخشيف. لمزيد من التفاصيل ينظر :أنباء اليونسكو ،المصدر السابق ،العدد١٠٩،ص٤ .

٢-جريدة الأنوار اللبنانية، العدد ١٥٠٣ ، ٧/تموز/١٩٦٤؛ سليمان مظهر،المصدر السابق ،العدد٣٤٣ ، ص١٤٨ .

٣-جريدة الأهرام،العدد ٤٣٩٧٢ ،٢٨/نيسان/٢٠٠٧ .

٤-ثروت عكاشة،المصدر السابق،ج٢، ص٥٧١.

الحكومة المصرية الإيفاء بوعودها التي قطعتها سابقاً لليونسكو بإهداء بعض معابد النوبة الى الدول الأكثر مساهمةً فيها، فأعطت معابد دندور الى الولايات المتحدة والتي أقامته بقرب متحف المترو بوليتان في نيويورك ، ومعبد تافا الى هولندا وكانت الأخيرة نصبته قرب متحف ليدن في أمستردام، ومعبد دابور الى اسبانيا ونصبته في الميدان الملكي في مدريد ،ومقصورة الليسيه الى ايطاليا وأقامته في متحف تورينو ،ومنحت فرنسا بناءا على رغبتها رأس تمثال الفرعون اخناتون ، وأما بقية الدول فمنحتهم قطع أثرية [١].

ومنذ انتهاء العمل في ابوسمبل توجه الاهتمام نحو جزيرة فيلة، التي تقع وسط نهر النيل على بعد ٤كم عن سد أسوان القديم وشمال السد العالي وشيدت أقدم معابدها في عهد الملك النوبي طهارقا سنة ٧٠٠ق.م، وتطورت كثيرا في عهد الملك النوبي(نفتانبو الأول) ٣٧ق.م ، وأصبحت تضم المعابد المشهورة بأزيس واوزريس الذين يحتلان حيزا كبيرا في ديانة مصر القديمة [٢]. وقد تعرضت الجزيرة للخطر منذ بناء سد أسوان القديم في عام ١٩٠٢م ، حيث أصبحت مياه النيل تغطي أرضية معابدها ولايخرج منها سوى الأبنية والأعمدة في معظم أشهر السنة ماعدا أوقات الجفاف، ولان جزيرة فيلة لاتطالها مياه السد العالي، فقررت الحكومة تأخير إنقاذها حتى يتم أكمال انقاذ المعالم الأثرية جنوب السد العالي[٣].

وبدأت الحكومة جهودها لإنقاذ هذه الجزيرة الغارقة منذ عام ١٩٦٨بدراسة لمشاريع الكفيلة بحمايتها من خطر المياه التي كانت تهدد أساسات المعابد فيها كثيراً، وكانت المشاريع

١- لمزيد من التفاصيل ينظر: ثروت عكاشة ،المصدر نفسه،ج٢، ص٥٦٧؛ محمد الشافعي،المصدر السابق،العدد١١٧،ص٢١٠.

٢- حيث يصور الكهنة القدماء قصة خرافية جسدتها جدران المعابد في فيلة عن فكرة الحياة والموت والحب وإخلاص الزوجة لزوجها والشر والخير واثر السحر في هذه القصة، التي تدور أحداثها حول وجود الهين احدهما "أوزوريس" ، كان طيب القلب يملك الوديان والمناطق الخضراء والآخر"ست"فكان خبيثاً ماكراً وقد مكر لأخيه فقتله ووضعه في تابوت ورماه في نهر النيل، وعندما افتقدت الإله ايزيس زوجها أوزوريس بحثت عنه طويلا ووجدته ميتاً ، فاستخدمت أساليب سحرها لإحيائه من جديد وأنجبت منه ابنها حورس الا ان ست تمكن من قتله من جديد وذره في النيل، وبدأت ايزيس رحلتها من جديد حتى جمعت أوصاله ماعدا قدمه اليمنى التي كانت في جزيرة بيجة فلم تتمكن من استعادتها، وبدأت تغذي روح الثأر في نفس ابنها حتى كبر وانتقم لأبيه فجسد المصريين هذه القصة في جدران معابد فيلة التي بنوها لازيس وابنها حورس . لمزيد من التفاصيل ينظر:احمد عوف،أحوال مصر من عصر إلى عصر ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة،د.ت،ص١٥ .

3-killy.A.Neher,AssessingThe Impact of The Aswan High Dam on Archaeological Monuments in Egypt, Department of Art ,University of Wisconsin-River Falls ,410 south third street, January2005,p.3.

المطروحة أمامها هي المشروع القديم الذي تقدم به الهولنديون لإقامة سدود حول الجزيرة تكفل حمايتها من المياه منذ عام ١٩٦٠[١] ، ومشروع آخر جديد كانت الحكومة المصرية تدرسه اقتبسته من تجربة نقل معبدي أبي سمبل ، وبما أنها اعتمدت منذ بداية حملة الإنقاذ على الدراسات العلمية الدقيقة وعدم المجازفة، لذلك عمدت الى تشكيل لجنة من الخبراء تضم أثنى عشر خبيراً برئاسة (حسن زكي)، وأوكلت له أعطائها رأيه حول أكثرها أمناً وسلامة ، وقد تمكن المجلس من دراسة المشروعين ورجح المشروع الثاني لسبب رئيسي وهو أن مشروع السدود غير ناجح ومكلف ولا يؤدي الغرض المطلوب فهو يتطلب مضخات كبيرة لسحب مياه الرشح المستمرة خلف السدود المقترحة كجدران واقية، وفي حال تعطلها ستتضرر جدران المعابد عندها لذلك رجحوا المشروع الثاني الذي اثبت نجاحه وقلة تكلفته، وعرضت هذه الوجهة على الحكومة في ٦تشرين الثاني عام ١٩٦٨[٢].

وقد ناقشت اليونسكو في دورتها الخامسة عشر للمؤتمر العام مسألة إنقاذ معابد فيلة وتعهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر بمشاركة مصر بمقدار الثلث من تكلفة المشروع الإجمالية، والبالغة ٥,٢مليون جنيه لنقل المعابد من فيلة الى مسافة ٦,٧٠٠كم عن الموقع القديم لتنصب على الجزيرة المجاورة لها جزيرة ايجليكيا ، واختتمت الجلسة بتوجيه مدير اليونسكو رينيه ماهو نداءاً دولياً للمساهمة في إنقاذ آثار النوبة [٣].

وبعد ان أطلقت اليونسكو ندائها الدولي، بدأت عملية جمع المساهمات الدولية حيث قدمت فرنسا مليون فرنك والمانيا الديمقراطية (الشرقية)نصف مليون مارك ،فيما قدم برنامج الأغذية والزراعة التابع للأمم المتحدة حوالي ١,٠٨٦,٩٥٦مليون جنيه وقدمت مصر ١,٧٣٩,١٣٠ مليون جنيه، فضلاً عن مشاركات أخرى غطت حاجة المشروع[٤].

وهذا ما دفع الحكومة إلى التعاقد مع هيئة بناء السد العالي ومجموعة من الشركات الايطالية (كوندي، داكو، ماتزي)لتنفيذ عملية النقل التي لم تبدأ فعلياً ، ألا في ٣حزيران عام ١٩٧٠[٥] ، وتم فيها تسطيح جزيرة" ايجليكيا " وتوسعتها بمقدار ١٣الف م^{٣} لاستيعاب معابد

١–هو مشروع تقدم به كبيرَ مهندسي مصلحة الآثار المصرية عثمان رستم في عام ١٩٥٩حول بناء ثلاثة سدود حولها لحمايتها من خطر المياه عليها . لمزيد من التفاصيل ينظر: ليزلي جرينر،المصدر السابق،ص٢٥ .

2-Killy .A .Neher, op.cit,p . 3-4.

٣–محمد الفارسي،حملة إنقاذ معابد فيلة والتعاون الدولي ،مجلة العالم العربي واليونسكو،العدد الأول،الرباط،تشرين الثاني ١٩٦٨،ص,١٣

٤–ثروت عكاشة ،المصدر السابق،ج٢، ص٥٨٠–٥٨٦.

٥–المصدر نفسه ، ص٥٤٩

فيلة ، كمرحلة أولى لعملية الإنقاذ [١].

وقد ساهمت حملة انقاذ اثار النوبة في أقناع الرأي العالمي بجدية مصر في تنفيذ السد العالي ،هذا فضلاً عن انضمام العديد من الشخصيات السياسية والثقافية الى جانب التغطية الإعلامية المستمرة للحملة الدولية ساهمت في ترسيخ أهمية السد العالي للمصريين من جهة وانه حقيقة إنكارها حتى ان منظمة اليونسكو أصدرت في عددها التاسع باتفاق الدول الأعضاء ومن ضمنها الولايات المتحدة " أن السد العالي ضرورة لايمكن ان تتخلى عنها الحكومة المصرية بحكم الكثافة السكانية المستمرة التي لاتتلائم مع صغر المساحة الزراعية وتحسين المستوى المعاشي لسكانها من خلال توسيع الرقعة المزروعة وتوليد الطاقة الكهربائية والتي ستساعد في تغذية مصانعها بالكهرباء"[٢]. ويبدو ان كل الحيل الدبلوماسية والاقتصادية التي اتبعتها الولايات المتحدة وحلفائها ضد مشروع السد العالي باعتباره رمز التحدي الناصري للمعسكر الغربي لاسيما الولايات المتحدة قد فشلت ، فلم يتبق أمامهم سوى تعطيل الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة التي كانت من إفرازات المشروع لكن ذلك المسعى لم يفلح أيضا ،نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلها المصريون في إضفاء البعد الإنساني على القضية ماجعل الغرب عاجزاً عن الوقوف بوجهها فهو لم يشأ أن يكشف كل أوراقه السياسية بشكل مفضوح وذلك من خلال رفض تمويل الحملة التي نالت تأييد الرأي العام في شعوب تلك الحكومات الغربية والذي اجبرها على الاستسلام لتلك الضغوط الداخلية والمشاركة فيها .

ولم يقتصر أثر الحملة الدولية على ذلك فقط ، بل انها كشفت عن حقيقة مهمة وهي ان شعب النوبة شعب مستقل بذاته لايرتبط بمصر والسودان وأنهم يشكلون و حدة جغرافية وحضرية فبلاد النوبة كما بين ذلك عالم الآثار ركس كينتج "Rex Keating" الذي طاف ببلاد النوبة خلال حملة الإنقاذ وركز فيها على الحفريات الأثرية أكثر من النصب والمعابد

١- لقد امتدت المرحلة الاولى لانقاذ فيلة حتى عام١٩٧٧ ولتبدأ بعدها عملية نقل القطع الأثرية التي قطّعت الى٤٠ ألف قطعة وتم نقلها إلى الجزيرة الجديدة وركبت هناك وبذلك انتهت المرحلة الثانية في عام١٩٧٩م ، فكانت نهاية لحملة إنقاذ آثار النوبة التي امتدت عشرين عاماً ، وليعلن رسمياً عن انتهائها في ١٠اذارعام ١٩٨٠م. لمزيد من التفاصيل ينظر:الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة الجدول الزمني(١٩٥٩-١٩٨٠):
Http/ www .find-PDF. Com Arabic _search B9%D8% A7% D9%84%D9%8A +pdf.html.

٢-لويس شيسو ،المصدر السابق،المجلد١١،العدد٩،ص٣٩.

فوجد أنها تؤكد على ان بلاد النوبة، شهدت ظهور ٦-٧حضارات بعضها أصيلة كالحضارة البليمية النوبارية[١]، التي عكست استقلالية منطقة النوبة، وأنها منطقة اثارية لايجب أن تدرس ضمن مسمى (الحضارة المصرية القديمة) ، بل ان العرق النوبي بعيد كل البعد عن المصريين فهم يرجعون في عرقهم لشعوب وسط أفريقيا الزنجية البشرة [٢] . وهكذا يظهر أن العرق النوبي لولا عملية التهجير التي تم تناولها سلفاً، فأنهم ربما يطالبون بقوميتهم النوبية فتستغلها الدول الغربية ضد الحكومة المصرية.

فضلا ًعن ذلك كشفت الحملة الدولية عن آثار لم تكن مكتشفة، لعل من أبرزها عثور البعثة الأمريكية على ٢٠٠ مقبرة يرجع تاريخها إلى٢٠٠٠ سنة، علاوة على الأواني الفخارية وبعض موائد القرابين وتماثيل من الحجر الرملي ، علاوة على ذلك اكتشفت البعثة الهولندية بقايا أعمدة كنيسة نوبية يرجع تاريخها إلى ١٢٠٠سنة [٢] . وهكذا يظهر واضحاً ان السد العالي أسهم من خلال الحملة الدولية، في الكشف عن بعض آثار النوبة التي كانت مطمورة تحت الرمال والأحجار النوبية، ما أعطى صورة لعلماء الآثار المصريين والأجانب عن حياة المجتمع النوبي في تلك الأزمنة الغابرة .

١-الحضارة البليمية النوبادية:وهي من الحضارات النوبية الأصيلة والتي امتدت مابين (٣٠٠م-٦٠٠م)وتشكلت على يد قبيلتين في النوبة وهما: البليمي والنوبادي ، وتميز بقوتهما وشجاعتهما الفائقة حتى أنهما أصبحتا تهددان جيش الإمبراطورية الرومانية في مصر وتمكنتا من هزيمة جيوشه مراراً ، حتى تمكن منهما في القرن الخامس الميلادي، واجبرهما على عقد صلح معها لمدة مئة عام مقابل عدم التعرض لإلهتهم ومعابدهم . لمزيد من التفاصيل ينظر:عبد المنعم أبو بكر، المصدر السابق، ص٢٩-٣٠.

٢-برونون هامت، نتائج الحفريات الأثرية تثبت الأصل الأفريقي لبلاد النوبة ،نشرة أنباء اليونسكو ،العددان٢٤٨/٢٤٩ ،باريس،١٩٧٦، ص٨-١٠.

٣-صحيفة الأهرام، المصدر السابق،٦/شباط/١٩٦٤.

الخاتمة

الخاتمة

اتضح من خلال تعقب السير التاريخي لفكرة السد العالي، أنها لم تقتبس من تجارب الدول الاخرى او وليدة ثورة تموز عام ١٩٥٢، وإنما هي فكرة مصرية أصيلة تعود إلى العصور الفرعونية لاسيما حكم الفرعون "امنحاتب الثالث" الذي بنى "بحيرة موريس" التي كانت تشابه بحيرة السد العالي في آلية الخزن المتبعة فيها ما اظفى على مشروع السد العالي صفة "الاستقلالية.

وظهر أنها، قد طرحت مجدداً في القرن العشرين على يد المهندس المصري "أدريان دانينوس " لكنها لم تلق أي اهتمام يذكر، نظراً لفقدان الحكومات المصرية آنذاك لوحدة القرار السياسي وسيادة الروح الحزبية على عملها ، ما تسبب في تأخر تنفيذه حتى مجيء الضباط الأحرار للحكم في ٢٣تموزعام ١٩٥٢ الذين جعلوا الأولوية لمسألة التنمية الشاملة للاقتصاد المصري في محاولة منهم، لكسب الشرعية السياسية التي افتقدوها بوصولهم للحكم على رأس انقلاب عسكري أطاح بالنظام الملكي واستولى على الحكم بالقوة ،فكان من المحتم عليهم كسب ود الجماهير ورضاها من اجل توطيد أسس دولتهم الفتية، فلذلك قرروا بناء المشروع .

وبما انه كان مشروعاً عملاقاً فاقت تكاليفه –البالغة ٤٠٠مليون جنيه – قدرة الاقتصاد المصري على تحملها ، ما اضطر الحكومة المصرية إلى طلب المعونة المالية من البنك الدولي ،الذي وافق على تقديمها لهم وشاركه في ذلك كل من الولايات المتحدة وبريطانيا .

في الحقيقة ان الأمريكان حاولوا استغلال حاجة المصريين للأموال في سبيل أقناعهم بالتخلي عن سياساتهم القومية الرافضة للأحلاف الغربية والصلح مع إسرائيل، فضلاً عن الامتناع عن توقيع أي صفقات للأسلحة مع السوفيت ، لكن المصريين عدّوا ذلك تدخلاً في شؤونهم الداخلية ما تسبب في تعقيد مسالة التمويل وتحولها الى أزمة دولية، والى جانب ذلك أسهم رفض البنك الدولي تمويل المشروع الذي كان رضوخاً منه للهيمنة للأمريكية، في خروجه عن طابعه المهني الاممي وتحوله الى منظمة سياسية ، صارت تفرض شروطاً على المصريين، يمكن القول أنها أمريكية في مضمونها، لعل أبرزها اشتراط مشاركة الشركات الأمريكية في بنائه مقابل الحصول على قروضه.

أن ذلك الابتزاز الغربي، انصب في مصلحة السوفيت الذين استثمروه أفضل استثمار، وقاموا بطرح عروضهم المالية بتمويل المشروع وبشروط ميسرة على الحكومة المصرية التي أبدت استحسانها للعرض السوفيتي دون الانخراط في تفاصيله ، ما استثار قلق الغربيين وجعلهم يبدون نوع من اللين تجاه المصريين ويعلنوا موافقتهم على تمويله رداً على السوفيت ، وبذلك تحول مشروع السد العالي من طابعه الاقتصادي إلى مشروع يحمل بعداً سياسياً دولياً ، كما قال المستشرق السوفيتي اليكسي فاسلييف "**Aleksey Facelif**"الذي زار السد العالي في عام ١٩٦١ فقال عن " كان مشروع السد العالي...أكثر المشاريع تسييساً في العالم"[١].

الواقع ان العروض السوفيتية، أسهمت في أرباك الدول الغربية اذ اسقط من أيديهم القدرة على التحكم بالمصريين اقتصادياً ، فضلاً عن أعطائه المصريين الامكانية على رفض الشروط الغربية وانتهاج سياسة محايدة، تستثمر تناقضات الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي .

فكانت تلك التطورات السياسية ، سبباً مقنعاً للجانب الأمريكي بسحب قروضه، عندما شعر بأن المصريين، صاروا يلعبون على الوترين وان فكرة ترويض المصريين من خلال المساعدات الاقتصادية وسيلة فاشلة لا فائدة منها ، فاتجهوا إلى التصعيد السياسي بقطع التمويل المالي عن مشروع السد العالي وذلك في١٩ تموزعام١٩٥٦، في محاولة منهم لتضييق الخناق على الحكومة المصرية وإجبارها على التنازل عن سياستها المعادية للغرب .

غير أن توالي الأحداث السياسية اثبت فشل الغرب في ثني الإرادة المصرية فأولئك لم يزدادوا الا قوة وتصلباً، حتى أنهم لجئوا إلى الرد بقوة على المعسكر الغربي وبشكل غير متوقع بتأميمهم قناة السويس وذلك في ٢٦ تموز ١٩٥٦، والذي احدث أزمة دولية خطيرة غيرت خارطة المنطقة وقضت على نفوذ الدول الاستعمارية القديمة كبريطانيا وفرنسا ، لكنها في نفس

١– ينظر:اليكسي فاسلييف،المصدر السابق ، ص٣٢.

الوقت فتحت المنطقة على مصراعيها أمام الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية للتسابق على أيجاد موطئ قدم فيه، كما أن ذلك الموقف المصري قد انعكس ايجابياً على شعبية الساسة المصريين وحولهم الى أبطالاً قوميين في نظر الجماهير المصرية، ما منحهم الشرعية السياسية التي سعوا الى نيلها منذ السنين الأولى للثورة.

كما اتضح ان السوفيت قد استغلوا المنح المالية التي قدموها لمصر– لبناء السد العالي – في تحطيم الأحلاف الغربية التي صنعها الغرب ، لمنع تغلغل نفوذهم الى الشرق الأوسط ، فضلاً عن انه قد أغرى الدول العربية لاسيما حديثة الاستقلال كالجزائر نحو أقامة علاقات قوية مع الاتحاد السوفيتي، رغبةً منها في الحصول على مساعداته المالية كالتيُ قدِمت لمصر ، فكان ذلك من الأسباب الرئيسية لتعاظم النفوذ السوفيتي في المنطقة العربية، فضلا عن ذلك ان مساهمته في عملية التمويل كانت من الأسباب المهمة والأساسية لتوطيد العلاقات المصرية السوفيتية حتى صارت تسمى ب"الصداقة المصرية السوفيتية "التي انعكست آثارها على الموقف السياسي بين البلدين وعلى الواقع الاقتصادي لمصر.

وفي المجال الاقتصادي، يمكن القول أنه المشروع الوحيد الذي التقى خبراء المعسكرين الغربي والشرقي في صياغة تصاميمه واختيار موقعه الجغرافي ، فلم يسبق لأي مشروع في ذلك الزمن أن حصل على تلك الميزة لاسيما أن ذلك حدث في خضم الحرب الباردة بين المعسكرين، كما عكس قدرة السوفيت والعرب في منافسة الغرب في تقنية بناء السدود وتوليد الكهرباء وحطم الصورة الخاطئة عنهم بأنهم يصنفون في الدرجة الثانية من حيث التفوق التقني والتي سيطرة على عقلية الإنسان العربي .

وكما هو معروف، أن السد العالي، كان مشروعاً عملاقاً ليس له نظير في تاريخ السدود المصرية على نهر النيل ، وهذا الانجاز الكبير قد حقق لمصر حالة من الاستقرار الاقتصادي نتيجة ما قدمه لها من زيادة في حصتها المائية التي وصلت الى ٥٥مليارم[٣]، فضلاً عن توليد الطاقة الكهرومائية الرخيصة الثمن وبكميات كبيرة ، فانعكس ذلك ايجابياً على قطاعات الاقتصاد المصري المختلفة من زراعة وصناعة ونقل نهري وسياحة وتجارة وغيرها التي ازدادت عوائدها المالية ، فأصبحت تدر على الدخل القومي المصري ماقيمته ٢٥٥مليون جنيه سنوياً

الخاتمة

علاوة على ماقدمته للدخل الحكومي من عوائد بلغت قيمتها ٢٣مليون جنيه ، فضلاً عن أسهامه في تحرير الاقتصاد المصري من التبعية الاقتصادية للشركات والمؤسسات الغربية، التي كانت تسيطر على اغلب قطاعاته وتتحكم بمصير الشعب المصري الذي حصل بعد ان وضعت الحكومة المصرية يدها على تلك الشركات والمؤسسات الاحتكارية وحولت ملكيتها الى المصريين ضمن خطة تأميم الاقتصاد المصري ، ومن ثم توالت التحولات والتغيرات في الاقتصاد المصري حتى وصلت مصر إلى أهم مفصل في تاريخها الاقتصادي عندما أعلنت الدولة تأميم الاقتصاد المصري والانتقال من النهج الرأسمالي إلى الاشتراكي ، فصار بموجب ذلك القطاع العام هو المسيطر على كل النشاطات الاقتصادية، ما أسهم في أحداث نهضة اقتصادية في جميع قطاعاته الاقتصادية على حدٍ سواء ، غير انه لم يمنع من ظهور اثاراً سلبيةً له نتيجةً لسيطرة القطاع العام على الاقتصاد المصري اذ أصبح اقتصادها رهيناً لسياسة الحكومة الخارجية فينتعش وتتدهور بحسب العلاقات السياسية بين مصر والدول الأجنبية ، فضلاً عن ذلك تسبب المشروع في فرض الحكومة لسياسة التسويق الإجباري لبعض المحاصيل، لتأمين الاموال اللازمة لسداد القروض المترتبة على مصر للاتحاد السوفيتي، اذ كان الأخير قد اشترط ان تكون عينية وليست نقدية ،والذي ترك أثره الكبير على السوق الداخلية ، اذ لجا الفلاحين الى السوق السوداء لبيع منتجاتهم وصار يتهربون من بيعها الى الدولة التي لم تكن تشتريها بأسعار تتلائم مع أسعار السوق السوداء .

فيما برزت الأبعاد الاجتماعية والثقافية له، في تبوأ بعض الطبقات والشرائح الاجتماعية الجديدة كطبقة أغنياء الفلاحين في الريف والبرجوازية المصرية لاسيما شريحة المهندسين والأطباء وتجار التجزئة في المدن والتي تتكون منها التركيبة البنيوية للمجتمع المصري ، مواقع مرموقة في السلم الاجتماعي،على حساب الطبقات القديمة من الإقطاع والرأسمالية الأجنبية والمصرية التي كانت تحتكر مصادر الثروة بأيدي رجالها ، فيما لم تشهد طبقتي الفلاحين والعمال تحسناً كبيراً ، بحكم الفراغ الذي حدث نتيجة سقوط الطبقات المتنفذة كالإقطاع وكبار الرأسماليين ، لكن ذلك لم يمنع من حدوث تحولات اجتماعية في مستوى معيشتهم .

الخاتمة

لقد أدت عملية التنمية الاجتماعية من بناء القرى العصرية وتحسين مستوى الخدمات العامة في الريف، كما حصل في النوبة الجديدة أن قلصت من حجم الهوة بين الريف والمدينة، علاوة على ذلك أن التطورات الاجتماعية والمعطيات الناجمة عن التحسن النسبي في الخدمات الصحية وقلة الوفيات وانتشار التعليم وانخفاض مستوى البطالة، أحدثت تغييرات واسعة في التركيب الاجتماعي للسكان كما أسهم في زيادة عدد السكان .

والجدير بالذكر ان مصر قد شهدت منذ بناء السد العالي تغيراً غير مسبوق، حيث ان كل عمليات التغيير الاجتماعي، التي قامت بها الحكومات الملكية كانت تبدأ من المناطق المترفة الى الفقيرة ، فيكون حجم الأعمار والتطوير في البنى التحتية للمحافظات الفقيرة شكلي وغير واضح بخلاف الوضع بعد بناءه ، فقد انطلقت من أقصى الجنوب من أكثر المحافظات المصرية فقراً وحرماناً باتجاه الشمال الغني كالقاهرة والإسكندرية فصارت أسوان حقيقة، تعبّر عن الأهداف التي نادت بها حكومة ثورة تموز، التي من أبرزها تحقيق العدالة الاجتماعية بين أبناء المجتمع المصري . إلا انه لم يخلو من السلبيات اذ تسبب في تغيير أماكن المعالم الأثرية في بلاد النوبة وخسارة الحضارة المصرية معابد وتحف فنية ذهبت الى ملكية المستكشفين الأجانب كتحفيز قدمته الحكومة المصرية لتسريع عملية الإنقاذ، فضلاً عن تكاليفها الكبيرة فمثلا حملة إنقاذ ابي سمبل، وهي أهم ركن في الحملة الدولية وصلت قيمتها الى ٣٠ مليون جنيه تقريباً . وقد سلطت تلك الحملة الضوء على أهمية المشروع لمصر، وألزمت الدول الغربية بقبول الأمر الواقع ، فهي بمشاركتها في الحملة قد أقرت به كحقيقة لامفر منها ، وليس كما يقول سفير الولايات المتحدة بأنه"أكذوبة سياسية" ، وتبين قدرة المفاوض المصري لاسيما ثروت عكاشة على كسب دول العالم ، ومن ضمنها الدول الغربية لاسيما الولايات المتحدة من خلال نفس الأعلام ، الذي كان يوجد النقد الشديد الى المصريين ويعيبُ عليهم تشييد السد العالي ، وهذا ما يؤكد سر اختيار عبد الناصر لثروت عكاشة كوزير للثقافة، ليكون لساناً للحكومة المصرية، تتمكن من خلاله من فتح جسور دبلوماسية مع الدول الغربية التي قاطعت مصر ، ورفضت تقديم المساعدات الاقتصادية لها، فاتضح أن ذلك قد تحقق وأصبحت مصر منفتحة على العالم من خلال منفذ وزارة الثقافة.

قائمة

المصادر

قائمة المصادر

أولا //الوثائق غير المنشورة المودعة في د.ك.و

رقم الملف	عنوان الملف	التاريخ
٧٢٩ /٣١١	تقارير المفوضية العراقية في القاهرة	١٩٤٠
٢٦٧٣ /٣١١	المفوضية الملكية العراقية في القاهرة	١٩٥٣
٣١١/٢٦٧٧	السفارة الملكية العراقية في القاهرة	١٩٥٤
٣١١/٢٦٧٧	السفارة الملكية العراقية في القاهرة	١٩٥٥
٣١١/٢٦٨٠	السفارة الملكية العراقية في القاهرة	١٩٥٦
٥٠٣٨ /٣١١	السفارة الملكية العراقية في واشنطن	١٩٥٦
٥٠١٨ / ٣١١	السفارة الملكية العراقية في لندن	١٩٥٦
٥٠١٨ /٣١١	السفارة الملكية العراقية في بون	١٩٥٦
٣١١/٥٠٥٩	السفارة الملكية العراقية في باريس	١٩٥٦
٢٦٨١ /٣١١	السفارة الملكية العراقية في القاهرة	١٩٥٨
٣١١/٥٠٢٠	السفارة الملكية العراقية في لندن	١٩٥٨
٤١١/٢٨٣	السفارة العراقية في الخرطوم	١٩٥٨
٤١١/٢٨٣	السفارة العراقية في الخرطوم	١٩٥٩
٤٥٥/٤٢٠٧٠٠	وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي العراقية	١٩٧١

ثانياً//الوثائق المنشورة:

(أ)الوثائق العربية

١) اخترنا لك ،خطب الرئيس جمال عبد الناصر، مجلس الخدمات،القاهرة ، د.ت .

٢) ـــــــــ، خطب جمال عبد الناصر ١٩٥٢-١٩٥٩ ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ،د.ت.

٣) ـــــــــــــ، على طريق الاشتراكية، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤ .

٤) ـــــــــــــ، وثائق الثورة العربية، رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، بيروت،د.ت.

٥) الجمهورية العربية المتحدة، السد العالي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٧٠.

٦) جمهورية مصر العربية، ورقة عمل مصرية حول وسائل ترشيد استخدام مياه الري في الزراعة المصرية، وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي،د.ت.

٧) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء " النتائج النهائية لتعداد السكان – محافظة أسوان " مرجع رقم ١١٠٢، كانون الأول ١٩٩٨.

٨) خطاب خروشوف في الاجتماع الشامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في٢١حزيران ١٩٦٣ ،تعريب وطباعة: العالم العربي،القاهرة،١٩٦٣.

٩) السجلات البريطانية المحفوظة في المكتبة الوطنية، رقم الملفه٢٠١،مشاكل المصريين والعراقيين في الشرق الأوسط مابين عامي ١٩٤٥-١٩٤٦،تعريب: مؤيدالونداوي.

١٠) رئاسة الجمهورية، موسوعة المجالس القومية التخصصية ١٩٧٤-١٩٩٢ الإنتاج والشؤون الاقتصادية، مجلد ١٨، المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩٢.

١١) ـــــــــــــ، موسوعة المجالس القومية التخصصية١٩٧٤-١٩٨٩التعليم الجامعي والعالي، المجلد ٧، المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة، ١٩٩٠.

١٢) ـــــــــــــ، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤-١٩٩٠ الزراعة والري، مجلد ١، المجلس القومي للانتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩٠.

١٣) ـــــــــــــــ، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤-١٩٩١ السياسة الدوائية، مجلد١٤، المجلس القومي للإنتاج والشؤون الاقتصادية، القاهرة، ١٩٩١.
١٤) السكرتارية العامة للحكومة، محضر اجتماع حكومة الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر،الاجتماع رقم ١، ١٩تشرين الأول١٩٦١.
١٥) مجلس الشورى المصري، الدساتير المصرية والوثائق المتعلقة بها١٨٢٤-٢٠٠٧، مركز المعلومات، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٦) محاضر الاتحاد الاشتراكي، الجلسة الخامسة عشر، ١٩/شباط/١٩٦٩،(www.Nasser.com).
١٧) ـــــــــــــــ، الجلسة الحادية عشر، ٢١/ نيسان/١٩٧٠،(www.Nasser.com).
١٨) محافظة أسوان، التقرير البيئي لمحافظة أسوان، مكتب شؤون البيئة، أسوان، ٢٠٠٣.
١٩) محاضر مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لمجلس النواب لسنة ١٩٥٥ – ١٩٥٦ ، الجلسة ٢٥ ، مطبعة الحكومة – بغداد ، ١٩٥٦.
٢٠) مصر في أرقام، المساحة المنزرعة١٩٦٠-٢٠٠٧، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ووزارة الزراعة واستصلاح الأراضي، ٢٠٠٩.
٢١) مصلحة الاستعلامات، الثورة في ١٢ عاماً، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤.
٢٢) منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي والبنك الدولي، مراجعات لسياسات التعليم الوطنية التعليم العالي في مصر،تعريب : منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي ، وزارة التعليم العالي المصرية،د.م،٢٠١٠.
٢٣) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بلاد النوبة، مصلحة لاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٧.
٢٤) وزارة الموارد المائية والري، مشكلة الأرز في مصر، جهاز التوعية والإرشاد، القاهرة، د.ت

(ب)إصدارات الأمم المتحدة واليونسكو :

_ الأمم المتحدة

١. الأمم المتحدة ، التطورات الاقتصادية في الشرق الأوسط ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، نيويورك ، ١٩٥٦ .
٢. الأمم المتحدة،التطورات الاقتصادية في الشرق الأوسط ١٩٥٨-١٩٥٩،نيويورك ،١٩٥٩.

٣. الأمم المتحدة- مجموعة المعاهدات /٥٧٣٣، اتفاقية المرحلة الثانية بشأن تقديم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية المساعدة الاقتصادية والفنية للجمهورية العربية المتحدة، تعريب :تراد كشن ، نيويورك ، ١٩٦١.

_ إصدارات اليونسكو

١. آراء اليونسكو ،الطفلة ايفيت تساهم في انقاد معابد النيل،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة ،العدد ٨١، باريس، شباط١٩٦١ .

٢. أراء اليونسكو ،العالم يستجيب الى نداء اليونسكو لحماية آثار النوبة،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة،العدد ٧٦،باريس،شباط١٩٦٠ .

٣. آراء اليونسكو،العمل على الاحتفاظ بآثار النوبة وجلالة ملك السويد يقبل رئاسة لجنة الشرف ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة،العدد ٧٥،باريس،شباط١٩٦٠ .

٤. أنباء اليونسكو ،حملة انقاد معبدي أبي سمبل والتعاون الدولي ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة ،العدد ١٠٩،باريس،كانون الاول١٩٦٣ .

٥. أنباء اليونسكو ،المعهد التشيكوسلوفاكي ،نشرة اليونسكو للصحافة والإذاعة ،العدد ٢٦٢/٢٦١،باريس،د.ت.

٦. أنباء اليونسكو، نتائج الحفريات تثبت الأصل الأفريقي لبلاد النوبة، نشرة للصحافة والإذاعة، العددان٢٤٨/٢٤٩، باريس، ١٩٧٦.

(ج)الوثائق الأجنبية المنقولة عن موقع "جمال عبد الناصر "

١-الوثائق البريطانية.

1-Prem11/1282, Telegram From Cairo To Foreign Office, Telegram .No: 1442, October15,1955 (www.Nasser.com)

2-Prem11 /1282, confidential from Jerusalem to Foreign Office, Tele -gram no .378, October 18, 1955 (www.Nasser.com)

3-F.O371/125423, Prime Minister's Visit TO London, NO 302 , 1

٢-الوثائق الأمريكية المنشورة

1-Department of State , Foreign Relations 1955-1957 (Arab-Israeli- Dispute) , XV, NO.0754, 1 January-26July-1956 ..(www.Nasser.com)

2-Department of State, Foreign, Relations 1955-1957, the Foreign Office to Her Majesty's Embassy, Central Files. 874.2614 /6-1456, Volume XV, Washington, June 14, 1956 (www.Nasser.com)

ثالثاً //الكتب الوثائقية

١. أنيس، محمد، حريق القاهرة في ٢٦يناير١٩٥٢على ضوء وثائق تنشر لأول مرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

٢. حميدي ،جعفر عباس ،التطورات السياسية في مصر ١٩٣٠-١٩٤٢ في ضوء الوثائق، بيت الحكمة ،بغداد ،٢٠٠٢.

٣. الديب، بثينة محمود ،التقرير الوطني عن احصائات الإعاقة في مصر،الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.، القاهرة، د.ت.

٤. شيسو،لويس، ما هي المراحل التي بلغتها حملة النوبة ،مجلة وقائع اليونسكو ،المجلد ١١،العدد ٩،باريس ،أيلول ١٩٦٥.

٥. طه ،جاد ، بريطانيا والجيش المصري في ضوء الوثائق البريطانية،ط٢،جامعة عين شمس،١٩٨٤.

٦. عبد الناصر ،جمال، فلسفة الثورة والميثاق، دار القلم، بيروت ١٩٧٠.

٧. هيكير ،مونيك ،النوبة بعد انقضاء سبع سنوات، مجلة وقائع اليونسكو،المجلد ١٣،العدد١٢ ،باريس،كانون الاول١٩٦٧.

٨. هيكل، محمد حسنين، حرب الثلاثين: ١٩٦٧الانفجار، مركز الأهرام ،القاهرة ،د.ت.

٩. ________________سنوات الغليان، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٤.

١٠. ________________ملفات السويس، دار الشروق،القاهرة،٢٠٠٤.

١١. مجهول ،مؤلف ،المسألة المصرية في دورها الأخير ويشتمل على تقرير ملنر واهم الردود الوطنية ،د.ن،القاهرة ،١٩٢١.

١٢. محمد، محسن، الشيطان تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٩.

رابعاً//الرسائل و الاطاريح الجامعية

١. إبراهيم ،محمد عادل الدين ،الآثار الاقتصادية والبيئية لاستخدام مياه ذات نوعية منخفضة في الزراعة المصرية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الزراعة، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢.

٢. إسماعيل ، مأمون شاكر، العلاقات السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٦ – ١٩٦٣ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،٢٠٠٥.

٣. الجبوري، ميسون ، أزمة السويس والموقف الدولي منها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.

٤. الجبوري ، سهيلان منذر خليل ، الصحافة العراقية والعدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ ، رسالة ماجستير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦.

٥. حسين، مها ناجي ، العلاقات الجزائرية– السوفييتية ١٩٦٢ – ١٩٧٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧.

٦. الخفاجي، منال عباس ،العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦–١٩٥٢،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية بنات،جامعة بغداد ،٢٠٠٥.

٧. خلف، وفاء خالد ،محمد نجيب ودوره السياسي والعسكري في مصر ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦.

٨. الراوي ، عماد كريم عباس ، موقف مصر من قضايا المشرق العربي ١٩٥٢–١٩٦٧ ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة الانبار ،٢٠٠٩ .

٩. سلمان، هزاع داوود ،السياسة المالية ودورها في الإصلاح الاقتصادي مصر حالة دراسية،أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد،٢٠٠٩.

١٠. الشيخلي، صلاح الدين إسماعيل ،العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٢– ١٩٦١ ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون والسياسة،جامعة بغداد،١٩٨٠.

١١. الشمالي، منى حسين، الأحزاب الاتحادية في السودان١٩٤٤–١٩٦٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية بنات،جامعة بغداد،٢٠٠٤.

١٢. الشمري، مازن مهدي ،إسماعيل صدقي ودوره في السياسة المصرية ١٨٧٥–١٩٥٠،رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية ابن رشد ،جامعة بغداد ،٢٠٠٥.

١٣. عبد الدليمي، عبد الستار ، العلاقات الأمريكية –المصرية ١٩٦٧ –١٩٧٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ والتراث العلمي، اتحاد المؤرخين العرب ، ٢٠٠٦.
١٤. عبد الضيفي ،ميثاق بيات ،أنتوني أيدن والقضية المصرية،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،د.ت.
١٥. العبدي ،منذر صالح ،التنمية و المشكلات البيئية دراسة جغرافية تطبيقية أشارة لمصر وبعض دول شمال أفريقيا ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣.
١٦. عطرة، وائل غني ،موقف الأقطار العربية من ميثاق بغداد ١٩٥٥–١٩٥٨،رسالة ماجستيرغير منشورة ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية،٢٠٠٢.
١٧. العكيلي، ابتسام محمود ،الأوضاع السياسية في السودان ١٩٦٩–١٩٨٥ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية بنات ، جامعة بغداد ،٢٠٠٧.
١٨. ______________ ، الحياة الديمقراطية في السودان ١٩٥٣–١٩٦٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣.
١٩. علي، عبد الحميد عبد الله ، موقف جمال عبد الناصر من التطورات السياسية في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٩.
٢٠. العميري، شيماء ، العلاقات السورية السوفييتية ١٩٤٦ – ١٩٦١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،٢٠٠٥.
٢١. العيساوي، مالك محسن خميس ، المتغيرات الدولية وأثرها على القضية الفلسطينية من ١٩٩٠–٢٠٠١ ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العالي للدراسات الدولية ، جامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣.
٢٢. فيصل ،جمال،التطورات الاجتماعية في مصر ١٩٤٥–١٩٥٢،أطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية ابن رشد ،جامعة بغداد ،٢٠٠٣.
٢٣. محمد،عمر محمد على ، جغرافية العمران الريفي في محافظة أسوان دراسة في الجغرافية التطبيقية ، ملخص رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة حلوان ، ١٩٩٩.
٢٤. المرسومي، جميل صبر، العلاقات السياسية السورية المصرية ١٩٤٦–١٩٥٨،أطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد،جامعة بغداد،١٩٩٨.

٢٥. المسعودي،عبير خليل إبراهيم، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي من الصراع المصري – الإسرائيلي ١٩٧٠ _١٩٨١،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية صفي الدين،جامعة بابل ،٢٠١١.
٢٦. المكصوصي ، شيماء طالب ، السياسة البريطانية تجاه البحر الأحمر ١٩٣٩-١٩٥٦ ، أطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .
٢٧. الياسري، حميد ياس، مشكلة الصحراء الغربية وأثرها في الأمن القومي العربي ، أطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ .

خامساً//الكتب العربية والمعربة

١) إبراهيم،صلاح الدين،مصر التي في خاطري، مكتبة الآداب،القاهرة ،٢٠٠٥.

٢) إبراهيم،صنع الله وآخرون،إنسان السد العالي،دار الكاتب العربي ، القاهرة،١٩٦٧.

٣) أبوبكر ،عبد المنعم ،بلاد النوبة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،القاهرة ،١٩٦٢.

٤) أبو الحجاج، يوسف،السد العالي والتنمية الاقتصادية ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦٤.

٥) ــــــــــــــــ،كتابات مصرية، دار الفكر الجديد،د.ت ،١٩٧٥.

٦) أبو الفتح، محمود ،المسألة المصرية والوفد،دار البستاني،القاهرة،د.ت.

٧) أبو العطا،عبد العظيم وآخرون ،نهر النيل الماضي والحاضر والمستقبل ، دار المستقبل العربي ،القاهرة،١٩٨٥.

٨) أبو عيانة ،فتحي محمد ،السكان والعمران الحضري بحوث تطبيقية في بعض الأقطار العربية ، دار النهضة العربية،بيروت،١٩٨٤.

٩) أبو الوفا،طاهر، قصة السد العالي، د.ن،القاهرة ، د.ت.

١٠) أديب ،سمير ،أهم المعالم الأثرية في منطقة الجيزة، د.م، ١٩٩٧.

١١) ارسكين تشايلدروز ، الطريق الى السويس ، تعريب : خيري حماد ، دار القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٢) ارنولد، دافيد،الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية.،تعريب :مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة ،الكويت،١٩٩٨.

١٣) أمام ،عبد الله ، حكايات عن عبد الناصر، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ،١٩٨٧.

١٤) أمين ،محمد حسني ، السد العالي انتصار الشعب ، الدار القومية ، القاهرة،د.ت.

١٥) ________، السد العالي ثورة شاملة ، الدار القومية ، القاهرة ، د.ت.

١٦) ايفانز،تريفور،مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤-١٩٤٦،تعريب :عبد الرؤوف عمرو ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،١٩٩٥.

١٧) بدوي،احمد،هيرادوت يتحدث عن مصر،تعريب: محمد صقر خفاجة، دار القلم ،د.م،١٩٦٦.

١٨) بدوي،محمد وآخرون،السد العالي بعض النواحي الاجتماعية و الاقتصادية والهندسية ، مطبعة الإسكندرية،١٩٥٩.

١٩) برج ،محمد عبد الرحمن، قناة السويس أهميتها السياسية و الإستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٥٦ ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٨.

٢٠) بريماكوف ،الكسندر ، نفط الشرق الأوسط والاحتكارات الدولية ، دار ألف باء ، بيروت،١٩٨٤.

٢١) البقاعي،محمد علي الحسيني، النظام السياسي في الكيان الصهيوني ، مطبعة الأمير ، بيروت ، ٢٠٠٣.

٢٢) البكار، عبدالهادي ، المأزق مصر والعرب الآخرون، مطبعة التقدم ، القاهرة،١٩٨٤.

٢٣) بلبع ،عبد المنعم ،الماء ودوره في التنمية ، دار المطبوعات الجديدة ،الإسكندرية ،١٩٨٦

٢٤) البلبل ،علي احمد وآخرون، التطور والهيكل المالي والنمو الاقتصادي: حالة مصر ١٩٧٤-٢٠٠٢، معهد السياسات الاقتصادية،أبو ظبي،٢٠٠٤.

٢٥) بلييايف ،أيغور وافغيني بريماكوف،مصرفي عهد جمال عبد الناصر،تعريب:عبد الرحمن الخميسي ، دار الطليعة ،بيروت،١٩٧٥

٢٦) البهلول، أيمن، الأطماع الخارجية في المياه العربية، دار السوسن، دمشق، ٢٠٠٠.

٢٧) بوجوش ، واي وآخرون ، السياسة الخارجية السوفييتية ١٩٥٥ – ١٩٦٥ ، تعريب : خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨.

٢٨) بيبرس، ضياء الدين ،أسرار حكومة يوليو ، مطبعة المعرفة ، القاهرة،د.ت.

٢٩) البيضاني ،إبراهيم سعيد ، تاريخ العالم المعاصر ١٩١٤ – ١٩٥٨ ، مركز الثقلين ، بغداد ،٢٠٠٤.

٣٠) بييروندو ، مستقبل الشرق الأوسط ، تعريب : نجدة هاجر ، وسعيد الغز، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت.

٣١) تولي ،اندرو،CIA الجاسوسية الأمريكية،تعريب: وليم خوري ، دار دمشق، دمشق ،١٩٦٣.

٣٢) ثابت، كريم ،فاروق كما عرفته،تقديم :محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٠.

٣٣) جاسم ،عزيز السيد،مقتل جمال عبد الناصر، ط٢،مطبعة أفاق عربية ،بغداد ، ١٩٨٥ .

٣٤) جرينر، ليزلي ،سد عالي فوق النوبة،تعريب :علي جمال الدين ،مراجعة محمد جمال الدين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة،١٩٦٢.

٣٥) جلاب ،فيلب ، هل تهدم السد العالي ، ط٦ ،جريدة الاهالي، القاهرة ، ١٩٨٥.

٣٦) الجمل، شوقي وعبد الله عبد الرزاق،تاريخ مصر المعاصر، دار الثقافة للنشر ،القاهرة،١٩٩٧.

٣٧) الجوادي ،محمد ،الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم وتشكيلاتهم ١٩٥٢ – ١٩٩٧ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧.

٣٨) الجوهري،يسرى،جغرافية الشعوب الإسلامية ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٩٩٥.

٣٩) ــــــــــــــــ،جغرافية مصر السياحية ، مكتبة الإشعاع ،الإسكندرية ، ١٩٩٨.

٤٠) الحاج ،وليد ، العلاقات المصرية السوفييتية من السد الى الخبراء ، الشركة اللبنانية ، بيروت ،١٩٧٢.

٤١) حبيب عبد العزيز محمد ، مصادر الطاقة في أفريقيا، مركز البحوث و المعلومات، بغداد ١٩٨٢، ص١٦٦.

٤٢) حجازي، أنور ، في رحاب النيل ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٤٣) حجازي ،محمد حسين ، التسميد في طرق الري الحديثة ، الدار العربية ن القاهرة ، ١٩٩٩.

٤٤) حرب ،أسامة الغزالي،جمال عبد الناصر قراءة جديدة في ذاكرة الثلاثين ، دار مصر المحروسة للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١.

٤٥) حسين ،عادل ، الاقتصاد المصري من الاستقلال الى التبعية ١٩٧٤-١٩٧٩، دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١.

٤٦) حسين، محمد عبد الرحمن، نضال شعب مصر١٧٩٨- ١٩٥٦، منشاة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٠.

٤٧) حسين، نذير جبار، العلاقات السعودية الأمريكية ٥٣ – ١٩٦٤، مراجعة د.ناصر المعايطة، مؤسسة البلسم،عمان ، ٢٠٠٠.

٤٨) حمدان،جمال،خريطة الأرض الزراعية ،دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٤.

٤٩) ______،شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ، ج ٢ ،٣ ، ٤،دار الهلال،القاهرة،١٩٩٤.

٥٠) ______،مختارات من شخصية مصر،تقديم :عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي،القاهرة،١٩٩٥.

٥١) حمروش، احمد،قصة ثورة يوليو :البحث عن الاشتراكية، دار الموقف العربي،القاهرة،١٩٨٣.

٥٢) ________، قصة ثورة يوليو:شهود ثورة يوليو ، المؤسسة العربية، بيروت ، ١٩٧٧.

٥٣) ________، قصة ثورة يوليو:مجتمع جمال عبد الناصر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٧٨.

٥٤) حمود،حسين محمد،أسرار حركة الضباط الأحرار والأخوان المسلمين ، الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ،١٩٨٥.

٥٥) حميدة ،عبد الرحمن ، جغرافيه الوطن العربي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠.

٥٦) الخولي،لطفي، دراسات في الواقع المصري المعاصر، منشورات الطليعة،بيروت،١٩٦٤.

٥٧) دسوقي،ناهد إبراهيم ،دراسات في التاريخ الأمريكي ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٩٧.

٥٨) الدهيري ،عبد الوهابي وآخرون ، تجارب استصلاح الأراضي الزراعية في الوطن العربي ، مطبعة الفليح ، الكويت ، ١٩٨٤.

٥٩) دومال، جاك وماري لوروا، جمال عبد الناصر من حصار الفلوجة حتى الاستقالة المستحيلة ،تقديم: كمال جنبلاط،تعريب: ريمون نشاطي ،دار الآداب ، بيروت،د.ت .

٦٠) ديمون ،رينيه ومارسيل مازوييه،التجارب الاشتراكية أمام مشاكل التنمية ،تعريب :رشيد حسن وحسن قبيسي، دار الحقيقة ، بيروت،١٩٧٠.

٦١) الرافعي،عبد الرحمن،مذكراتي١٨٨٩-١٩٥١،ط٢،مطابع الأخبار،القاهرة، ١٩٨٩ .

٦٢) الرب ،حسام جاد،جغرافية أفريقيا وحوض النيل ،دار العلوم ،القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٣) ___________،جغرافية الوطن العربي،دار العلوم ،القاهرة ،٢٠٠٥ .

٦٤) رزق، محمد محي الدين ،أفريقيا وحوض النيل ،ط٢،مطبعة عطايا بباب الخلق، مصر،١٩٣٤.

٦٥) رزق،يونان لبيب،شئون وشجون تاريخية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠٠٥.

٦٦) رمضان، عبد العظيم ،الصراع بين الوفدوالعرش٣٦-١٩٣٩، ط٢ ، المكتبة العالمية ،بغداد ،١٩٨٥.

٦٧) _____________،عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤ ، روز اليوسف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦.

٦٨) ـــــــــــــــــــ، قصة عبد الناصر والشيوعيين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

٦٩) الريماوي ،سهيلة ، من وحي السد العالي ثورة امة وقلب ام ،الدار القومية،القاهرة،د.ت .

٧٠) زكري ،انطون ،النيل في عهد الفراعنة والعرب، مطبعة المعارف،١٩٩٥.

٧١) زكي ،حسن ،السد العالي هندسته واقتصادياته، د.ن ، القاهرة، د.ت.

٧٢) زكي ،حسن عباس ، السياسة الاقتصادية في ج.ع.م، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٦٩.

٧٣) زهرة ، السيد ، أحزاب المعارضة و سياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر، دار الموقف العربي، القاهرة،١٩٨٦.

٧٤) الزوكة ،محمد خميس ، التخطيط الإقليمي وأبعاده الجغرافية ، ط٣ ، دار المعرفية الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٠.

٧٥) سالم، لطيفة محمد، أزمة السويس ١٩٥٤ – ١٩٥٧ جذور. أحداث.نتائج ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.

٧٦) سفيتلوف،الكسييف كروتسييخ ،الروح العسكرية الأمريكية،تعريب: محمود شفيق شعبان ، مطبعة الشام، دمشق،١٩٨٨.

٧٧) سعودي،محمد عبد الغني ، أفريقيا ، مكتبة الانجلو،القاهرة ، ١٩٩٧ .

٧٨) سعيد، رشدي، الحقيقة والوهم في الواقع المصري، دار الهلال، القاهرة، د.ت.

٧٩) ـــــــــــــ،نهر النيل ، دار الهلال ،القاهرة، ٢٠٠١.

٨٠) السعيد ،مصطفى ،الاقتصاد المصري وتحديات الأوضاع الراهنة :مظاهر الضعف ،الأسباب ،العلاج، دار الشروق ،القاهرة،٢٠٠٢.

٨١) سميسم، حميد ، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٧.

٨٢) السيد ،مصطفى كامل ، التحولات السياسية الحديثة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، القاهرة ،١٩٨٩.

٨٣) شادمان، احمد ، أيام مضت ، رياض الريس للنشر ، د.ت .

٨٤) الشافعي ،محمد ومحمد يوسف،السد العالي هرم الإرادة المصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ،٢٠٠٧.

٨٥) شتي ،ب.ل. ،بلاد النوبة في العصور الوسطى،تعريب : نجم الدين محمد شريف ، مصلحة الآثار المصرية،الخرطوم،١٩٥٤.

٨٦) شحاتة ،أبراهيم ،البنك الدولي والعالم العربي تحديات وآفاق الاقتصاد المصري ، دار الهلال،القاهرة،١٩٩٠.

٨٧) شرف،سامي ،سنوات مع عبد الناصر، صحيفة الخليج الإماراتية ، د.م،٢٠٠٣.

٨٨) شكر،عبد الغفار،عبد الناصر يتحدث حول مفهوم العمل السياسي ، دار الموقف العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣.

٨٩) شكري ،محمد عزيز ،الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية،عالم المعرفة،الكويت،١٩٧٨.

٩٠) شلبي،كرم،صحافة الثورة وقضية الديمقراطية، مؤسسة دار التعاون ،القاهرة ،د.ت.

٩١) الشلق،احمد زكريا ،معالم من تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة، ١٩٩٦.

٩٢) الصاوي،لطفي،مشاكل الطب في الريف المصري، دار الفكر، القاهرة، ١٩٥٧.

٩٣) صبري ،محمد ،تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث ،ط٢،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩٦ .

٩٤) صالح ،احمد رشدي ،دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي: الاستعمار البريطاني في مصر،كرومر في مصر،عدو جديد،الاستعمار العربي في الشرق العربي،قناة السويس،مسالة السودان،تقديم: عبد العظيم رمضان، مطابع الهيئة المصرية ،القاهرة ، ٢٠٠٢.

٩٥) طه ،جاد، الصراع الاستعماري في حوض النيل ، الدار القومية للطباعة ،القاهرة،١٩٦٢.

٩٦) عبد الرحمن ،عبد الله محمد، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٤.

٩٧) عبد السلام،محمد السيد ،الأمن الغذائي للوطن العربي، عالم المعرفة،الكويت،١٩٩٨.

٩٨) ـــــــــــــــــــــــ، التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي ، عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٢.

٩٩) عبد الفتاح، فتحي، الناصرية وتجربة الثورة من أعلى المسألة الزراعية ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، د.ت.

١٠٠) عبد الفضيل، محمود ،الاقتصاد المصري بين التخطيط المركزي والانفتاح الاقتصادي ، معهد الإنماء العربي،بيروت،١٩٨٠.

١٠١) عبد الفتاح ،محمد منصور وآخرون،الزراعة والغذاء في مصر الواقع وسيناريوهات بديلة حتى عام٢٠٢٠ ، دار الشروق،القاهرة،٢٠٠١.

١٠٢) عبد النبي، عبد الفتاح، مستقبل القرية المصرية فعاليات بناء الاتصال في القرية المصرية الواقع والتصور المستقبلي، المركز الثقافي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٥.

١٠٣) عبد المنعم، احمد فارس، السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ – ١٩٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

١٠٤) عبد اللطيف ،محمود زكي وآخرون ، السد العالي ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٧١.

١٠٥) عرفة، موسى، السد العالي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

١٠٦) العريسي ،عبد الغني ،عشرون يوما في السد العالي، الدار القومية للطباعة ،د.ت.

١٠٧) العشى،حسين،خفايا حصار السويس، دار الحرية،القاهرة،١٩٩٠.

١٠٨) عوده،جوده حسين ،جغرافية أفريقيا الإقليمية ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، ١٩٩٦.

١٠٩) عوض الله ،محمد فتحي ،أبو سمبل بين الصخر والإنسان، دار المعارف ،القاهرة ، ١٩٧١.

١١٠) عوف ،احمد ،أحوال مصر من عصر إلى عصر، العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة،د.ت.

١١١) العناني،أبراهيم محمد وآخرون، الخيار النووي في الشرق الأوسط ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦.

١١٢) غلمن ،ولد مار،عراق نوري السعيد ، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت، ١٩٦٥.

١١٣) فاسلييف،اليكسي، مصر والمصريين ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٤.

١١٤) فيركوتير، جان ، مصر القديمة ،تعريب :ماهر جويجاتي ، دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٢.

١١٥) فتحي، محمد فريد، في جغرافية مصر، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

١١٦) فرح ، نادية رمسيس ،الاقتصاد السياسي المصري دور علاقات القوة في التنمية ،تعريب :مصطفى قاسم،تقديم: السيد يس ،المركز القومي للترجمة،القاهرة،٢٠١٠.

١١٧) فوشيه، جورج،جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء ، تعريب: نجده هاجر وسعيد القز،منشورات المكتب التجاري ،بيروت ، د.ت .

١١٨) ڤيرث،ايوجين ،دراسات جغرافية ألمانية حول لشرق الأوسط،تعريب :فؤاد إبراهيم وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ١٩٨٣.

١١٩) عكاشة، ثروت ،مذكرات في السياسة والثقافة ، ط٣،دار الشروق ،القاهرة ،٢٠٠٠.

١٢٠) الكاتب، محمود فهمي ، تطور الإنتاج الزراعي بعد السد العالي ، د.م ، القاهرة ، د.ت.

١٢١) كلوسون ،ماريون وآخرون ، الإمكانية الزراعية في الشرق الأوسط ،تعريب : د عبد الله زين العابدين ، مؤسسة فرانكلين ، القاهر ، ١٩٧٦.

١٢٢) كنج،جوان فوتشر ،معجم تاريخ مصرمن الفتح العربي الى نهاية عهد السادات،تعريب :عنان علي الشهاوي،مراجعة عاصم الدسوقي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٢٣) كارانجيا ،ر.ك. ، الفجر العربي، تقديم :جمال عبد الناصر، ط٣، تعريب: عمر أبو النصر، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦١.

١٢٤) كولمب، مارسيل ، تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠،تعريب: زهير الشايب، تقديم: احمد عبد الرحيم مصفى ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٧٢.

١٢٥) كمالي، احمد وعمر إبراهيم، وللنيل وجه آخر حكايات تاريخية على ضفاف النيل مابين القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين، المنتدى الوطني لدول حوض النيل، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٢٦) كوبلاند ،مايلز ،لعبة الأمم،تعريب :مروان خير، مكتبة الزيتونة ،بيروت،١٩٧٠

١٢٧) كومزين ،ايفان ،سد أسوان العالي،تعريب: عصمت عبد المجيد ،مراجعة مصطفى الشهابي ،الدار القومية للطباعة،القاهرة،١٩٦٥.

١٢٨) كير ،مالكولم ،جمال عبد الناصر والحرب العربية الباردة١٩٥٨-١٩٧٠،تعريب:عبد الرؤوف احمد عمرو ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٧.

١٢٩) لاديكين، ف.ب، مصدر الأزمة الخطيرة، تعريب :هاشم حمادي ، مطبعة وزارة الثقافة السورية ،دمشق ، ١٩٧٥.

١٣٠) لومر ،هايمان، الصهيونية ودورها في السياسة العالمية ، تعريب: محمد مستجير ، د.ن ،د.م،١٩٧٤.

١٣١) ليتل، توم، إخضاع النيل لإرادة الإنسان،تعريب :خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،د.ت.

١٣٢) ـــــــــ، جمال عبد الناصر رائد القومية العربية، تعريب:مجموعة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ٢٠٠١.

١٣٣) ماري، مارسيل ، السدود ، تعريب: بهيج شعبان، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧١.

١٣٤) مؤنس، حسين ،الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها و تطورها ،ط٢،عالم المعرفة،الكويت،١٩٧٨.

١٣٥) محي الدين، خالد، والآن أتكلم، مركز الأهرام للنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

١٣٦) مخيمر، سامي وخالد حجازي،أزمة المياه في المنطقة العربية ، عالم المعرفة، الكويت ،١٩٩٦.

١٣٧) مراد ،محمد جلال ،البطالة والسياسات الاقتصادية، جمعية العلوم الاقتصادية السورية ،د.م،د.ت.

١٣٨) مردان، جمال مصطفى ،عبد الناصر والعراق ، المكتبة الشرقية ،بغداد،١٩٩٠.

١٣٩) مصطفى، احمد عبد الرحيم، الولايات المتحدة والمشرق العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

١٤٠) المهدي، الصادق، مياه النيل الوعد والوعيد، مركز الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٤١) أنتوني ناتنغ ،رأيت بنفسي عواقب كارثة السويس ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٥٨.

١٤٢) نافعة، حسن، الأمم المتحدة في نصف قرن دراسة التنظيم الدولي منذ ١٩٤٥، عالم المعرفة ،الكويت ،١٩٩٥

١٤٣) نافعة، حسن، العرب واليونسكو، عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٩.

١٤٤) نجيب ،محمد ، كنت رئيسا لمصر ،ط٢، المكتب المصري الحديث للنشر ،الإسكندرية ١٩٨٤.

١٤٥) الأنصاري، محمد جابر ، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي١٩٣٠-١٩٧٠، عالم المعرفة ،الكويت،١٩٨٠.

١٤٦) هاملتون ،لي دافيد ،تعال معي إلى السد، مراجعة وتقديم: محمود حافظ ،تعريب :محمد توفيق محمود،مؤسسة فرانكلين،القاهرة،١٩٦٦.

١٤٧) محمد حسنين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية،ط٢،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٧.

١٤٨) هيكل ،محمد حسنين، أزمة العرب ومستقبلهم ، ط٢ ، دار الشروق ، بيروت،٢٠٠٣.

١٤٩) ـــــــــــ،الزلزال السوفييتي ،ط٢، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٠.

١٥٠) ـــــــــــ، عبد الناصر والعالم، تعريب ونشر:جريدة النهار، ،بيروت،١٩٧٢.

١٥١) ـــــــــــ، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط٨، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.

١٥٢) ـــــــــــ، عند مفترق الطرق، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٣.

١٥٣) ـــــــــــ، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الأهرام، القاهرة، ١٩٨٧.

١٥٤) هيكل، محمد حسنين وآخرون، معركة السويس ثلاثون عاما ، دار الشروق ، بيروت ،١٩٨٩.

١٥٥)وحيده، صبحي، في أصول المسألة المصرية، الموصل، ١٩٨٥.

١٥٦) وولف، جان، يقظة العالم العربي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٠.

١٥٧) ياسين، سماح، البقرات والسنابل والسد العالي، جمعية بناء السد العالي، القاهرة، ١٩٨٩.

١٥٨) يونـان، يوجيـه ، دراسـة مقارنـه بـين السـد العـالي وسـد الفـرات ، دار غريـب ، القـاهرة ، ١٩٧٧ .

سادساً //الكتب الانكليزية

1-Bergson, Abram, soviet Economic Growth ,Row Peterson company , New York , 1953.
2- GOLDMAN, Marshall.I, Soviet Foreign Aid, Fred a proeger, New York , 1967.
3-Eldin, Mohie, Employment Problems and Policies in Egypt , Beirut , 1975.
4- Ministry of water Resources and Irrigation, Adopted Measures to face major challenges in the Egyptian water sector, September 2002.
5- Shibl, Yusuf. A , The High Dam, The American University Beirut , Beirut,1971.
6-Unpublished manuscript, The Aswan High Dames, section one, tiscudder , 2003.

سابعاً//البحوث والدراسات

(أ)البحوث والدراسات العربية

١. إبراهيم ،سعد الدين وآخرون، مصر في ربع اقرن (١٩٥٢-١٩٧٧) دراسات في التنمية والتغير الاجتماعي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨١.
٢. أبو العز،محمد صفي الدين وآخرون،بحوث ندوة المياه في الوطن العربي الجمعية الجغرافية المصرية القاهرة (٢٦-٢٨تشرين الثاني١٩٩٤)،مجلد ٢، الجمعية الجغرافية الكويتية،الكويت،١٩٩٥.

٣. أبو الكشك،عبد الكريم ،الصحافة الأمريكية والشرق الأوسط دراسة لتغطية النزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨-١٩٨٢،المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان ، ١٩٩٨ .
٤. احمد ،فعت سيد، الدين في الخطاب السياسي الناصري، مجلة المنار، العدد ٧، باريس، تموز ١٩٨٥.
٥. ارونسون،جيفري، العلاقات المصرية – الأمريكية ١٩٤٦ –١٩٥٦، تعريب: السيد أمين شلبي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.
٦. أنيس، محمد، دور الفلاحين المصريين في ثورة ١٩١٩،مجلة آفاق، العدد٧،بغداد،آذار ١٩٧٧.
٧. الحسناوي ، ظاهر محمد صقر ،الرؤية الأمريكية للصراع المصري لبريطاني من حريق القاهرة الى قيام الثورة ، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ،أبو ظبي، ١٩٩٩
٨. الحسيني، السيد السيد ،نهر النيل في مصر منحنياته وجزه دراسة جيومورفولوجية ، جامعة القاهرة،القاهرة،١٩٩١.
٩. حماد ،خيري ، أضواء على السياسة الدولية ، مجلة الثقافة، العدد ٥٦ ، الدار القومية، القاهرة، أب ١٩٦٤ .
١٠. الحمدي ،صبري فالح ، الولايات المتحدة والعراق والأحلاف الغربية ومشروع أيزنهاور في مناقشات مجلس النواب العراقي ٤٥- ١٩٥٨ ، مجلة الآداب ، العدد ٧٧، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠.
١١. حمروش، احمد ، لإلقاء الضوء على التنظيمات السياسية للثورة ،مجلة روز اليوسف ، العدد ١٩٢٧ ، مطبعة روز اليوسف ، ايار١٩٦٥.
١٢. حمروش ،احمد وآخرون،الأرض ،مجلة روزا ليوسف،العدد١٩٤٣،مطابع روزا ليوسف ، القاهرة،أيلول ١٩٦٥.
١٣. الحسيني ،عادل ، الصناعات الثقيلة توفر ٢٠٢ مليون جنيه من العملات الأجنبية ،مجلة روز اليوسف العدد١٩٢٧، مطابع روزا ليوسف،القاهرة، ايار.١٩٦٥.
١٤. الحناوي، محمد عبد الحميد ،معركة الجلاء ووحدة وادي النيل ١٩٤٥- ١٩٥٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٨.
١٥. خضر، محسن، المشروع القومي من الانفصال إلى الوحدة ، مجلة اليقظة العربية ، العدد ٢ ، شباط ١٩٨٦.

١٦. الخفيف، محمد، ٩ يونيو يعني استمرار الثورة الاشتراكية، مجلة الطليعة، العدد العاشر، تشرين الأول ١٩٦٧.

١٧. الخواجة،شوهدي،التنمية السياحية في محافظة أسوان دراسة جغرافية ، الجغرافيون العرب،د.م،د.ت .

١٨. الخولي، لطفي ،تقارير الشهر ،مجلة الطليعة، العدد الأول،القاهرة،كانون الأول ١٩٧٥.

١٩. ______، رؤية ايجابية للقوة العربية ، مجلة الطليعة، العدد العاشر ، القاهرة ،تشرين الأول ١٩٧٣

٢٠. درويش، ترمين ،المقومات الجغرافية السياحية في محافظة المنيا ،مجلة الجغرافية العربية ، العدد ٣٤،الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٩٩.

٢١. رزق ،عبد الفتاح ، في بلدنا السد العالي واجب جديد الأمان ، مجلة روز اليوسف، العدد ، ١٩٤٦ ، تصدر عن مطابع روز اليوسف ، القاهرة ، تموز١٩٦٥ .

٢٢. رمضان، عبد العظيم، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨-١٩٣٦، المؤسسة المصرية العامة ،القاهرة ،د.ت.

٢٣. زكي، عباس، المجتمعات الجديدة في الريف المصري، مجلة الأهرام الاقتصادية، العدد٢٥١، مؤسسة الأهرام، القاهرة، نيسان١٩٧٠.

٢٤. زيتون، محيا علي، دراسة تطبيقية لبعض جوانب علاقات مصر التجارية مع الكتلة الشرقية وبقية دول العالم،مجلة الاقتصادي،العدد ٣، جمعية الاقتصاديين العراقيين ،بغداد تشرين أول ١٩٧٦.

٢٥. الساعف،عبد الله ، مستقبل العلاقات السوفييتية العربية ، مجلة الوحدة ، العدد٦٩ ، حزيران ١٩٩٠ .

٢٦. سويلم ،يحيى،أسوان روح التاريخ وقلب الفن، مجلة العربي،العدد٥٨١،الكويت،نيسان ٢٠٠٧.

٢٧. الشافعي، محمد، ثروت عكاشة فرعون الإنقاذ ، مجلة الهلال ،العدد ١١٧ ،القاهرة ،حزيران٢٠٠٩.

٢٨. الشامي، صلاح ، نهر النيل دراسة موضوعية ، مكتبة مصر ،القاهرة، ١٩٥٨.

٢٩. الشهابي، عبد الخالق، رؤية جديدة للمسالة الزراعية، مجلة الكاتب، العدد١٣٧، القاهرة، آب ١٩٧٢.

٣٠. الصيداوي،رياض، هيكل او الملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي،القاهرة، ١٩٩٣.
٣١. عاشور،محمد عبد السلام، التجربة المصرية في تخزين المياه والسدود دراسة حالة السد العالي، جامعة أسيوط ،د.م، د.ت.
٣٢. عبد الرقيب،محمد ، مشروع السد العالي بين ضخامة عوائده ، وشكوك أعدائه ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٧٣ ، مطبعه الرواد ، بغداد ، حزيران – تموز ١٩٧٥.
٣٣. عبد الغفار، شيماء محمود أحمد،التقرير الخاص بأهم ١٠ مميزات في مصر والاستخدام الأمثل لأحدهم في التنمية ، كلية التربية، أسيوط،د.ت.
٣٤. عبد الوارث،محمود محمد عزت ، تقرير عن اهم ١٠ميزات في مصر وخطة الاستخدام الأمثل في تنمية مصر ، كلية الهندسة ،جامعة جنوب الوادي ، د.ت.
٣٥. عيسى، صلاح ،البرجوازية المصرية ،مجلة آفاق،العدد٤ ،بغداد،كانون الأول ١٩٧٨.
٣٦. عامر، احمد، النوبة الجديدة، مجلة الأهرام الاقتصادية، العدد٣٤٧، القاهرة، شباط١٩٧٠.
٣٧. عوض، إبراهيم لطفى ، ظاهرة الركود التضخمي في الاقتصاد المصري دراسة تحليلية، كلية التجارة ، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٧.
٣٨. غطاس، محمد، حملة اليونسكو وأضواء جديدة على النوبة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.
٣٩. الفارسي،محمد، حملة انقاد معابد فيلة والتعاون الدولي ،مجلة العالم العربي واليونسكو،العدد الأول،الرباط،تشرين الثاني١٩٦٨.
٤٠. قاسم ، شريف ،البطالة في مصر دراسة لأهم فروض محددات الأزمة،مجلة الوحدة،العدد٨٦،المجلس القومي للثقافة العربية،تشرين الثاني١٩٩١
٤١. الكردي، علي عظم ، مشروع أيزنهاور والموقف الدولي دراسة أولية ، مجلة السدير ، جامعة الكوفة ، العدد ٢ ، حزيران ٢٠٠٣
٤٢. صبح ،كريم ، جماعات الضغط اليهودية التنظيم الدور والتأثير في وضع القرار السياسي للولايات المتحدةالأمريكية١٩٤٥-١٩٦٩، بيت الحكمة، بغداد ،٢٠٠٩.
٤٣. محروس ،عبد المطلب عاصم،دور الطلبة في ثورة ١٩١٩(١٩١٩-١٩٢٢) ، أشراف يونان لبيب رزق،مؤسسة الأهرام ،القاهرة ،١٩٩٨ .
٤٤. مرسي، فؤاد، الانفتاح الاقتصادي بالقطاع العام في مصر ، مجلة المنار ، العدد٢١ ، باريس ، أيلول١٩٨٦ .

٤٥. ________،مفهوم الاشتراكية عند جمال عبد الناصر،مجلة الوحدة ،العدد٧٥، المجلس لقومي للثقافة العربية ،كانون الاول١٩٩٠.
٤٦. مرسي، فؤاد وآخرون ، الاتحاد السوفييتي عربيا ومصريا ، مجلة الطليعة ، العدد الأول ، مطابع الأهرام ، القاهرة ،كانون الاول١٩٧٥.
٤٧. مركز الدراسات الإدارية والمالية،آثار النوبة أهميتها الحضارية ووسائل إنقاذها، مجلة الرائد ،العدد١٠،بيروت،اب١٩٦١.
٤٨. مظهر، سليمان، النوبة ارض الذهب وشعب المأساة، مجلة العربي، العدد٣٤٣، الكويت، حزيران١٩٨٧.
٤٩. مقار، نسيم ،الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان دراسة في العلاقات المصرية والسودانية (١٨٢١–١٨٤٨)،أشراف يونان لبيب رزق،مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ،القاهرة،١٩٨٥.
٥٠. المنهراوي،صلاح ،الفلاح في ١٣ عاما،مجلة روز اليوسف،العدد١٩٤٣،القاهرة، ايلول١٩٦٥.
٥١. نصيف، منير ، بحيرة السد العالي او بحيرة ناصر أمل مصر الجديدة ، مجلة العربي ، العدد١٩٠، الكويت، أيلول ١٩٧٤.
٥٢. هجرس، سعد ،السد العالي وتحديات الحاضر وشبهات الماضي ومخاوف المستقبل،مجلة المنار ،العدد٢٠،باريس،آذار –اب١٩٨٦.
٥٣. ياقوت، أمنية مختار ،كيفية اجتذاب أسواق وشرائح جديدة للأسواق السياحية المصرية ،مجلة البحوث السياحية ، العدد٤،ايلول٢٠٠٩.

(ب) البحوث والدراسات الانكليزية

1- El Gohary, Rasha, Selected Topics in Water Resources CT309 – Lecture(3).
2- Mahmoud , Weal Kamal, The Aswan High Dam, Faculty of Engineering Cairo University2008-2009.
3- Neher ,killy. A ,Assessing the impact of the Aswan High Dam on archaeological Monuments in Egypt ,Department of Art ,University of Wisconsin-River Falls ,410 south third street, January 2005.

4-.El-sayed, Amr. A, civileng . Dept, El-Minia university.
5- EL-SERSAWY, Hossam, DEVELOPMENT OF DECISION SUPPORT SYSTEM (DSS) FOR HIGH ASWAN DAM RESERVOIR SEDIMENTATION, Researcher, Nile Research Institute, National Water Research Center, Ministry of Water Resources and Irrigation, Egypt.
6- ____________________, SEDIMENT DEPOSITION MAPPING IN ASWAN HIGH DAM RESERVOIR USING GEOGRAPHIC INFO RMATION SYSTEM,Ninth International Water Technology Conference, Nile Research Institute, National Water Research Center, Sharma El-Sheikh, Egypt, 2005.
7- SHALASH, S, The effect of the High Aswan Dam on the hydrological regime of the River Nile, Research Institute of High Dam Side Effects, Cairo, June 1980.
8- El-Shinnawy, A. et al, IMPACT OF ASWAN HIGH DAM ON THE AQUATIC WEED ECOSYSTEM ICEHM , Cairo University , September , 2000.
9-Simpson, Jim, Aswan High Dam impacts; fossil ground Waters in North Africa, Updated January 14, 2007.
10- J. V. Suteliffe & Y. P. Park, The Hydrology of the Nile ,IAHS Special Publication, No. 5, 1999.

ثامنا//الصحف

١-الأنوار اللبنانية عام ١٩٦٤ .
٢-الأنوار المصرية عام ١٩٦٤.
٣-الأهرام:الأعـــــوام ١٩٥٩،١٩٦٣، ١٩٦٤ ، ١٩٧٠، ١٩٧٥، ٢٠٠٥،٢٠٠٢، ٢٠٠٦، ٢٠١١،٢٠٠٧.
٤- الأهرام المسائية عام ٢٠٠٩.

٥-البلاد عام ١٩٥٦.
٦-الجمهورية القاهرية عام ١٩٦٧.
٧-الحياة اللبنانية عام١٩٧٠.
٨- الشرق الأوسط عام٢٠٠٢.
٩-الدنيا الجديدة عام ١٩٥٩.
١٠-الزمان عام ١٩٥٨.
١١- الطليعة البغدادية عام ١٩٥٨.
١٢-المساء عام ١٩٦٧.
١٣-المصري اليوم عام ٢٠١٠،٢٠٠٨.
١٤-وطني المصرية عام ٢٠٠٨

تاسعاً //المجلات

١) الآداب،٢٠٠٠.
٢) آفاق عربية، ١٩٧٧،١٩٧٨.
٣) الاقتصادي،١٩٧٦.
٤) الأهرام الاقتصادية،١٩٧٠.
٥) البحوث السياحية، ٢٠٠٩.
٦) الثقافة الجديدة،١٩٧٥.
٧) الجغرافية العربية،١٩٩٩.
٨) الرائد،١٩٦١.
٩) روز اليوسف،١٩٦٥.
١٠) السدير،٢٠٠٣.
١١)الطليعة،١٩٦٧،١٩٧٣،١٩٧٥.
١٢)العالم العربي واليونسكو،١٩٦٨.
١٣)العربي،١٩٧٤،١٩٨٧،٢٠٠٧.
١٤)الكاتب،١٩٧٢.
١٥)الهلال،٢٠٠٩.
١٦)الوحدة،١٩٩٠،١٩٩١.
١٧)اليقظة.١٩٨٦.

عاشراً //الموسوعات

١- احمـد ،مصـطفى احمـد وحسـام الـدين إبـراهيم عثمـان ،الموسـوعة الجغرافيـة، دار العلوم،القاهرة ،٢٠٠٦,٢٠٠٤.

٢- بالمر،ألن، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، تعريب : سوسن السامر ويوسف أمين، مراجعة محمد مظفر الادهمي، دار المأمون، بغداد ،١٩٩٣.

٣- زهيري ،كامل ،موسوعة الهلال الاشتراكية ، مطابع دار الهلال،القاهرة،١٩٧٠ .

٤- سرحان،سمير،موسوعة مصر الحديثة، المجموعة الثقافية،القاهرة،١٩٩٦ .

٥-السكري ،احمد ،موسوعة علماء العرب ، دار صفاء للنشر،الأردن،٢٠٠٤.

٦- فرحـات ،ماجـد ،موسـوعة الكـوارث الطبيعيـة والحـروب والأسـلحة، دار اليوسـف ،بيـروت ،٢٠٠٦ .

٧- الكيالي ،عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ،د.ت.

٨- مطيعي ،لمى ،موسوعة نساء ورجال من مصر،دار الشروق ،القاهرة ،٢٠٠٣ .

٩- موسى، رؤوف سلامه ،موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم،ط٢،مكتبة المعارف ،بيروت ، ٢٠٠٢.

أحدى عشر//شبكة المعلومات الدولية

١- تاريخ السودان،ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

٢-زهلول ،الموسوعة العالمية المجانية، تيتو :

http://www.zuhlool.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D8%B2%D9
8A%D9%81_%D8%AA%D9%8A%D8%AA%D9%88.

3-http://www.portsaid-online.com

4-WWW. Aljazeera .net.

5-http://www.alfikralarabi.net.

6-WWW.Sacdo.com/web/forum/forum posts.asp.

7- WWW .NTZ.INFO/gen/b00325/htm.

8- www.Nasser.com.

9- http/www .find-PDF .COM Arabic _search B9%D8%A7%D9% 84%D9%8A+pdf.html.

10- WWW.Niletrans.Com.

11-http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=071e076ef8c975f8.

12-www.egynews.net.

13- http://www.sis.gov.eg/VR/reading/child/citiespdf/aswan.pdf.

14-http://y4nubia.blogspot.com .

15-http://scaon.ca/Jalia_Tareekh.html.

16- http://www.sabraeng.com/finish.gif.

17-http://www.moee.gov.eg/Arabic/ar-takrir2004-2005/21.htm.

18- www.knol.google.com .

19-http://www.al-araby.com/docs/article2142178790.html.

20- www.sis.gov.eg/ar/story.aspx?sid=327.

21-http://www.alowaisnet.org/ar/winnersbio/abijjhjfdiicaceabf .aspx.

22-http://nubia2.com/community/archive/index.php/t-16770. html.

23- http://ik.ahram.org.eg/IK/ahram/2010/1/25/BUSS1.HTM.

24- http//www. egyptcities.info/album/displayimage.php?

25- http//www. tdedo. com/vp /member .php?

قائمة الملاحق

ملحق رقم(١)

١. التصميم الغربي	التصميم السوفيتي	الوجهة المصرية والتصميم المعتمد
اختيار موقع ٦,٥ كم لبناء السد العالي عليها	اختيار موقع ٧كم لتوفير كل متطلبات السد	اعتماد الموقع الذي يبعد عن السد القديم ٧كم
طول السد ٥كم	طوله ٣,٦كم	طول ٣,٦كم
بناء سبع أنفاق على الضفة الشرقية وبطول أجمالي بلغ١٥كم لتصريف المياه لغرض أرواء الأراضي الزراعية ولديمومة الملاحة	اختصار الأنفاق السبعة بقناة مفتوحة بطول لا يزيد عن ٢كم يتخلله ٦انفاق	اعتماد التصميم السوفيتي
توليد الطاقة الكهربائية من الانفاق المقامة على الضفة الغربية من خلال ١٦توربينة وبطاقة كهربائية اجمالية ٢مليون كيلو واط /ساعة	يتم ذلك من خلال الأنفاق التي تتوسط قناة التحويل في الضفة الشرقية من خلال ١٢ توربينه وبطاقة ٢,١مليون كيلو واط/ساعة	اعتماد الوجهه السوفيتية حيث انها توفر لمصر ما قيمته ١٣مليون جنية
وضع مشرح معكوس في السد الامامي تحت الرمال	التخلي عنه لصعوبة تنفيذه وتكاليفه الباهظة وخطورة تنفيذه والاعتماد على الرمل فقط	اعتماد الوجهه السوفيتية تجنباً للمزيد من التكاليف بالاضافة الى خطورة تنفيذه.
وضع ستاره رأسيه تحت السد الرئيسي	التخلي عنها وانه لا حاجة اليها	اصرار المصريون على بناء الستارة الرأسية.

جدول رقم (١) مقارنة بين التصميم الغربي و السوفيتي ووجهة النظر المصرية منهما

وتم أعداد هذا الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على المصادر التالية:

موسى عرفة،المصدر السابق،ص١١١-١٢٥؛ توم ليتل،اخضاع النيل لإرادة الإنسان،ص١٠٣-١٠٦؛ صلاح الشامي،المصدر السابق، ص١٧١-١٧٢؛ايفان كومزين،المصدر السابق،٢٤.

ملحق رقم(٢)

الزيادة في الدخل القومي بعد بناء السد لعالي	القيمة بالمليون جنيه
التوسع الزراعي الأفقي في الأراضي الجديدة مع تحويل حياض الوجه القبلي إلى نظام الري المستديم.	٨٤
ضمان احتياجات الري في جميع السنين لجميع الأراضي المزروعة سابقا والمستجدة بعد السد العالي حتى في اقل السنين إيرادا وتحسين صرفها وضمان زراعة ٧٠٠٠٠٠فدان أرز سنويا كحد أدنى.	٥٦
وقاية مصر من خطر الفيضانات العالية ومنع الرشح بالأراضي الزراعية، وتلافي غرق القرى والسواحل والجزر وقطع الجسور.	١٠
تحسين الملاحة نتيجة للتحكم المستمر في التصرفات خلف السد العالي	٥
تحسين اقتصاديات مشروع كهربة سد أسوان القديم مع إنتاج طاقة كهربائية من السد العالي تصل الى١٠مليار كحد أقصى	١٠٠
المجموع	٢٥٥مليون جنيه

جدول رقم (١) يوضح عوائد السد العالي على الدخل القومي.

الزيادة في الدخل الحكومي بعد بناء السد العالي	بالمليون جنيه
الزيادة نتيجة المتحصلات للأموال والضرائب على الأراضي الزراعية المستخدمة،وزيادة أنتاج الأراضي الحالية.	١٠
تحسين الملاحة وتوفير مصاريف تحفظات النيل وخلافه	٢,٥
عوائد توزيع الطاقة المولدة من محطة كهرباء السد العالي	١٠,٥
الإجمالي	٢٣مليون جنيه

جدول(٢) يوضح عوائد السد العالي على الدخل الحكومي.

تم أعداد الجدولين رقم (١) و(٢) من قبل الباحث بالاعتماد على المصادر الآتية: سعد هجرس،المصدر السابق،مجلة المنار،العدد ٢٠، ص١٠٠ ؛ أنور حجازي،المصدر السابق،ص١٠٢.

ملحق رقم(٣)

النوبة لمصرية	النوبة السودانية
تهجير سكان النوبة إلى مناطق تقارب مناطقهم الأصلية مناخياً وعرقياً	مختلفة مناخيا حيث كان مناخ وادي حلفا قاري ومناخ خشم القربة استوائيا وسكنوا مع أقوام بدوية لاتتلائم مع واقعهم الزراعي
صغر المنازل وعدم ملائمتها مع طبيعة الفرد النوبي المحب للضيافة وهذا ماسبب له احراجات اجتماعية	تميزت منازلهم بسعتها
أمكانية العودة لمناطقهم الأصلية خصوصاً ن الكثير منهم أصبح يعمل في صيد الأسماك من بحيرة السد	عدم مكانية ذلك لبعدهم عن بحيرة السد وتوطنهم في مناطق تبعد مئات الكيلومترات عن وادي حلفا وبذلك أصبح غير ممكناً .
سكنوا في مناطق معزولة وعلى شكل جماعات عشائرية مترابطة دون ان يتداخلوا مع جيرانهم سكان مدينة كوم امبو فعاشوا في حياة مستقرة آمنة بعيدة عن حوادث السرقة والجريمة	سكنوا مع قبائل الختمية ذات الطبيعة البدوية التي لاتعتبر السرقة عملاً منبوذا بخلاف النوبيين وهذا ماعرضهم للسرقة وحتى وصل الحال الى توتر علاقاتهم مع جيرانهم الختميين

جدول(١) يوضح الفوارق بين النوبتين السودانية والمصرية بعد التهجير .

تم أعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على المصادر الآتية:

يوجيه يونان ، المصدر السابق، ص٦٩-٧٥؛ ايوجين فيرت،المصدر السابق، ص٣٦٧؛جمال حمدان ، مختارات، ص٤٦٥؛ محمد مصفى فرح،دراسة موجزة عن جغرافية السودان وتاريخه:

http://scaon.ca/Jalia_Tareekh.html.

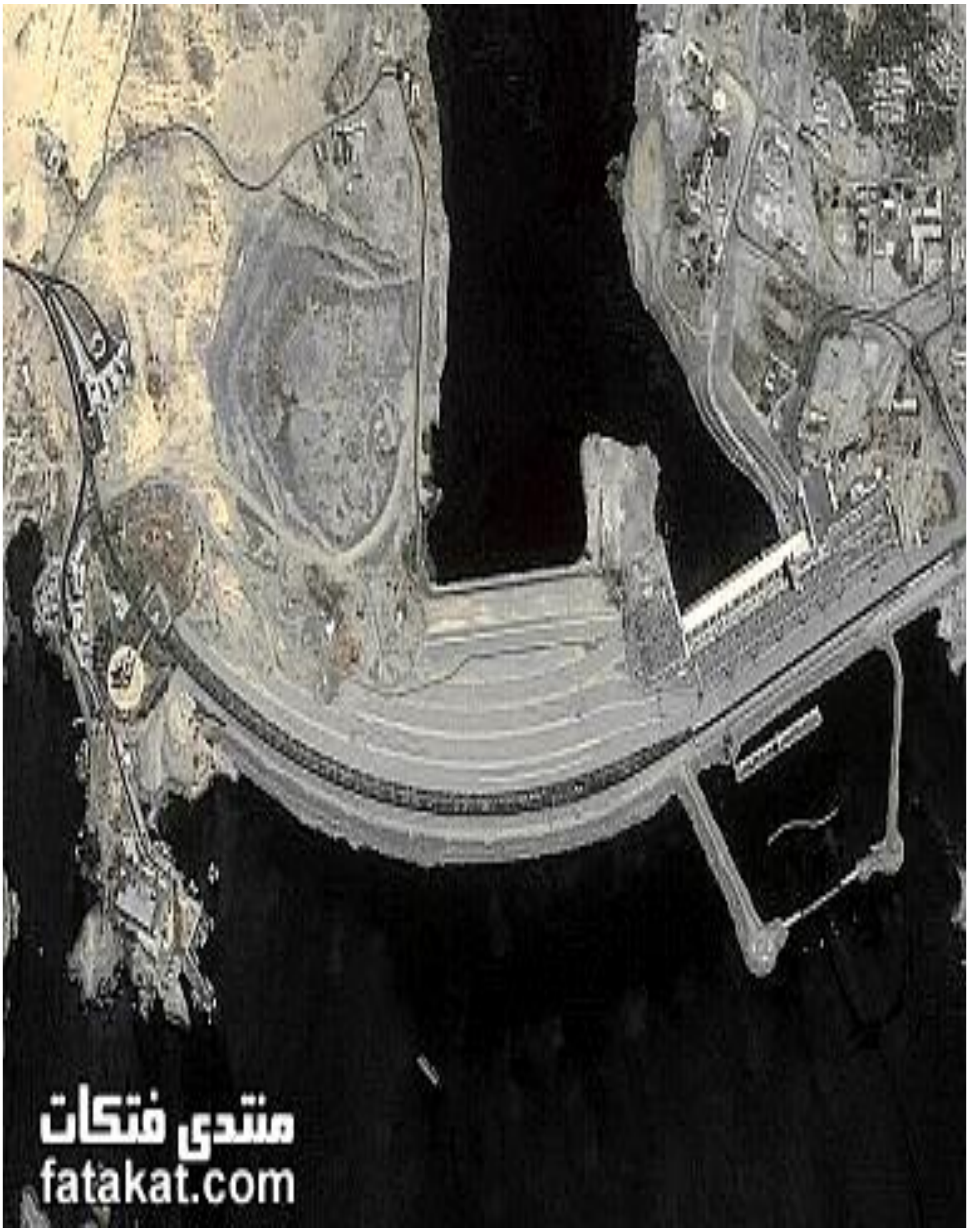
ملحق رقم(٤)



الشكل رقم (١) يظهر فيه أنفاق السد العالي ومحطته الكهربائية

http//www.egyptcities.info/album/displayimage.php?

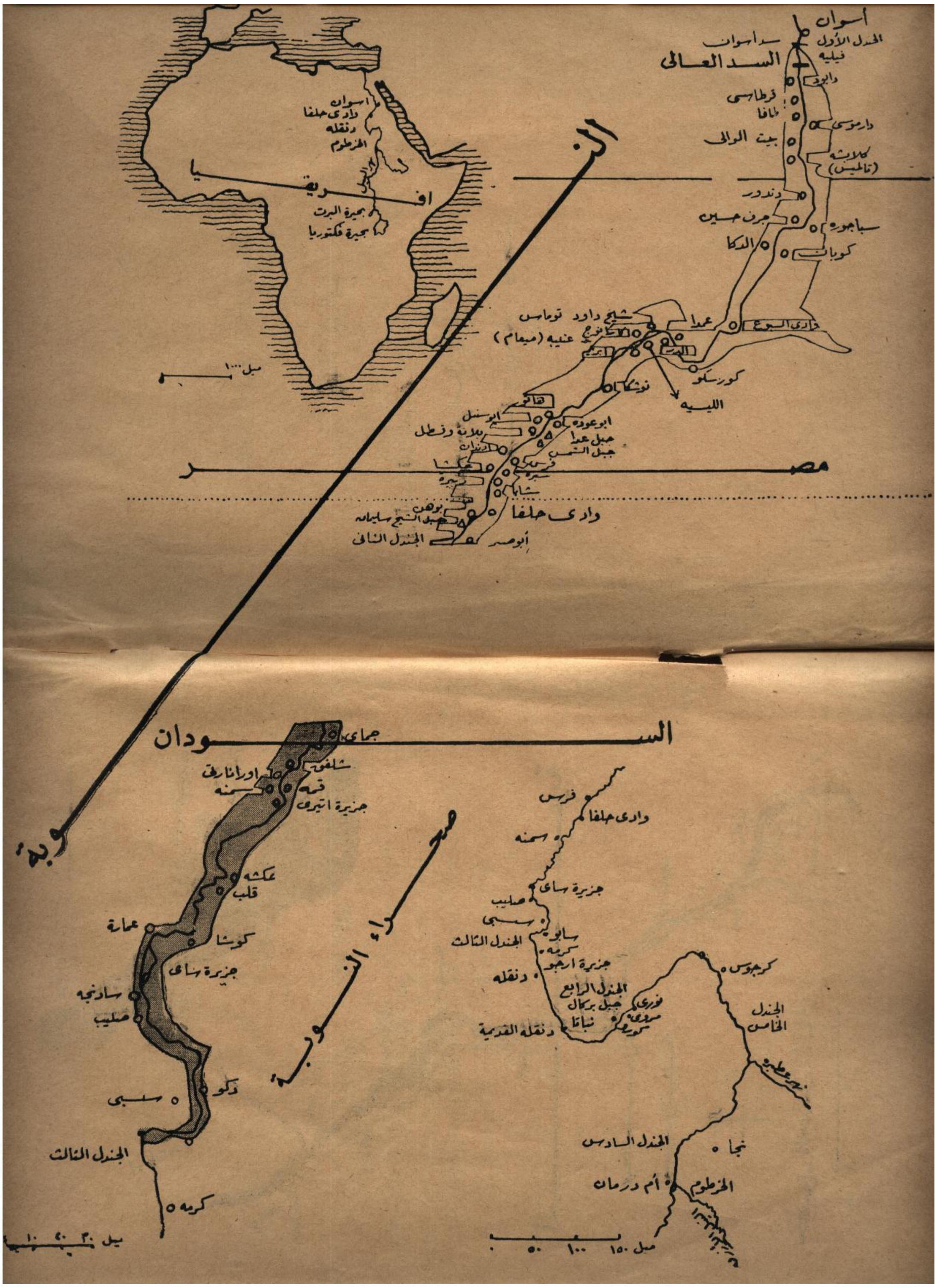
ملحق رقم(٥)



الشكل رقم (١) يوضح جسم السد العالي ويظهر فيه تحدب السد من الأمام

http//www. tdedo. Com/vp/member .php?

ملحق رقم(٦)



شكل رقم (١) يوضح مناطق النوبة الأثرية في مصر والسودان

ليزلي جرينر،المصدر السابق،ص١.

ملحق رقم (٧)

اتفاقية عام ١٩٢٩

وقد تمت هذه الاتفاقية في صورة مذكرتين متبادلتين في يوم واحد (٧ مايو سنة ١٩٢٩)بين محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء واللورد جورج لويد مندوب بريطانيا السامي فى مصر يومئذ.

من رئيس مجلس الوزراء إلى المندوب السامي.

يا صاحب الفخامة.

تأييداً لمحادثاتنا الأخيرة أتشرف بأن أبلغ فخامتكم آراء الحكومة المصرية فيما يختص بمسائل الري .

إن الحكومة المصرية توافق على ان البت في هذه المسائل لايمكن تأجيله حتى يتيسر للحكومتين عقد اتفاق بشأن مركز السودان ، غير أنها مع إقرار التسويات الحاضرة تحتفظ بحريتها التامة فيما يتعلق بالمفاوضات التي تسبق عقد مثل هذا الاتفاق.

ومن الواضح أن تعمير السودان يحتاج إلى مقدار من مياه النيل أعظم من المقدار الذي يستعمله السودان الآن .

ولقد كانت الحكومة المصرية دائماً–كما تعمل فخامتكم – شديدة الاهتمام بعمران السودان ، وستواصل هذه الخطة ، وهي لذلك مستعدة للإنفاق على زيادة ذلك المقدار بحيث لا تضر تلك الزيادة بحقوق مصر الطبيعية، والتاريخية في مياه النيل،ولا بما يحتاج إليه مصر في توسعها الزراعي،وبشرط الاستيثاق بكيفية مرضية من المحافظة على المصالح المصرية على الوجه المفصل بعد في هذه المذكرة .

وبناء على ما تقدم تقبل الحكومة المصرية النتائج التي انتهت اليها لجنة مياه النيل في سنة ١٩٢٥ م المرفق تقريرها بهذه المذكرة والذي يعتبر جزءاً لا ينفصل من هذا الاتفاق ، على أنه نظرا للتأخير فى إنشاء خزان جبل الأولياء الذي يعتبر بناء على الفقرة الأربع من تقرير لجنة مياه النيل مقابلا مشروعات ري الجزيرة ، ترى الحكومة المصرية ان تعدل تواريخ ومقادير المياه التي تأخذ تدريجياً من النيل للسودان فى أشهر الفيضان كما هو مبين في البند ٥٧ من تقرير اللجنة بحيث لا يتعدى ما يأخذه السودان ١٢٦ مترا مكعباً في الثانية قبل سنة ١٩٣٦، وأن يكون من المفهوم أن الجدول المذكور في المادة السابق ذكرها يبقى بغير تغيير حتى يبلغ المأخوذ ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية قبل سنة ١٩٣٦، وان يكون من المفهوم ان الجدول المذكور في المادة السابق ذكرها يبقى بغير تغيير حتى يبلغ المأخوذ ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية ، وهذه المقادير مبنية على تقرير لجنة مياه النيل ، فهى إذن قابلة للتعديل كما نص ذلك فى التقرير .

ومن المفهوم أيضا أن الترتيبات الآتية ستراعى فيما يختص بأعمال الري على النيل.

١- ان المفتش العام لمصلحة الري العام المصرية في السودان او معاونيه أو أى موظف آخر يعينه وزير الأشغال تكون لهم الحرية الكاملة فى التعاون مع ا لمهندس ا لمقيم بخزان سنار لقياس التصرفات والأرصاد كى تتحقق الحكومة ا لمصرية من أن توزيع المياه ،وموازنات الخزانات جارية طبقاً لما تم الاتفاق عليه.

وتسرى الإجراءات التفصيلية الخاصة بالتنفيذ ، وا لمتفق عليها بين وزير الأشغال ومستشار حكومة السودان من تاريخ الموافقة على هذه المذكرة .

ان الا تقام بدون اتفاق سابق بين الحكومة المصرية أعمال ري او توليد ولا تتخذ أية إجراءات على النيل و فروعه اوعلى البحيرات التي ينبع منها سواء في السودان او على البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية يكون من شأنها إنقاص مقدار الماء الذي يصل إلى مصر او تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على وجه يلحق أي ضرر بمصالح مصر .

٣-تلقى الحكومة المصرية كل التسهيلات اللازمة للقيام بدراسة ورصد كل الأبحاث المائية (هيدروليجيا) لنهر النيل فى السودان دراسة ورصدا وافيا.

٤- إذا قررت الحكومة المصرية إقامة أعمال في السودان على النيل أو فروعه أو اتخاذ أى إجراء لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر ،تتفق مقدما مع السلطات المحلية على ما يجب اتخاذه من إجراءات للمحافظة على المصالح المحلية ،ويكون إنشاء هذه الأعمال وصيانتها وإدارتها من شأن الحكومة المصرية ،وتحت رقابتها رأسا.

٥ -تستعمل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال أيرلندا وساطتها لدى حكومات المناطق التي تحت نفوذها لكي تسهل للحكومة المصرية عمل المساحات والمقاييس والدراسات،والأعمال من قبيل ما هو مبين في لفقرتين السابقتين .

٦- لا يخلو الحال من أنه فى سياق تنفيذ الأمور المبينة بهذا الاتفاق قد يقوم من وقت لآخر شك فى تفسير مبدأ من المبادئ او بصدد بعض التفصيلات الفنية،أو الإدارية فستعالج كل مسألة من هذه المسائل بروح من حسن النية المتبادل ، فإذا نشأ خلاف في الرأي فيما يختص بأي حكم من الأحكام السابقة،او تنفيذه ،او مخالفته،ولم يتيسر للحكومتين حله فيما بينهما،رفع الأمر لهيئة تحكيم مستقلة .

٧- لا يعتبر هذا الاتفاق بأى حال ماسا بمراقبة وضبط النهر فإن ذلك يحتفظ به لمناقشات حرة بين الحكومتين عند المفاوضة في مسألة السودان.

واني انتهز هذه الفرصة لأجدد لفخامتكم فائق احترامي.

القاهرة فى ٧ مايو ١٩٢٩

رئيس مجلس الوزراء

محمد محمود

من مندوب بريطانيا السامي في مصر إلى رئيس مجلس الوزراء.

يا صاحب الدولة.

أتشرف بأن أخبر دولتكم بأني تسلمت التي تكرمتم دولتكم بأرسالها الى اليوم.

ومع تأييدي للقواعد التي تم الاتفاق عليها كما هي واردة في مذكرة دولتكم فإني أعبر لدولتكم عن سرور حكومة جلالة الملك من أن المباحثات أدت إلى حل لابد أنه سيزيد فى تقدم مصر والسودان ورخائهما وإن حكومة جلالة الملك بالمملكة المتحدة لتشاطر دولتكم الرأي في أن مرمى هذا الاتفاق وجوهره هو تنظيم الرى على أساس تقرير لجنة مياه النيل، وانه لا تأثير له على الحالة الراهنة في السودان.

وفى الختام أذكر دولتكم أن حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعي والتاريخي فى مياه النيل، وأقرر أن حكومة جلالة الملك تعتبر المحافظة على هذه الحقوق مبدأ أساسيا من مبادئ السياسة البريطانية كما أؤكد لدولتكم بطريقة قاطعة أن هذا المبدأ، وتفصيلات هذا الاتفاق ستنفذ في كل وقت أياً كانت الظروف التي قد تطرأ فيما بعد .

وأنى انتهز هذه الفرصة لأجدد لدولتكم فائق احترامى.

القاهرة فى ٧ مايو عام ١٩٢٩ — لويد:المندوب السامي[١]

١-طاهر أبو الوفا،المصدر السابق،ص٨٣-٨٥.

ملحق رقم (٨)

اتفاقية مياه النيل لسنة١٩٥٩وملحقاتها

نظرا لان نهرالنيل في حاجة الى مشروعات لضبطه ضبطا كاملا لزيادة ايراده للانتفاع التام بمياهه لصالح جمهورية السودان والجمهورية العربية المتحدة على غير النظم الفنية المعمول بها الان ونظرا لان هذه الأعمال تحتاج في انشائها وأدارتها الى اتفاق وتعاون كامل بين الجمهوريتين لتنظيم الإفادة منها واستخدام مياه النهر بما يضمن مطالبهما الحاضرة والمستقبلية.

ونظرا الى ان اتفاقية مياه النيل المعقودة في سنة ١٩٢٩قد نظمت بعض الاستفادة بمياه النيل ولم يشمل مداها ضبطا كاملا لمياه النهر فقد اتفقت الجمهوريتان على ما ياتي:

أولا:الحقوق المكتسبة الحاضرة:

١-يكون ماتستخدمه الجمهورية العربية المتحدة من مياه نهر النيل حتى توقيع هذا الاتفاق هو الحق المكتسب لها قبل الحصول على الفوائد التي ستحققها مشروعات ضبط النهر وزيادة إيراده المنوه عنها في هذا الاتفاق ومقدار هذا الاتفاق ٤٨ مليار من الأمتار المكعبة مقدره عند أسوان سنويا.

٢-يكون ماتستخدمه جمهورية السودان في الوقت الحاضر هو حقها المكتسب قبل الحصول على فائدة المشروعات المشار اليها، ومقدار هذا الحق اربعة مليارات من الامتار المكعبة مقدرة عند أسوان.

ثانيا:مشروعات ضبط النهر وتوزيع فوائدها بين الجمهوريتين

١- لضبط ميه النهر ومنع انسياب مياهه الى البحر توافق الجمهوريتان على ان تنشئ الجمهورية العربية المتحدة خزان السد العالي عند أسوان كأول حلقة من مشروعات التخزين المستمرة على النيل.

٢-ولتمكين السودان من استغلال نصيبه توافق الجمهوريتان على ان تنشئ جمهورية السودان خزان الروصيرص على النيل الأزرق وأية أعمال أخرى تراها جمهورية السودان لازمة لاستغلال نصيبها.

٣- يحسب صافي الفائدة من السد العالي على أساس متوسط ايراد النهر الطبيعي عند أسوان في سنوات القرن الحالي المقدر بحوالي ٨٤ مليار سنويا من الأمتار المكعبة ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين وهي المشار اليها في البند(أولا) مقدرة عند أسوان كما يستبعد منها متوسط فاقد التخزين المستمر في السد العالي فينتج من ذلك صافي الفائدة التي توزع بين الجمهوريتين.

٤- يوزع صافي فائدة السد العالي المنوه في البند السابق بين الجمهوريتين بنسبة ٤,٥ اللسودان الى ٧,٥ للجمهورية العربية المتحدة في ظل متوسط الايراد في المستقبل في حدود متوسط الايراد المنوه عنه في البند

السابق، وهاذا يعني ان متوسط الايراد اذ ظل مساويا لتوسط السنوات الماضية من القرن الحاضر المقدر ب٨٤مليارا واذا ظلت فواقد التخزين المستمر على على تقديرها الحالي بعشرة مليارات ، فان فائدة صافي السد العالي يصبح في هذه الحالة٢٢مليارا ويكون نصيب جمهورية السودان١٤,٥مليارا ونصيب الجمهورية العربية المتحدة ٧,٥ مليار. وبضم هذين النصيبين الى حقهما الى المكتسب فان نصيبهما من صافي ايراد النيل بعد تشغيل السد العلي الكامل يصبح١٨,٥مليار لجمهورية السودان و٥٥,٥مليارللجمهورية العربية المتحدة فاذا زاد المتوسط فان الزيادة في صافي الفائدة الناتجة عن زيادة الإيراد تقسم مناصفته بين الجمهوريتين .

٥- لما كان صافي فائدة السد العالي المنوه في الفقرة (٣) يستخرج من متوسط أيراد النهر الطبيعي عند اسوان في سنوات القرن الحالي مستبعدا من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للبلدين وفواقد التخزين المستمر في السد العالي فان من المسلم به ان هذه الكمية ستكون محل مراجعة الطرفين بعد فترات كافية يتفقان عليها من بدء تشغيل خزان السد العلي الاكمل.

٦- توافق الجمهورية العربية المتحدة على ان تدفع لحكومة جمهورية السودان مبغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات المصرية تعويضا شاملا عن الأضرار التي تلحق با الممتلكات السودانية الحاضرة نتيجة التخزين السد العالي لمنسوب١٨٢(مساحة) ويجري دفع هذا التعويض با الطريقة التي اتفق عليها الطرفان والملحقة بهذا الاتفاق.

٧- تتعهد حكومة جمهورية السودان بان تتخذ إجراءات ترحيل سكان حلفا وغيرهم من السكان السودانيين الذين ستغمر أراضيهم بمياه التخزين بحيث يتم نزوحهم عنها نهائيا قبل يوليو سنة ١٩٦٣.

٨-من المسلم به ان تشغيل السد العلي للتخزين المستمر سوف ينتج عنه استغناء الجمهورية العربية المتحدة عن التخزين في جبل الأولياء. ويبحث الطرفان ما يتصل بهذا الاستغناء في الوقت المناسب.

ثالثا: مشروعات استغلال المياه الضائعة في حوض النيل

نظرا لان كميات من مياه حوض النيل تضيع الآن في مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف وبحر الغزال ونهر السوباط فمن المحتم العمل على عدم ضياعها زيادة لإيراد النهر لصالح التوسع الزراعي في البلدين فان الجمهوريتين توافقان على ماياتي:

١-تتولى جمهورية السودان –با الاتفاق با الاتفاق مع الجمهورية العربية المتحدة- أنشاء مشروعات زيادة ايراد النيل بمنع الضائع من مياه حوض النيل في مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف وبحر الغزال وفروعه ونهر السوباط و وحوض النيل الابيض ويكون صافي فائدة هذه المشروعات من نصيب الجمهوريتين بحيث توزع بينهما مناصفة وسهم كل منهما في جملة التكاليف بهذه النسبة أيضاً وتتولى جمهورية السودان

الإنفاق على المشروعات المنوع عنها عن مالها وتفع الجمهورية العربية المتحدة نصيبها في التكاليف بنفس نسبة النصف المقرر لها بنفس فائدة هذا المشروعات.

٢-اذا دعت حاجة الجمهورية العربية المتحدة بناء على برامج التوسع الزراعي الموضوعة ، الى البد في احد مشروعات زيادة أيراد النيل المنوه عنها في الفقرة السابقة بعد أقرار من الحكومتين في وقت لاتكون حاجة جمهورية السودان قد دعت الى ذالك فان الجمهورية العربية المتحدة تخطر جمهورية السودان بالميعاد الذي يناسبا للبدء في المشروع في خلال سنتين من بدء هذه الأخطار يتقدم كل من الجمهوريتين ببرنامج الانتفاع بنصيبه في المياه التي يديرها المشروع في التواريخ التي يحددها لهذا الانتفاع ويكون هذا البرنامج ملزما للطرفين، وعند انتهاء السنتين فان الجمهورية العربية المتحدة تبدأ با التنفيذ بتكاليف من عندها.

وعندما تتهيا جمهورية السودان لاستغلال نصيبها طبقا للبرنامج المتفق عليه فأنها تدفع للجمهورية العربية المتحدة نسبة من جملة التكاليف تتفق مع النسبة التي حصلت عليها من صافي فائدة المشروع على الا تتجاوز حصة اي من الجمهوريتين نصف الفائدة الكاملة للمشروع.

رابعا:التعاون الفني بين الجمهوريتين.

١- لتحقيق التعاون الفني بين حكومتي الجمهوريتين ، وللسير بالبحوث والدراسات لمشروعات ضبط النهر وزيادة ايراده وكذالك لاستمرار الارصاد المائية على النهر في احباسه العليا توافق الجمهوريتان على ان تنشأ هيئة فنية دائمة من جمهورية السودان ومن الجمهورية العربية المتحدة بعدد متساو من كل منهما يجري تكوينهما عقب توقيع هذا الاتفاق ويكون اختصاصهما:

ا-رسم الخطوط الرئيسية للمشروعات التي تهدف الى زيادة ايراد النيل والإشراف على البحوث اللازمة لها لوضع المشروعات في صوة كاملة تتقدم بها الى حكومتي الجمهوريتين لإقرارها.

ب- الاشراف على تنفيذ المشروعات التي تقرها الحكومتان.

ج-تضع الهيئة نظم تشغيل الاعمال التي تقان على النيل داخل حدود السودان كما تضع نظم التشغيل للإعمال التي تقام خارج حدود السودان با الاتفاق مع المختصين في البلاد التي تقام فيها هذه المشروعات.

د- تراقب الهيئة جمع نظم التشغيل المشار ليها في الفقرة (ج) بواسطة المهندسين الذين يناط بهم هذا العمل من موظفي الجمهوريتين فيما يتعلق بالأعمال المقامة داخل حدود السودان وكذالك خزان السد العالي وسد اسوان طبقا لما يبرم من اتفاقات مع البلاد الأخرى عن مشروعات اعالي النيل المقامة دخل حدودها .

هـ- لما كان من المحتمل ان تتوالى السنوات الشحيحة الايراد ويتوالى انخفاض مناسيب التخزين بالسد العالي لدرجات قد لاتساعد على تمكين سحب احتياجات البلدين كاملة في اي سنة من السنين فانه يكون من عمل الهيئة ان تضع نظاما لما ينبغي ان تتبع الجمهوريتان لمواجهة مثل هذه الحالة في المواسم الشحيحة مالا يوقع ضررا على اي منهما وتتقدم بتوصياتها في هذا الشأن لتقرها الحكومتان.

٢-لتمكين اللجنة من ممارسة اختصاصاتها المبين في البند السابق ولاستمرار رصد مناسيب الميل وتصرفاته في كامل احباسه العليا ينهض بهذا العمل تحت الأشراف الفني لهيئة مهندسو جمهورية السودان والجمهورية العربية المتحدة ويوغندا .

٣- تصدر الحكمومتان قرارا مشتركا بتكوين الهيئة الفنية المشتركة وتدبير الميزانية اللازمة لها من اعتمادات البلدين وللهيئة أن تجتمع في القاهرة او الخرطوم حسب ظروف العمل وعليها ان تضع لائحة داخلية تقرها الحكومتان لتنظيم اجتماعاتها وعمالها الفنية والإدارية والمالية .

خامسا:احكام عامة

١- عندما تدعو الحاجة الى أجراء اي بحث في شؤن مياه النيل مع اي بلد من البلاد الواقعة على النيل خارج حدود الجمهوريتين فان حكومتي جمهورية السودان والجمهورية العربية المتحدة تتفقان على راي موحد بشانه بعد دراسته بمعرفة الهيئة الفنية المشار ليها ، ويكون هذا الري هوالذي تجري الهيئة الاتصال بشانه مع البلاد المشار اليها.

وإذا اسفر البحث عن الاتفاق على تنفيذ اعمال على النهر خارج حدود الجمهوريتين فانه يكون من عمل الهيئة الفنية المشتركة ان تضع- با الاتصال با المتخصصين في حكومات البلاد ذات الشأن - كل التفاصيل الفنية الخاصة بالتنفيذ ونظم التشغيل وما يلزم لصيانة هذه الإعمال.

وبعد اقرار هذه التفاصيل واعتمادها من الحكومات المختصة يمون من عمل هذه الهيئة الاشراف على تنفيذ ما تنص عليه هذه الاتفاقات الفنية .

٢- نظرا الى البلاد التي تقع على النيل غير الجمهوريتين المتعاقدتين تطالب بنصيب من ميه النيل، فقد اتفقت الجمهوريتان على ان تبحثان سويا مطاب هذه البلاد وتتفقان على راي موحد بشأنها وإذا أسفر البحث عن امكان قبول اي كمية من ايراد النهر تخصص لبلد منهما فان هذا القدر محسوبا عند اوان يخصم مناصفة بينهما وتنظم الهيئة الفنية المشتركة المنوه عنها في هذا الاتفاق مع المختصين في البلاد الأخرى مراقبة دم تجاوز هذه البلاد للكميات المتفق عليها.

سادسا:فترة الانتقال قبل الانتفاع من السد العلي الكامل

نظرا لان انتفع الجمهوريتين بنصيبهما المحدد في صافي فائدة السد العالي لن يبد قبل بناء السد العلي الكامل والاستفادة منه فان الطرفين يتفقان على نظام توسعهما الزراعي في فترة الانتقل من الآن الى قيام السد العالي الكامل بما لايوثر على مطالبهما المائية الحاضرة .

سابعا :يسري هذا الاتفاق بعد التصديق عليه من الطرفين المتعاقدين على يخطر كل الطرفين الاخر بتاريخ التصديق با الطريق الدبلوماسي.

ثامنا :يعتبر الملحق رقم١والملحق٢.

١–و–(ب)المرفقان بهذا الاتفاق جزاءا لايتجزا منه حرر بالقاهرة من نسختين اصليتين با الغة العربية بتاريخ ٧جمادي الاولى سنة ١٣٧٩ الموافق٨ نوفمبر سنة ١٩٥٩.

زكريا محي الدين

اللواء طلعت فريد[١]

١–طاهر ابو الوفا،المصدر السابق،ص٩١–٩٥

ملحق رقم (٩)

نص الاتفاقية الأولى بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي في٢٨ديسمبر١٩٥٨في شان قيام اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بتقديم المعونة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة لبناء المرحلة الأولى للسد العالي بأسوان.

ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بدافع من العلاقة الودية بين البلدين ورغبة في زيادة وتوطيد التعاون الاقتصادي والفني بينهما على أساس من المساواة

وعدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام الكامل للكرامة والسيادة القومية في كل من البلدين ونظرا لما

لإنشاء السد العالي بأسوان من عظيم الأهمية الاقتصادية القومية لحكومة الجمهورية العربية المتحدة فقد اتفقنا على ما يأتي:

مادة(١)

تلبية لرغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة في تنمية اقتصادها القومي فان حكومة الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية تبدي موافقتها على التعاون مع حكومة الجمهورية العربية المتحدة في أنشاء المرحلة الأولى من السد العالي بأسوان.

وتتضمن هذه المرحلة أنشاء الجزء الأمامي من قطاع السد الرئيسي نفسه بارتفاع ٥٠مترا وطول ٦٠٠ متر وإنشاء أعمال تحويل المياه والبوابات والمعدات و الآلات اللازمة لهذه الأعمال مع ملاحظة ان هذه الأبعاد تقريبية وسيتفق الطرفان في أثناء عمل مباحثات تفاصيل التصميم او عندما تدعو الحاجة في أثناء التنفيذ.

وتتصمن المرحلة الأولى أيضا مشروعات تحويل الحياض ومشروعات الري واصلاح الأراضي وذلك لاستغلال المياه الناتجة من هذه الرحلة وسيحدد مقدار المعونة التي ستقدمها الجانب السوفييتي بالاتفاق بين الطرفين لتنفيذ هذه المشروعات بعد أتمام الجمهورية العربية المتحدة أعمال المباحث اللازمة لهذه المشروعات.

ومن المفهوم بين الطرفين التي يتكبدها الجانب السوفييتي سواء لبناء السد نفسة او لتنفيذ أعمال الري وتحويل الحياض والتي تتم على حساب القرض ستغطي في حدود ميغ القرض المقدم وفقا لأحكام المادة(٥) من هذه الاتفاق.

مادة (٢)

تحقيقا للتعاون المنصوص عليه في المادة الأولى من هذا الاتفاق تقوم حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بما يلي:

(١) تقوم بوساطة الهيئات السوفيتية باعداد برامج تنفيذ الاعمال وكذالك الابحاث اللازمة التي يتفق عليها بين الجانبين بقصد ادخال اي تعديلات على تفاصيل التصميم قد تضهر ضرورتها وفقا لمايتفق عليه مع الجهات المختصة مع باالجمهورية العربية المتحدة على ان يتم ذالك في جميعه اقصر وقت ممكن وطبقا للشروط والاوضاع اله الهيدروليكية والبيانات الاساسية الموضوعة بمعرفة الجمهورية العربية المتحدة على ان تتماشى هذه التعديلات مع تصميم السد في مرحلته النهائية.

(ب)تقوم وفقا لمايتفق عليه الطرفان بتوريد البوابات والالآت اللازمة_مع مجوعات من قطع الغيار الازمة لها_وكذالك المواد الازمة لانشاء وتشغيل اعمال المرحلة الاولى ومايتصل بها من مشروعات على اتم وجه والتي لايتيسر وجودها با الجمهورية العربية المتحدة.

(ح)تقديم المعونة الفنية اللازمةللانشاء و لهذا الغرض ستوفد العدد اللازم من الاخصائيينالسوفييت وفقا لما يتفق عليه الطرفان.

مادة(٣)

تقوم الجمهورية العربية المتحدة بتكوين هيئه خاصة لادارة المشروع يعهد اليها باالشئون الادارية والفنية والمالية

ويعهد بتنفيذ الاعمل التي تطلبها حكومة الجمهورية العربية المتحدة للمرحلة الاولى من السد العالي الى مقاولين يتم اختيارهم بموافقة الطرفين وذالك على أساس استخدام المعدات السوفيتية والاستعانة با الأخصائيين والفنيين السوفييت.

ويتضمن العقد الذي يبرم بين الجمهورية العربية المتحدة والمقاولين علاوة على تصميم ومواصفات الاعمال كل التزامات المقاولين وكذلك الخدمات والتسهيلات التي تقدمها حكومة الجمهورية العربية المتحدة.

وتشرف الهيئه المشار اليها على المقاولين للتيقن من قيامهم بتنفذ الالتزامات المطلوبة منهم وفقا لنصوص العقد على ان تقوم من جانبها با التسهيلات والخدمات المنصوص عليها في العقد.

مادة(٤)

تكون الهيئات السوفيتية مسئولة عن الإدارة الفنية لانشاء الاعمل للمرحلة الاولى من السد العالي باسوان وانجاز كل هذه الاعمال على اتم وجه وسلامتها وتركيب الالآت والمعدات وأعدادها للتشغيل وذلك في المواعيد التي يتفق عليها الطرفان وبشرط ان تفي الهيئه الخاصة والمقاولون المشار ليهم في المادة الثالثة من هذا الاتفق با لتزامهتهم في أعمال المباحث والإنشاء والتركيب طبقا لبرنامج التنفيذ لمثل هذه الاعمال والذي يتفق عليه الطرفان ولهاذا الغرض توفد الهيئات السوفيتيةالى الجمهورية العربية المتحدة خبيرا فنياذا مؤهلات عالية مع عدد لازم من المهندسين السوفيت والفنيين والعمل المهرة وفقا لاتفق الطرفين.

ويقوم الخبير السوفييتي بمعاونة رئيس الهيئة المشار اليها في المادة(٣) ويتم با الاتفاق بينهما تنسيق العمل بين الاخصائين السوفيت وأخصائي بالجمهورية العربية المتحدة في الاشراف الفني على الاعمل المشار اليها

مادة(٥)

تقدم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرضا مقداره أربعمائة مليون روبل(يعادل الروبل٠,٢٢٢١٦٨من الجرام من الذهب الخالص) وذالك لتغطيت ماتقوم بة الهيئات السوفيتية فيما يختص بوضع برنامج تنفيذ المشروع وأعمال البحث والدراسات وتسليم الآلات والمعدات و المواد على أساس الأسعار تسليم المواني السوفيتية(فوب) ايضا نفقات سفر الأخصائيين السوفييت عند سفرهم من الاتحاد السوفيتي الى الجمهورية العربية المتحدة وعودتهم منها وذالك وفقا للمادة (٢)من الاتفاق.

و في حالة زيادة الثمن الإجمالي،للماكينات والمعدات والبوابات والمواد السابق ذكرها مقدرا على أساس سعر التسليم با المواني السوفيتية (فوب) ومصاريف انتقال الأخصائيين السوفييت وكذالك مصاريف الهيئات السوفيتية شاملة مايحتاج اليه من مساعدات فنية مما يدخل تحت هذا الاتفاق، زيادده عن مبلغ القرض وقدره ٤٠٠مليون روبل فان حكومة الجمهورية العربية المتحدة تؤدي هذه الزيلادة الى حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكة عن طريق تسليم بضائع عن طريق تسليم بضائع من الجمهورية العربية المتحدة طبقا لاتفاقي التجارة والدفع المعمول بها بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي.

مادة (٦)

تؤدي حكومة الجمهورية العربية المتحدة المبالغ المستخدمة من القرض المقدم لها طبقا للمادة (٥) من هذا الاتفاق على اثنى عشر قسطا سنويا متساويا تبدا بعد عام من اتمام الاعمال المرحلة الاولى لسد العالي بأسوان وملء الخزان بحيث لايتاخر ذالك عن اول يناير سنة ١٩٦٤، ويعتبر استخدام القرض با النسبة الآلات والمعدات والمواد من تاريخ بوليصة الشحن .

اما بالنسبة الى اداء نفقات اعمال التصميم والأبحاث والدراسات وكذالك نفقات أيفاد الأخصائيين السوفييت الى الجمهورية العربية المتحدة فيعتبر فيعتبر تاريخ استخدام القرض هو تاريخ الفواتير الخاصة بذالك.

وسعر فائدة القرض هو ٢,٥% سنويا وتسري الفوائد من تاريخ استخدام كل جزءمن القرض على ان تؤدي خلال الاشهر الثلاثة الاولى من العام التالي للعام الذي استخدمت فيه.

مادة(٧)

تؤدي حكومة الجمهورية العربية المتحدة القرض وفوائده وذالك بان تدفع "با الجنيه المصري(سعر الجنيه المصري يساوي من٢,٥٥١٨٧من الجرام الذهب الخالص) المبالغ المستحقة في حساب خاص يفتح في البنك المركزي با الجمهورية العربية المتحدة لمصلحة بنك الدولة لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية.

ويحسب سعر الروبل با النسبة الى الجنيه المصري على اساس سعر التعادل الذهبي بين العملتين في يوم الدفع.

وتستخدم الهيئات السوفيتية جميع المبالغ المدفوعة في هذا الحساب لشراء سلع من الجمهورية العربية المتحدة وفقا لاتفاقيتي التجارة والدفع المعمول بهما بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي.

كما يجوزتحويل اي مبالغ مدفوعة في هذا الحساب الى جنيهات استرلينية اوالى عملة اخرى قابلة للتحويل يتفق عليها الطرفان واذا تغير سعر التعادل للجنيه المصري فيعاد من تاريخ حدوث هذا التغير تقويم رصيد حساب بنك الدولة لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لدى البنك المركزي با الجمهورية العربية المتحدة طبقا للتغير الذي يطرا على مايحتويه الجنيه المصري من الذهب.

ويقوم

يقوم كل من البنك المركزي با الجمهورية العربية المتحدة وبنك الدولة لدى لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بفتح حسابات خاصة لتسجيل العمليات المتعلقة با استخدام القرض الممنوح وفقا لهاذا الاتفاق وادائه وكذالك الفوائد المستحقة وفقا له كما يتفقان على الترتيبات المالية والفنية اللازمة للتنفيذه.

مادة(٩)

تؤدي حكومة الجمهورية العربية المتحدة الى الجانب السوفيتي جميع النفقات التي تتكبده ا الهيئات السوفيتية فيما يتعلق با المسكن والمأكل وكذالك سفر الأخصائيين السوفييت-داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة- الموفدين لتقديم المعونة الفنية طبقا لهاذا الاتفاق وفقا للشروط الوارة بالبنود الخاصة ويتم اء النفقات المشار اليها عن طريق اضافة هذه المبالغ با الجنيه المصري الى"حساب المحصلات المفتوح لدى

البنك المركزي للجمهورية العربية المتحدة لمصلحة بنك الدولة الاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وفقا لاتفاق الدفع المعمول به بين حكومة الجمهورية العربية المتحدة واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتكراكية .

مادة(١٠)

يكون توريد المعدات والآلات والمواد وكذالك القيام با أعداد المشروع والدراسات وأعمال البحث وايفاد الأخصائيين السوفييت الى الجمهورية العربية المتحدة وفقا لشروط العقود التي تبرم بين الهيئات الخاصة با الجمهورية العربية المتحدة والهيئات السوفيتية المختصة ووفقا لما ورد بالبند الثالث من هذا الاتفاق. وتحدد العقود بصفة خاصة المقادير والتواريخ والأثمان و الضمانات الخاصة بالمعدات والالآت ومطابقتها للطاقات المحددة ومؤلية كل من الجانبين في الظروف الخارجية عن أرادة اي منهما ومخالفة أحكام براءات الاختراع وكذالك أحكام وشروط تنفيذ التزامات الجانب السوفيتي وفقا لهذا الاتفاق. وتحدد أسعار المعدات الالآت والمواد التي تسلم الى الجمهورية العربية المتحدة من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وفقا لهذا الاتفاق على أساس الأسعار في الأسواق العالمية.

مادة(١١)

مع عدم الإخلال بإحكام المادة الخامسة الخاصة باستخدام القرض لتغطية أثمان الالآت والمعدات والمواد تسليم الموانئ السوفيتية على اساس السعر(فوب) يتم توريد الآلات والمعدات والمواد التي يقدمها اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية مؤنا عليها في موانئ الجمهورية العربية المتحدة(سيف). وتؤدي مصاريف الشحن والتأمين على حدة على أساس السعر الفعلي وذالك وفقا لاتفاقي التجارة والدفع المعمول يهما بين الجمهورية العربية المتحدة و الاتحاد السوفيتي ويكون النقل البحري للمهمات والآلات ولمواد لسابق ذكرها بعالية وفقا لاتفاقية النقل بالمراكب المبرمة بين البلدين بتاريخ ١٩٥٨/٩/١٨.

مادة(١٢)

في حالة حدوث اي نزاع بين سلطات الجمهورية العربية المتحدة والهيئات السوفيتية حول أى موضوع يتصل بهذا الاتفاق أو بتنفيذه يتشاور فى شأنه ممثلي حكومتي الجمهورية العربية المتحدة واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية للوصول إلى اتفاق بشأن النزاع او الخلاف المشار اليه . يسرى هذا الاتفاق بعد التصديق عليه على أن يتم ذلك فى أقصر وقت ممكن ويصبح الاتفاق نافذ المفعول من تاريخ تبادل وثائق التصديق عليه في موسكو. هذا الاتفاق بمدينة القاهرة فى يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥٨ من نسختين أحداهما بالغة العربية والأخرى باللغة الروسية ولكل منهما نفس القوة القانونية.[١]

١-طاهر ابو الوفا،المصدر السابق،ص٨٦-٩٠.

ملحق رقم(١٠)

الاتفاقية الثانية بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي في ٢٧اغسطس ١٩٦٠

اتفاقية في شأن قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية المتحدة بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية للجمهورية العربية المتحدة لاتمام مشروع السد العالي بأسوان في وضعه النهائي .

ان حكومة الجمهورية المتحدة وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بدافع الرغبة في استمرار العلاقات الودية بين البلدين .

وتوكيدا للتعاون الاقتصادي والفني بينهما على اساس من المساواة وعدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام الكامل للكرامة الوطنية والسيادة في كل من البلدين .

ونظراً لما لإنشاء السد العالي بأسوان من عظيم الأهمية الاقتصادية القومية لحكومة الجمهورية العربية المتحدة .

وتنفيذاً لما تم الاتفاق عليه بالخطابات المتبادلة في ١٧,١٥من يناير سنة١٩٦٠ بين رئيس الجمهورية المتحدة ورئيس حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في شأن مساهمة الاتحاد السوفيتي في أتمام أنشاء مشروع السد العالي بأسوان قد اتفقتا على مايأتي:

مادة (١)

تبدي حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية –بدافع من الغرض في مساعدة التطور الاقتصادي للجمهورية العربية المتحدة وتلبية لرغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة –موافقتها على التعاون مع حكومة الجمهورية العربية المتحدة في أتمام أنشاء المرحلة النهائية في مشروع السد العالي بأسوان،وتتضمن هذه المرحلة الأعمال التالية:

(أ)إتمام أنشاء السد العالي السد لقطاعه النهائي بارتفاع كلي مقداره ١١١متراً من قاع النهر.

(ب)إنشاء محطة القوى الكهربية المائية في مجرى قناة التحويل بالبر الشرقي للنهر بقوة ٢,١بليون كيلو وات .

(ح)انشاء مفيض يسمح بتمرير تصرف مقداره ٢٠٠٠مليون متر مكعب في ايوم بحيث لايتجاوز منسوب التخزين ١٨٢متراً.

(د)انشاء خطين لنقل الطاقة الكهربية من محطة توليد الكهرباء بالسد العالي الى القاهرة بجهد مقداره٥٠٠/٤٠٠كيلو فولت وبطول ٩٠٠كيلومتر لكل منها في ذلك ثلاث او اربع محطات محولات وانشاء خطوط لنقل الطاقة ذات الجهد ١٣٢/٢٢٠كيلوفولت وبطول حوالي ١٠٠٠كيلومتربما في ذلك ١٠الى ١٢محطةمحولات .

(هـ)مشروعات الري والاصلاح في الأراضي المترتبة على مياه السد العالي والتي مساحتها ،٢مليون فدان شاملة الاراضي المترتبة على المرحلة الاولى للسد العالي .

مع ملاحظة ان هذه البيانات مبدئية وسيتفق عليها الطرفان أثناء أجراء مباحث تفاصيل التصميم او عندما تدعو الحاجة أثناء التنفيذ.

مادة(٢)

تحقيقاً للتعاون المنصوص عليه في المادة الأولى من هذا الاتفاق تقوم حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بما يلي:

(أ)تقوم بواسطة الهيئات السوفيتية بأعداد التصميم الكامل ورسومات التشغيل والمواصفات وقائمة الكميات . وذلك طبقاً للأوضاع الهيدروليكية والبيانات الموضوعة بمعرفة الجمهورية العربية المتحدة وعند الاقتضاء القيام بالأبحاث والدراسات اللازمة فضلاً على وضع خط تنفيذ أعمال أتمام السد العالي في قطاعه النهائي طبقاً للمتفق عليه . ويجب أتمام جميع هذه الأعمال السابقة في اقصر وقت ممكن بحيث يتسنى أتمام أنشاء السد العالي الى منسوب ١٥٥متراً في عام ١٩٦٧واتمامه في قطاعه النهائي .

(ب)تصميم وصناعة وتوريد جميع البوابات بالملحقات الميكانيكية والكهربية اللازمة لتشغيلها مع تقديم ماتحتاج اليه من قطع الغيار اللازمة .

(ح)تصميم وصناعة وتوريد واقامة واختيار تشغيل جميع معدات المحطة الكهربية المائية والبوابات اللازمة لها بحيث يتحقق اتمام وتركيب وحدات المحطة والبوابات وأعدادها جاهزة للتشغيل طبقاً للبرنامج الاتي :

اولا: الوحدات الثلاث الأولى في عام ١٩٦٧.

ثانياً ـــــــــــــالثانية في عام ١٩٦٨.

ثالثا:ـــــــــــــالثالثة في عام ١٩٦٩.

رابعا:ـــــــــــــالرابعة في عام ١٩٧٠.

وكذلك تصميم وصناعة وتوريد وتركيب واختيار جميع المعدات اللازمة لخطي نقل الكهربا بجهد ٥٠٠/٤٠٠كيلوفولت وبطول ٩٠٠كيلومترلكل منهما من أسوان الى القاهرة "باستثناء أنشاء وتركيب الأبراج الحاملة،للخطوط"بما في ذلك ثلاث أو أربع محطات مزودة بأجهزة التعويض اللازمة لتنظيم الجهد وكذلك خطوط نقل الكهرباء ذات الجهد ٢٢٠/١٣٢كيلو فولت والبالغ طولها ١٠٠٠كيلو متر تقريباً بمافي ذلك من ١٠-١٢محطة محولات شاملة لأجهزة المواصلات والوقاية ومراكز توزيع الأحمال التي تعمل بنظام الموجات الحاملة ٠٠كل ذلك طبقاً لما يتفق عليه الطرفان وبحيث يتحقق تشغيل خط واحد ذي جهد ٥٠٠/٤٤٠٠كيلو فولت والخطوط ذات الجهد ١ذ٢٢٠/٣٢ كيلو فولت البالغ طولها ٦٠٠٠كيلو متر تقريباً خلال عام ١٩٦٧ .اما الخط الثاني ذو الجهد ٥٠٠/٤٠٠كيلو فولت فيتم تشغيله خلال عام ١٩٦٨.

وكذلك توريد مجموعة كافية منقطع الغيار لجميع المعدات المذكورة بعاليه .

(د) توريد وتركيب الآلات الإنشاء الإضافية اللازمة لاتمام مشروع السد العالي في مرحلته النهائية بالإضافة الى المواد اللازمة لاتمام مشروع السد العالي والتي لاتتوافر في لجمهورية العربية المتحدة ،وذلك على حسب المواعيد التي يتفق عليها.

(هـ) تقديم المعونة الفنية اللازمة للإنشاء ، ولهذا الغرض ستتوفر العد اللازم من الأخصائيين السوفيت وفقا لما يتفق عليه الطرفان .

(و)تقديم المعونة الفنية اللازمة لتدريب الفنيين العرب في الاتحاد السوفيتي أو في الجمهورية العربية المتحدة لأعمال تتعلق بمشروع السد العالي وذلك أذا مار غبت حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

(ز)قيام الهيئات السوفيتية بالأعمال التي تتطلب خبرة خاصة والتي تحدد طبيعتها وأسس القيام بها في الخطابات المتبادلة بين الطرفين عند توقيع هذه الاتفاقية .

(ح)أجراء الاختبارات اللازمة للتحقق من سلامة السد وكذلك الاختبارات النهائية على البوابات ومحطة القوى الكهربية المائية عندما يصل منسوب التخزين إلى درجته القصوى وهو ١٨٢متراً٠٠ومن المفهوم أن هذا لوضع سوف لا يتأخر تحقيقه عن علام ١٩٧٥.

(ط)توريد وتركيب وتشغيل المهمات الميكانيكية الكهربية اللازمة لمشروعات الري واصلاح الأراضي المنوه عنها في المادة الأولى من هذه الاتفاقية .ومن المفهوم ان التواريخ المذكورة بعاليه قد بنيت على أساس قيام الجانب العربي بتقديم البيانات اللازمة وتحقيق قيامه بالالتزامات المنصوص عليها في هذه لاتفاقية وما يتم الاتفاق عليه بين الطرفين .

مادة (٣)

تقدم حكومة اتحد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرضا في حدود تسعمائة مليون روبل "يعادل الروبل ٠,٢٢٢١٦٨ من الجرام من الذهب الخالص وذلك لتغطية الهيئات السوفيتية فيما يختص بتصميم المشروع وأعمال البحث والدراسات وتوريد وتركيب البوابات ووحدات التوليد الكهربية المائية والمعدات والمواد وفقا للمادة الثانية من هذا الاتفاق على أساس سعر التسليم للموانئ السوفيتية "فوب"ومصاريف انتقال الأخصائيين السوفيت الموفدين لتقديم لمعونة الفنية طبقا لهذا الاتفاق من والى الجمهورية العربية المتحدة . وفي حالة زيادة التكاليف الإجمالية لما ورد في البنود السابقة عن مبلغ القرض المحدد في هذه المادة ب٩٠٠مليون روبل ،فأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تؤدي هذه الزيادة الى حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية عن طريق تسليم بضائع من الجمهورية العربية المتحدة طبقاً لاتفاق التجارة والدفع المعمول يهما بين الجمهورية العربية المتحدة وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .

مادة(٤)

تؤدي حكومة الجمهورية العربية المتحدة المبالغ المستخدمة في القرض المقدم لها طبقاً للمادة الثالثة من هذا الاتفاق على أثنى عشر قسطاً سنوياً متساوياً تبدأ بعد عام من أتمام السد العالي في وضعه النهائي واتمام محطة القوى جاهزة لتوليد مالايقل عن واحد مليون كيلو وات على الا يتأخر ذلك عن أول يناير سنة ١٩٧٠.أما الجزء من القرض الذي سيستخدم ابتداء من اول يناير سنة ١٩٦٩ في أتمام الأجزاء المتبقية من المشروع فيؤدى بشروط الدفع نفسها بعد عام من تاريخ أتمام هذه الأعمال كافة بحيث لا يتأخر ذلك عن أول يناير سنة ١٩٧٢. وسعر فائدة القرض هو٢,٥%سنوياً وتسرى الفوائد من تاريخ استلام كل جزء من القرض على أن يؤدى خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام التالي إلى العام الذي استحقت فيه. ويعتبر تاريخ استخدام القرض بالنسبة الى الآلات والمعدات والمواد تاريخ بوليصة الشحن اما بالنسبة الى أداء نفقات أعمال التصميم والبحوث والدراسات وكذلك نفقات أيفاد الأخصائيين السوفيت إلى الجمهورية العربية المتحدة فيعتبر تاريخ استخدام القرض هو تاريخ الفواتير الخاصة بذلك .

مادة (٥)

فيما عدا ما هو وارد في مواد هذا الاتفاق تسري أحكام ١٢,١١,١٠,٩,٨,٧,٤,٣، من اتفاق قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية للجمهورية العربية المتحدة في بناء المرحلة الأولى من السد العالي بأسوان والموقع في ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٥٨ . كما تسري الأحكام والشروط الواردة بالخطابات المتبادلة بين الطرفين من تاريخ توقيع الاتفاق المذكور نفسه وتعتبر جزءاً لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

مادة (٦)

يصدق على هذا الاتفاق في اقصر وقت ممكن ويصبح نافذ المفعول من تاريخ تبادل وثائق التصديق عليه في القاهرة. حرر هذا الاتفاق بمدينة موسكو في يوم ٢٧اغسطس سنة ١٩٦٠ من نسختين أحداهما باللغة العربية والأخرى باللغة الروسية ولكل منهما القوة القانونية نفسها.

عن حكومة الجمهورية	عن حكومة الجمهوريات
العربية المتحدة	الاتحادية السوفيتية الاشتراكية
موسى عرفة	ي. ف. ارخيبوف [١]

١- يوسف ابو الحجاج ،السد العالي والتنمية الاقتصادية،ص٨٠-٩٠.

القياسات

١-الاطوال

- **اليارد‌ة=٣قدم=٠,٩١٤متر=٩١,٤سنتمتر**
- **القدم=١٢بوصة=٣٠,٤٨سنتمتر**
- **البوصة=٢,٥٣٩=٢٥,٤مليمتر=٠,٣٠٤٨متر**

المساحات

١. ١هكتار=١٠٠٠٠مترمربع=٢,٤٧اكر
٢. ١٠٠هكتار=١كيلومترمربع
٣. ١فدان مصري=٤٢٠٠,٨٣٣مترمربع
٤. دونمعراقي=٢٥٠٠مترمربع